نور اليقين في أصول الدين

في شرح عقائد الطحاوي

تأليف الشيخ

حسن كافي الأقحصاري البوسنوي

(٩٥١ - ١٠٢٤)

دراسة وتحقيق

زهدي عادلوفيتش البوسنوي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البوسني، حسن كافي الاقحصاري

نور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي / تحقيق زهدي عادلوفيتش - الرياض .

٣٣٤ص ١٧×٢٤ سم

ردمك ٥-٣٣٩-٢٠-٩٩٦٠

١ - العقيدة الإسلامية أ - عادلوفيتش، زهدي (محقق) ب - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٨/٠٠٦٦

ردمك ٥-٣٣٩-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٨/٠٠٦٦

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/١٩٩٧م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] ١٤١٨هـ

[illegible]

[illegible]

مكتبة العبيكان

[illegible]

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره سبحانه على عونه وتوفيقه لي لإكمال هذا العمل المتواضع، وأسأله سبحانه أن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

قال الله تعالى: ﴿**ومن شكر فإنما يشكر لنفسه**﴾. وقال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

ومن هذه القاعدة الإسلامية التي دل عليها الكتاب والسنة، أتقدم بالشكر الجزيل، والدعوات الطيبة إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

وأخص بالذكر فضيلة الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان الذي تفضل بالإشراف على رسالتي هذه، وبذل من وقته وجهده الشيء الكثير، لن أنسى فضله عليّ، والمعاملة الحسنة التي لقيتها منه. أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبارك له في حياته، وأن يجعل أعماله في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي فتحت أبوابها لطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم ورعتني رعاية تامة ابتداء من التحاقي بمعهد تعليم اللغة العربية، ثم في المرحلة الجامعية، ثم في الدراسات العليا.

كما أشكر كلية أصول الدين ممثلة في عميدها ووكيلها ووكيل الدراسات العليا ورئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة وجميع شيوخي الأفاضل الذين تعملت على أيديهم وأفدت من علمهم وتوجيههم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فلقد تعرضت الأمة الإسلامية في العصر الحديث لهجمة شرسة من الغزو الفكري، تركت آثاراً سيئة في أذهان المسلمين وعقولهم، وأيضاً في تصرفاتهم وأعمالهم. وشاءت إرادة المولى ـ عز وجل ـ أن يتمكن نفر من الدعاة المخلصين من رصد هذا الغزو وكشف عوراته وسيئاته، وبيان أخطاره. كما تمكن نفر منهم من العمل على يقظة المسلمين والعودة بأبنائهم إلى الإسلام الحنيف.

وبدأت تظهر آثار اليقظة والصحوة في كثير من البلدان الإسلامية. ولكي تكون الصحوة رشيدة معالمها، سائرة نحو تحقيق آمال المسلمين وأهدافهم، فإنه لا بد ـ في نظري ـ من منهج واضح يتضمن أساس البناء. وأساس البناء هو العقيدة الإسلامية، والمنهج الواضح هو فهم السلف الصالح لهذه العقيدة.

ولقد قيض الله ـ عز وجل ـ لهذه الأمة في كل عصر علماء مخلصين يحفظون للأمة عقيدتها، ويذودون عنها الأخطار التي تهددها من الكفرة والملحدين من أصحاب الضلالات والأهواء. ومن هؤلاء الأعلام عالمُ البوسنة اليوغوسلافية الشيخ حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب

الأقحصاري، المشهور بكافي، وهو من علماء القرن العاشر والحادي عشر الهجري (٩٥١ ـ ١٠٢٤).

لقد صنف الشيخ حسن كافي الأقحصاري مجموعة من الكتب والرسائل التي قرر فيها العقيدة في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة. وكان لكتبه ورسائله الدور البارز في توعية مسلمي بلده والبلاد المجاورة. ومن مصنفات هذا العالم الجليل كتاب «نور اليقين في أصول الدين» الذي شرح فيه عقيدة الإمام الطحاوي، رحمه الله.

ولما أكرمني الله ـ سبحانه وتعالى ـ باجتياز السنة التمهيدية لمرحلة الماجستير، وقع اختياري على تحقيق الكتاب المذكور، وكتابة دراسة عن المؤلف نفسه، وعقيدته ومنهجه في تقرير العقيدة.

وقع اختياري على هذا الكتاب للأسباب التالية:

١ ـ رغبتي في إخراج كتاب من كتب العقيدة الإسلامية التي تقرر العقيدة في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة.

٢ ـ إسهاماً مني في إحياء كتب التراث الإسلامي عموماً.

٣ ـ إن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أحد الأعلام المشهورين في بلاد المسلمين في يوغسلافيا، وله مكانته الخاصة بين علماء عصره، كما أن له عدداً من المؤلفات في أصول الدين والفقه والسياسة الشرعية والتاريخ. وقد ترجم بعض كتبه إلى اللغات المختلفة (التركية، اليوغوسلافية، الألمانية، والفرنسية) ما يدل على قيمتها العلمية.

٤ ـ إن المسلمين في بلدنا، البوسنة والهرسك، يقدرون علماءهم القدامى بصورة ملفتة، ومنهم من يتعصب لأقوالهم وآرائهم. فأردت إخراج كتاب لأحد العلماء المشهورين من أهل السنة والجماعة في بلادنا، ليكون مرجعاً ـ إن شاء الله تعالى ـ لطلبة العلم وغيرهم من المسلمين البوسنويين، عساه أن يحقق أملاً أتطلع إلى تحقيقه، وهو انتشار العقيدة الصحيحة في أواسط المسلمين البوسنويين وفي أواسط غيرهم من مسلمي البلاد المجاورة.

٥ ـ إن الشيخ كافي صاحب دور فعّال في نقد آراء الصوفية وأهل الأهواء والبدع، ونقده يمتاز بالعمق والموضوعية.

٦ ـ إن كتاب «نور اليقين في أصول الدين» في شرح عقائد الطحاوي من الكتب النفيسة في مجال العقيدة، ويمتاز بسهولة الأسلوب وجزالته، وسداد المنهج ودقته، وقرب أسلوبه من الأفهام.



خطة البحث

عنوان البحث : «نور اليقين في أصول الدين» في شرح عقائد الطحاوي دراسة وتحقيق.

تتكون الخطة من مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة : وفيها بيان أهمية الكتاب وسبب اختياري له وبيان خطة البحث.

القسم الأول

الدراسة. وفيه أربعة فصول:

- **الفصل الأول** : عصر المؤلف، وفيه أربعة مباحث:
  - **المبحث الأول** : الحالة السياسية.
  - **المبحث الثاني** : الحالة الاجتماعية.
  - **المبحث الثالث** : الحالة الثقافية.
  - **المبحث الرابع** : الحالة الدينية.
- **الفصل الثاني** : حياته الشخصية. وفيه خمسة مباحث:
  - **المبحث الأول** : مولده ونسبه.
  - **المبحث الثاني** : نشأته.
  - **المبحث الثالث** : وظائفه وأعماله.
  - **المبحث الرابع** : زهده وورعه.
  - **المبحث الخامس** : وفاته.
- **الفصل الثالث** : حياته العلمية، وفيه خمسة مباحث:
  - **المبحث الأول** : طلبه للعلم.

ـ **المبحث الثاني**: شيوخه وتلاميذه.

ـ **المبحث الثالث**: ثقافته ومؤلفاته.

ـ **المبحث الرابع**: مكانته العلمية.

ـ **المبحث الخامس**: عقيدته ومذهبه.

ـ **الفصل الرابع**: التعريف بالكتاب ومخطوطاته:

ـ **المبحث الأول**: عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

ـ **المبحث الثاني**: سبب وتاريخ تأليفه.

ـ **المبحث الثالث**: دراسة منهج المؤلف، وبيان مراجعه، وقيمة الكتاب العلمية.

ـ **المبحث الرابع**: مقارنته بشرح ابن أبي العز.

ـ **المبحث الخامس**: وصف النسخ المخطوطة والتعريف بها ونماذج منها.

القسم الثاني

التحقيق، ويتناول تحقيق المخطوطة تحقيقاً علمياً، وذلك بما يلي:

١ ـ مقابلة النسخ الخطية، واعتماد النسخة الأصلية في ضوء قواعد التحقيق.

٢ ـ عزو الآيات إلى سورها وترقيمها.

٣ ـ تخريج الأحاديث والحكمُ عليها من خلال كلام أهل العلم.

٤ ـ الترجمة للأعلام.

٥ ـ التعريف بالفرق والطوائف.

٦ ـ بيان المصطلحات وشرح الغريب.

٧ ـ التعليق على ما يحتاج إلى تعليق، ومناقشة المؤلف فيما وقع فيه من المخالفات للمذهب الصحيح.

ـ **الخاتمة**: وفيها ذكر أهم نتائج البحث.

ـ **الفهارس**.

منهجي في التحقيق

لقد توافرت لدي النسخة الأصل للكتاب وثلاث نسخ خطية أخرى، فجعلت نسخة المؤلف أصلاً وأثبت بالهامش مخالفة النسخ الباقية لها، وغالباً ما يكون الصواب عند الاختلاف في جانب النسخة الأصلية. وإذا وجدت خطأ في النسخة الأصلية ـ لا يستقيم النص معه ـ أو نقصاً، أثبت الصحيح في المتن ووضعته بين القوسين، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

وقد وقع اختلاف كبير بين النسخ في كيفية كتابة الصلاة على النبي ﷺ فالتزمت في ذلك النسخة الأصلية دون أن أشير إلى الفوارق أحياناً. وكذا كتابة لفظ الجلالة وتوابعه.

ـ أما الأحاديث والآثار، فجعلتها عند التخريج على قسمين:

أ ـ الأحاديث والآثار التي أخرجها البخاري ومسلم أو أحدهما، فإنني أكتفي فيها بالعزو إليهما، لأن ما ورد فيهما قد جاوز القنطرة وحُكم عليه بالصحة.

ب ـ ما لم أجده في الصحيحين، فإنني أخرجُه من بقية كتب السنة، وأنقل أقوال العلماء في درجتها حتى يتبين حكمها، مستنيراً في ذلك بأقوال المُحدّثين المعاصرين.

ـ وردت بعض العبارات في الكتاب فيها غموض، فشرحتها وبينت مراد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ منها. كما ظهر في بعض المواضع ـ وهي قليلة جداً ـ ضعف أسلوب المؤلف اللغوي، فنبهت إلى ذلك في الهامش مشيراً إلى ما كان الأولى.

ـ التزم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بمذهب الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ في مسألة الإيمان وما يتعلق به. فناقشته في تلك

المسائل، وبينت المذهب الصحيح فيها. كما ذهب المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في باب العقيدة، فناقشته في ذلك، وأثبت المذهب الصحيح في المسألة.

ـ يُعتبر الاختصار من أبرز سمات الكتاب، فحرصت على إبقاء منهج المؤلف، ولم أتوسع في التعليق، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وأشرت إلى مواضع المسائل في المراجع التي يمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد.

ـ أورد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه عدداً من الأسماء، ترجمت لهم ترجمة موجزة عدا المشهورين من الصحابة.

ـ ورد في الكتاب ذكر كثير من الفرق، فعرفت بها وذكرت نبذة مختصرة عنها.

ـ بينت الأماكن والبلدان غير المشهورة التي ورد ذكرها في الكتاب.

ـ وأخيراً أردفت الكتاب بالخاتمة والفهارس، أما الخاتمة فذكرت فيها أهم نتائج البحث، وأما الفهارس فقد عملت فهارس تفصيلية للكتاب، وهي:

ـ فهرس للآيات القرآنية

ـ فهرس للأحاديث والآثار

ـ فهرس للأعلام

ـ فهرس للملل والنحل

ـ فهرس للأماكن

ـ فهرس للمصادر والمراجع

ـ فهرس للموضوعات

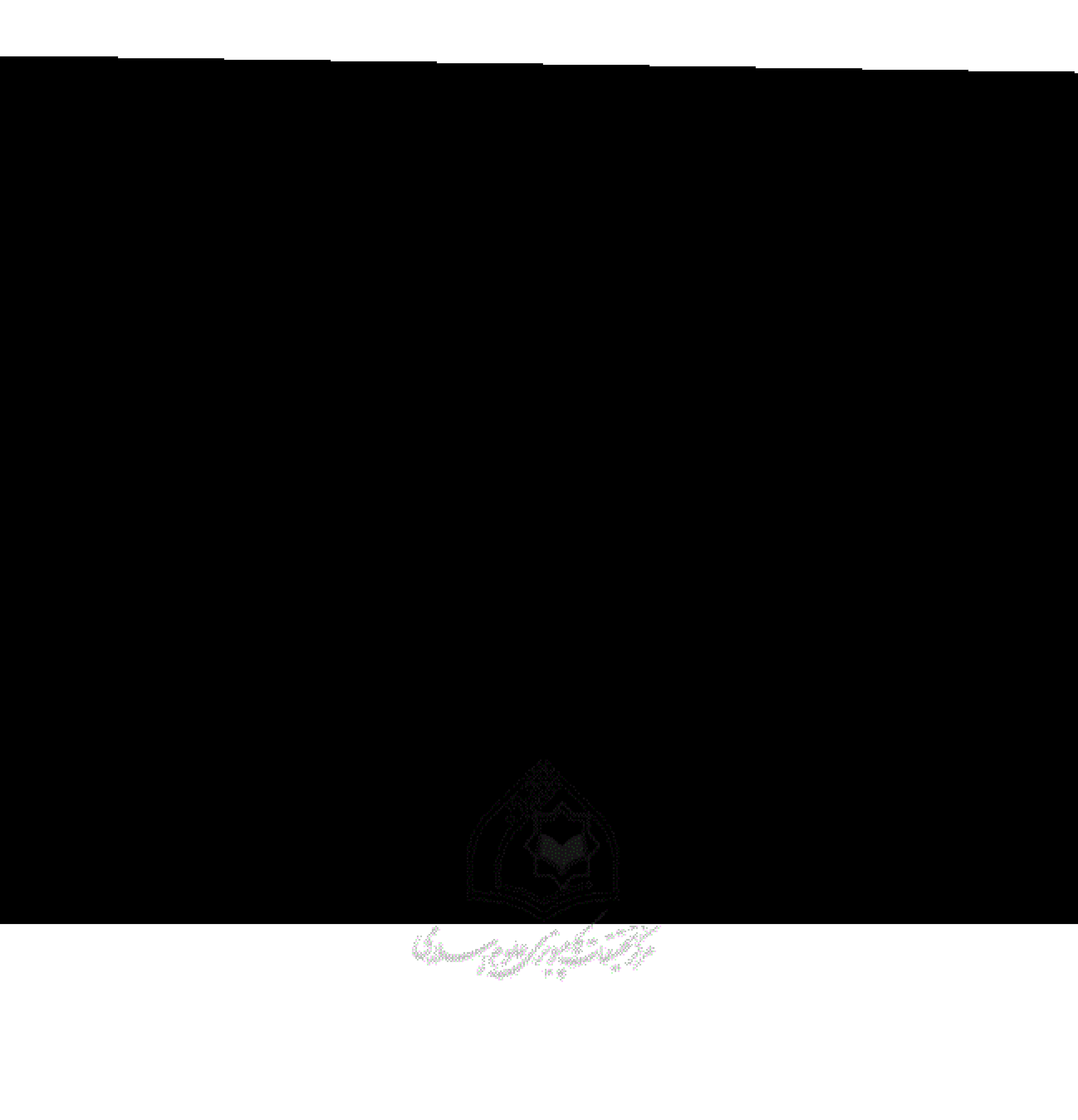
عصر المؤلف

المبحث الأول: الحالة السياسية

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحالة الثقافية

المبحث الرابع: الحالة الدينية



الحالة السياسية

يُعد العهد العثماني الذي عاشه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (٩٥١ ـ ١٠٢٤ هـ. = ١٥٤٤ ـ ١٦١٥ م) عهد التحول وبداية انحطاط الدولة، حيث بدأت فيه الثورات الداخلية، كما نشبت الحروب المستمرة الطويلة بين العثمانيين والأسرة الحاكمة في النمسا التي صارت سجالاً بينهم، بعد أن كانت الانتصارات المتواصلة في صالح الجيش العثماني، إضافة إلى ذلك الحرب الضروس في الولايات الشرقية. فأصبحت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا، ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقاً والنمسا غرباً.

فقد حصلت في ابتداء القرن السابع عشر الميلادي في بلاد الأناطول ثورة داخلية عظيمة، حيث لم تثبت فرقة من الجيوش المؤجرة في واقعة كرزت[1]، بل ولت أدبارها وركنت إلى الفرار، فنُفيت إلى ولايات آسيا، وأطلق عليها اسم «فراري» تحقيراً لهم وعبرة لغيرهم. وادّعى بعد ذلك أحد قوادهم واسمه قره يازنجي أن النبي ـ ﷺ ـ جاءه مناماً ووعده بالنصر على آل عثمان وفتح ولايات آسيا، فتبعه كثير من هذه الفئة، وشق عصا الطاعة، وتغلب على بعض ولاة الدولة. فحصلت فتنة عظيمة كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة في تلك الظروف الحرجة، إلا أنها انتهت بالتفاوض بين الدولة ودلي حسن الذي صار قائداً للثورة بعد قتل أخيه المذكور، وانتصر على الجيش العثماني، فمنحته الدولة ولاية بوسنة، فقبلها، ووضع السلاح وأعلن إخلاصه للدولة سنة ١٦٠٣ م. ثم سافر بجنوده ومن انضم إليها من الأكراد، واستعمل قوته لمحاربة النصارى على

(١) كرزت سهل تقع في جنوب بلاد المجر، بالقرب من الحدود اليوغسلافية اليوم. انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص: ٢٦٨.

حدود الدولة من جهة أوروبا، حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة بينها وبين عساكر المجر والنمسا، واستراحت الدولة من شرها[1].

ثم أعقبت هذه الثورة الكبيرة ثورة أخرى في العاصمة نفسها[2]، كما أثارت انتصارات الدولة العثمانية في بلاد شرق أوروبا، وانتشار الإسلام فيها حقد النصارى على الدولة، فأصبحوا يتحينون الفرص للانتقام منها واسترجاع تلك البلدان. تبدأ في هذه الفترة ـ كذلك ـ أقاليم شرق أوروبا التابعة للدولة العثمانية تتحد ضد الدولة بالتحالف مع النمسا. وهذا جعل الدولة تُولي اهتماماً أكبر لتلك الحروب المستمرة، لا سيما وهي قلقة لأجل ثوراتها الداخلية، والحرب الكبيرة في شرق البلاد[3].

لقد اضطربت الأحوال في الولايات الشرقية عموماً، وسعى كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال. فنرى الشاه عباس الشهير[4] ينتهز هذه الظروف، وخاصة انشغال الجيش العثماني بقمع الثورة في أناطول ـ السابق ذكرها ـ لاسترجاع بلاد العراق العجمي، واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها. ولمناسبة اضمحلال جيوش الدولة العثمانية في هذه الحرب التي استمرت عدة سنوات متتالية، وموت أهم قوادها، أبرمت الدولتان الصلح بينهما سنة ١٦١٢. على أن تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الأقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان سليمان القانوني، بما فيها مدينة بغداد.

وهذه أول معاهدة تركت فيها الدولة العثمانية بعض فتوحاتها،

---

(١) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) المرجع السابق ص: ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ص: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٤) لُقب هذا الشاه بالكبير وعُين ملكاً على خراسان سنة ١٥٨٥ م. ثم توسع ملكه حتى حارب العثمانيين واستخلص منهم المناطق المذكورة. انظر المرجع السابق حاشية الصفحة ٢٧١.

فكانت فاتحة الانحطاط، وأول المعاهدات المشؤومة التي خُتمت بمعاهدة برلين الشهيرة[1].

هذا التحول المفاجيء في سياسة الدولة راجع إلى أسباب عديدة، منها:

أولاً: عدم خروج السلطان بنفسه إلى الحرب.

فقد غيّر السلطان سليمان القانوني في آخر عهده تلك العادة ـ خروج السلطان بنفسه إلى الحرب ـ وأجاز الحرب بقيادة الأمير الأعلى. وكان هذا سبب تقاعس أغلب من بعده من السلاطين عن الخروج إلى الحرب بأنفسهم. وكان الجيش الانكشاري يرفض أحياناً الخروج إلى القتال إلا إذا خرج معهم السلطان، لأن وجود الخليفة الأعظم على رأس جيوشه يبث فيهم روحاً جديدة، فيصيرون معه إلى النصر المبين بإذن الله.

ثانياً: زيادة اتساع رقعة الدولة وثرواتها، حيث أصبح من الصعوبة بمكان إدارة تلك الولايات إدارة موحدة، فأدّى ذلك إلى ضعف الإدارة وتدهور الجهاز الحكومي المركزي.

ثالثاً: تولية السلاطين صغار السن، وعدم اهتمامهم بشؤون الدولة، بل قضاء بعضهم عمره كله في الحرم السلطاني.

رابعاً: كانت كافة أمور الدولة تُنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان، فأبطلت هذه العادة، وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء، فصارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلاً أو نسباً، أغلبهم ممن أسلم أو تظاهر بالإسلام من النصارى وغيرهم.

خامساً: الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم، الأمر الذي جعلهم من أكبر موجبات تأخر الدولة بعد أن كانوا من أعظم عوامل تقدمها[2].

---

(١) المرجع السابق ص: ٢٧١.

(٢) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ١: ٢٥٢ وما بعدها.

الحالة الاجتماعية

كان من نتيجة اضطراب الحالة السياسية أن تأثرت الحياة الاجتماعية كذلك. فنجد أن الدولة العثمانية كانت على طبقتين رئيستين: العسكريين والرعايا. فمن الطبقة الأولى السلطة الحاكمة، والإداريون، والقوات المسلحة، ويُلحق بهم من الرعايا علماء الدين فقط[1].

وأما الطبقة الأخرى فهي الرعايا، وهم باقي فئات الأمة.

ورغم أن القوانين المدنية والجنائية المستمدة من الشريعة الإسلامية كانت تُطبق على كل من الرعايا والعسكريين على حد سواء، إلا أن الأخيرين كانوا يخضعون لقانون خاص يُسمى (قانون ـ سباهيان) الصادر عن إدارة السلطان. وكانت القاعدة السائدة تقضي بعدم إمكان دخول الرعايا في سلك العسكريين إلا نادراً، وهي من قواعد الدولة الأساسية.

والطبقة الأولى لا صلة لها بالإنتاج الزراعي والصناعي، ولا تطالب بالضرائب، في حين أن الطبقة الأخرى هي التي تقوم بالإنتاج وتدفع الضرائب.

وأما فئة الإقطاعيين الذين يندرجون في الطبقة الأولى، فكان شغلهم لمناصبهم يلزمهم بالقيام بالخدمة العسكرية في أوقات الحرب وعلى نفقتهم الخاصة.

فكانت الدولة العثمانية دولة عسكرية دينية، وإقطاعية من نوع خاص، والعسكرية الصارمة خصيصتها الأولى[2].

---

(١) انظر أصول التاريخ العثماني ص: ١١٢، والدولة العثمانية دولة إسلامية: ١: ١١٩.

(٢) انظر المجتمع الإسلامي والغرب: ١: ١٨ و ٦٢، والدولة العثمانية دولة إسلامية ١: ٤٩. وانظر عن طبقات المجتمع العثماني ودور كل طبقة فيه: أصول الحكم في نظام العالم ص: ٢٠ ـ ٢١، للمؤلف حسن كافي ـ رحمه الله.

سبق ذكر بعض ما أصيبت به الدولة في هذه الفترة من تدهور جهاز الحكم المركزي، وكان العسكريون يشغلون المناصب المدنية القيادية غالباً، فأدى ذلك إلى استبداد بعضهم بالرعية واستغلال مناصبهم لمصالحهم الشخصية، وانتشار العبث بأموال العامة.

فوُجدت مظاهر الترف والإسراف والبذخ في جانب، وبدأ يظهر الفقر في جانب آخر. ونرى ذلك واضحاً في بعض مواقف المؤلف ـ رحمه الله ـ تجاه تلك التغيرات السلبية. فقد لاحظ فساد الولاة، وانتشار البغي وحاول الإصلاح قدر المستطاع.

يقول في ترجمته عن نفسه، وكان في تلك الفترة قاضياً في بلدته أقحصار: «ولما ظهرت فتنة الأردل والقرال[1]، وآل الأمر إلى المحاربة والجدال، وبدا البغي والفساد من العمال، تركت القضاء والتجأت بوطني الأقحصار، وعقدت مجلس الدرس لطلبة الديار....»[2].

هذه الاضطرابات والتغيرات جعلته يدرس واقع الدولة ويؤلف كتاباً يبين فيه عيوب النظام السائد، ويشرح الأسس القويمة التي ينبغي للدولة أن تقوم عليها، ثم يعرض ذلك الكتاب على السلطان نفسه راجياً أن يُسهم بذلك في إصلاح ما فسد. وسيأتي ذكر ذلك تفصيلاً، بإذن الله تعالى.

---

(١) الأردل والقرال هما ولايتان نصرانيتان مشهورتان في تلك المنطقة (على حدود رومانيا ـ مجر اليوم) وكان أهلها مع المسيحيين الآخرين يُضمرون التعصب منذ مائة سنة ونيف، وعندما أدركوا حالة التردي في الدولة العثمانية اغتنموا الفرصة ضد بني عثمان، ونتيجة لذلك تمكن أعداء الدولة من استعادة قلاع كثيرة.

(٢) «نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء» لوحة ١٨ ـ أ.

الحالة الثقافية

حينما يتصفح القارىء تاريخ هذا العصر يجد أن المؤرخين لا يمرون بترجمة عالم من علماء هذا العصر إلا ويذكرونه بألقاب علمية كبيرة، مثل: الإمام، العلامة، الشيخ الفاضل الكامل، القدوة، الحجة. لكن رغم ذلك وصف المؤرخون النقاد هذا العصر بعصر الظلمة بالنسبة للحركة العلمية، والحالة الدينية، كما وصفوه بعصر الحواشي والشروح، دون عصر الابتكار بالمقارنة مع العصر الذي سبق هذه الفترة.

فلا تكاد ترى نابغة في علوم الفقه، حيث ادُّعي إغلاق باب الاجتهاد، ولذلك اقتصرت جهود فقهاء ذلك العصر على اختصار المتون، وكتابة الشروح على المؤلفات، وترديد ما سبق من آراء في عصور سالفة.

وتظهر هذه الحالة بوضوح إذا نظرنا إلى بلد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فكانت هناك كتاتيب كثيرة في جميع قرى ومدن منطقة البوسنة وشبه جزيرة البلقان التي دخلها الإسلام، إلا أنه لم تكن في زمن المؤلف سوى المدارس الرسمية الثلاث (الثانوية) في مدينة سراييفو، عاصمة الولاية. وكل من أراد أن يستزيد من العلوم الشرعية أو يتخصص فيها، كان عليه أن يسافر إلى استانبول ـ باعتبارها أقرب المراكز الإسلامية إلى تلك المنطقة ـ عاصمة الخلافة، ويدرس فيها على كبار مشايخ ذلك العصر.

فرأى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بعدما رجع من استانبول وأجيز بالتدريس والقضاء أن الكتب المقررة في مختلف مواد المدارس المذكورة قديمة، غير مناسبة لحاجات الطلاب ومستواهم العلمي، وأنه لم يراعَ فيها غير أنها للعلماء المشهورين في تاريخ الإسلام، وخاصة علماء المذهب الحنفي، وأن طريقة التدريس فيها لا تُمكّن الطالب من معرفة الحقائق

الإسلامية من القرآن والسنة مباشرة، بل بواسطة آراء العلماء المعينين دون محاولة نقد أو تمحيص تلك الآراء.

ورأى كذلك أنه من الخطر الكبير تقليد العلماء السابقين تقليداً أعمى في جميع آرائهم دون استخدام العقل في الموازنة بينها وبين ما يوافقها أو يعارضها من الأدلة النقلية، أو الأمور الواقعية.

ففي مجال العقيدة ـ مثلاً ـ رأى المتون المشهورة في ذلك الوقت، مثل عقيدة السنوسي، والنسفي، ونقاية السيوطي، وما شابهها، تُدرّس في جميع المدارس، رغم خلوها من الأدلة النقلية الصحيحة، دون أي تمحيص أو تحليل، فأراد أن يحرك الهمم، ويغير ذلك الواقع، فجمع تلك المتون في تأليف واحد (روضات الجنات في أصول الاعتقادات) وحاول أن يضعها على الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، ويُصفّيها من الشوائب الموجودة فيها.

ثم شرح ذلك الكتاب شرحاً موسعاً، إلى أن ألّف هذا الشرح الذي هو بين أيدينا، محاولة منه في الخروج من ذلك الواقع الذي لا يرضى عنه عالم بحقائق هذا الدين الحنيف.

ثم فعل مثل ذلك في العلوم الأخرى، بل أسس مدرسته الشهيرة التي خرجت أجيالاً كثيرة من العلماء، والقضاة، والدعاة الذين نشروا المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وسيأتي الحديث عنهم قريباً، بإذن الله تعالى.

ثم نشأت بعد ذلك مدارس أخرى كثيرة في جميع مدن المنطقة، ونشطت فيها الحركة العلمية.

فكان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من الأوائل السابقين الذين حاولوا التحرر من قيود التقليد السلبي، وشجعوا الآخرين على الموضوعية في طلب العلم، وكان لموقفه هذا أثر كبير في المنطقة، بل في المناطق المجاورة لها كذلك.

المبحث الرابع

الحالة الدينية

كانت الهيئة الإسلامية في الدولة العثمانية لها مركز مرموق، وكان يُطلق على رئيسها «المفتي» أو «مفتي استانبول» ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم «شيخ الإسلام»، وكان السلاطين حريصين على تدعيم سلطته، فكان المفتي يصدر الفتوى تجيز الحرب والعهود بين الدول، كما أن الهيئة الحاكمة كانت حريصة على التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية[1].

لكنه يلاحظ على الدولة العثمانية تشجيعها العلني للتصوف وطرقه المختلفة.

فلقد كان العلماء المشتغلون بعلوم الكتاب والسنة موصوفين بالزهد والتقوى، والعفاف، والقناعة، والعبادة، من أقدم العصور. ولكن هناك فرق كبير بين زهد السلف الذين كان زهدهم مقيداً بالكتاب والسنة، وبين زهد العلماء المغترين بالطرق الصوفية المبتدعة التي راجت في صفوف الأمة في العصور المتأخرة. واعتبر أهل العلم بالكتاب والسنة وفقه السلف الصالح هذه الطرق المبتدعة أفكاراً دخيلة على الإسلام.

وقد راجت بواسطة هذه الطرق الأفكار الإلحادية التي تولّى كبرها ابن عربي[2]

---

(١) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية: ١ : ٥٤.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاطمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية (بالأندلس) انتقل إلى إشبيلية، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه، وحُبس فسعى في خلاصه علي بن فتح الجبائي، فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة ٦٣٨ هـ. وهو كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.

وابن الفارض[1] وأمثالهما، واغتر بأفكارهم كثير من أهل العلم في جميع البلاد الإسلامية في العصور الأخيرة، اللهم إلا من كان منتبهاً لأفكارهم الخبيثة كالبقاعي[2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ومدرستهم الفكرية الإصلاحية عبر القرون والأجيال.

أما الدولة العثمانية فقد شجعت التصوف وطرقه المختلفة بطريقة رسمية، فأدى ذلك إلى انتشار الطرق الصوفية وأفكارها، وسيطرة الخرافات والأفكار المنحرفة على أكثر العامة، وكثير من علماء ذلك العصر، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تكفل بحفظ هذا الدين إلى يوم القيامة، فلا تمر فترة من فترات الضعف في الأمة الإسلامية إلا ويجعل الله من علمائها من يقوم بواجب الإصلاح والتصحيح ورد الأمة إلى مسارها الصحيح.

فنرى الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله تعالى ـ يدرك ذلك الواقع السيء تمام الإدراك، ويحاول الإصلاح بإظهار العقيدة الحقة صافية واضحة كما فهمها السلف الصالح، وذلك من خلال محاضراته وخطبه وتأليفاته في هذا الشأن[3].

= ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣: ٦٥٩ ـ ٦٦٠؛ فوات الوافيات ٣: ٤٣٥ ـ ٤٤٠؛ شذرات الذهب ٥: ١٩٠.

(١) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين بن الفارض، أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بوحدة الوجود. قال الذهبي: كان سيد شعراء عصره، وشيخ الاتحادية، وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي! ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣: ٢١٤ ـ ٢١٥؛ وفيات الأعيان ٥: ٥٥.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، المفسر المحدث، المؤرخ الأديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق سنة ٨٨٥.
ترجمته في شذرات الذهب ٧: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٣) ألف الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب كتابه «روضات الجنات في أصول الاعتقادات» بين فيها العقيدة الإسلامية الصحيحة ومخالفتها لمذاهب أخرى منتشرة في البلاد، وخاصة مذهب الصوفية. ثم شرحه بعد ثناء العلماء عليه في كتاب «أزهار الروضات في شرح روضات الجنات».

يقول عنه الشيخ محمد الخانجي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن بعض المصادر: «وكان يبغض مشايخ الطرق في زمانه، ويعترض عليهم، ويقرعهم بحجج الشرع، ويقول: لو كانت الكرامة تُنال بالرياضة لنلتها. . .»[2].

وجهوده ـ رحمه الله تعالى ـ في محاربة الطرق التي ثبت خروجهم عن الدين معروفة مشهورة، لها آثارها الإيجابية في تلك البلاد إلى أيامنا هذه. وسيأتي الكلام عن ذلك بإذن الله تعالى.

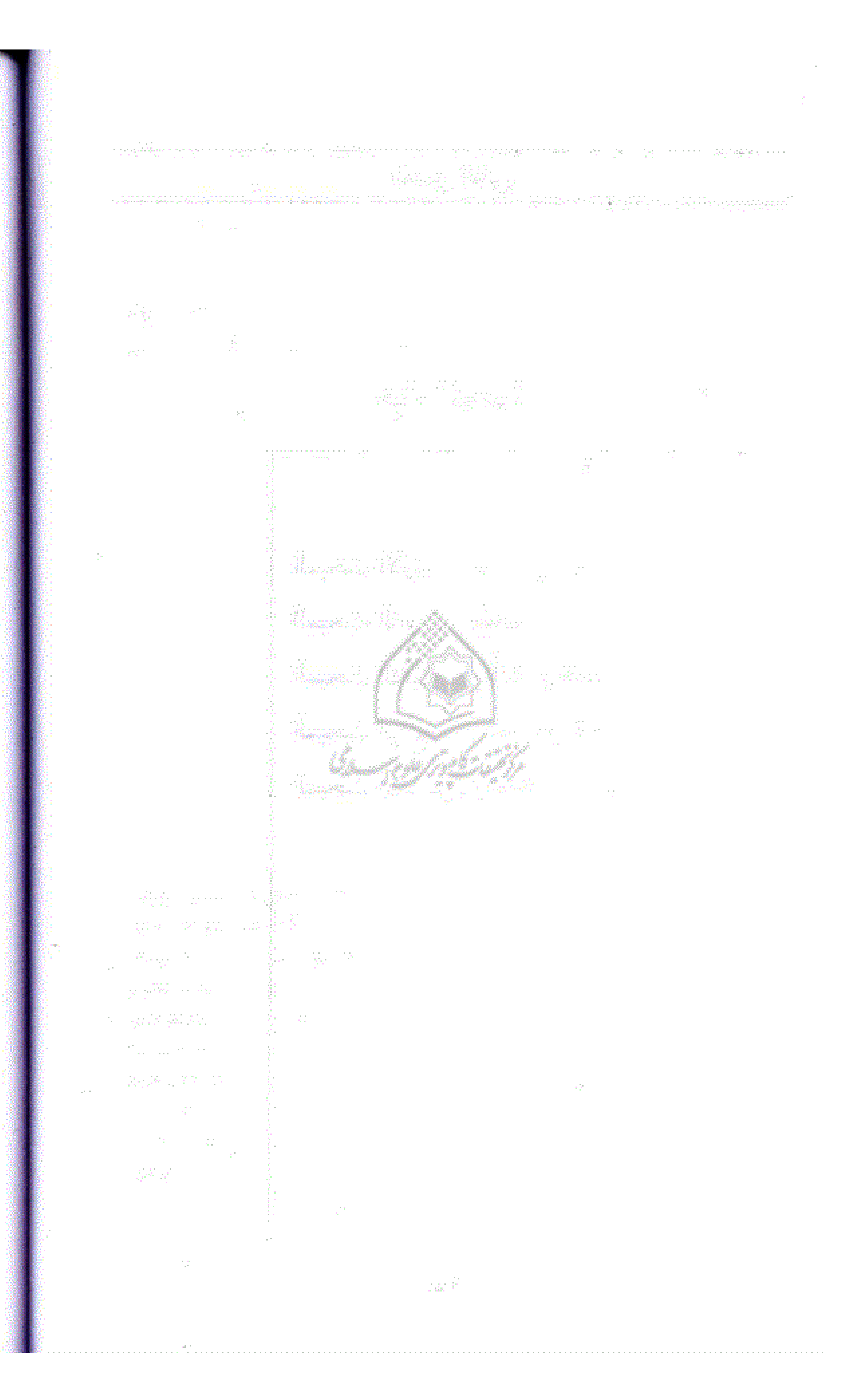


(1) هو محمد بن محمد بن محمد بن صالح بن محمد خنجيتش الحنفي البوسنوي، ويقال له الخانجي، ولد في البوسنة بيوغسلافيا، ودرس في الأزهر الشريف، ثم حج وعاد إلى بلده وتوفي فيه عن نحو ٣٥ سنة عام ١٩٤٦ م. له جهد كبير في جمعية الهداية الخيرية التي كان لها دور بارز في نشر العلم وإعداد الدعاة. وكان رئيس لجنة تحرير مجلة الهداية عدة سنوات كتب خلالها مقالات علمية نافعة ما زال يستفيد منها الدارسون. وألّف عدة كتب منها: الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة (بالعربية)، والمدخل إلى علم التفسير والحديث (باليوغسلافية)، وراحة الأرواح جمع فيه عدداً من الأدعية المأثورة مع ترجمتها إلى اليوغسلافية. وقد تأثر رحمه الله ـ أثناء دراسته في الأزهر ـ بدعوة الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ وأسس مع بعض زملائه حركة الشبان المسلمين التي كان لها أكبر الأثر في تربية الشباب المسلمين ووقوفهم في وجه الإلحاد والإباحية اللذين فرضهما الحكم الشيوعي الجديد آنذاك.

(2) الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة ص: ٥٨.

حياته الشخصية

المبحث الأول: مولده ونسبه
المبحث الثاني: نشأته
المبحث الثالث: وظائفه وأعماله
المبحث الرابع: زهده وورعه
المبحث الخامس: وفاته



مولده ونسبه

يتفق المؤرخون على أن الشيخ حسن كافي الأقحصاري ـ رحمه الله ـ من أكبر العلماء وأبرز الشخصيات في مجال العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوروبية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، بل من أبرز الشخصيات في تلك البلاد عموماً.

رغم ذلك نجد أن مصادر ترجمته محدودة جداً، كما هو شأن المتأخرين من العلماء غالباً. فقد حظيت شخصية هذا العالم الجليل بدراسة وافية من زمن بعيد، سواء ممن اهتم بالتاريخ من المتأخرين في منطقة البوسنة اليوغسلافية، أو من الغربيين المستشرقين الذين ترجموا بعض أعماله وكتبوا عنه، إلا أنه لم يزل كتابه المسمى «نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء» أوسع مصدر لترجمته، حيث ذكر فيه سلسلة شيوخه إلى النبي ـ ﷺ ـ، وترجم لنفسه تحت الرقم التاسع والعشرين، وأعطى المعلومات الأساسية عن نفسه وحياته وبعض مؤلفاته، لكنه عاش بعد تأليف هذا الكتاب عشر سنوات أخرى، لم يكتب خلالها عن نفسه شيئاً، فبقيت تلك الفترة من حياته مجهولة إلى حد كبير.

هو حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الأقحصاري، المشهور بـ «الكافي» البوسنوي. ولد في بلدة أقحصار[1] في ولاية البوسنة اليوغسلافية، وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

يقول عن نسبه: «حكى والدي ـ تغمده الله بغفرانه ـ وبعض الثقات من أقرانه أن جدي المرقوم يعقوب المرحوم قد عاش

(١) أقحصار كلمة تركية، معناها المدينة البيضاء، وهي ترجمة حرفية لاسم المدينة عند سكانها الأصليين، ثم اشتهرت عندهم باسم «بروساتس» وهي موجودة إلى اليوم بهذا الاسم.

مائتين[1] وسبعاً وعشرين سنة، وكان مولده في جانب إسكندرية الرومية[2]، ثم ارتحل إلى قرية ذيب بناحية أقحصار، وهو نصراني، ثم هداه العزيز الغفار فأسلم عند مجيء أبي الفتح السلطان محمد خان[3] لفتح ديار أقحصار، وعاش في الإسلام إلى أوائل سلطنة السلطان سليمان خان[4] عليه الرحمة والغفران. وإن جدي داود المرحوم قد عاش إلى سبعين سنة، وشهد غزوات، ثم استشهد عند محاصرة القلعة المعروفة بـ «ورانيه» من قلاع خروات[5]. وعاش والدي ـ رحمه الله ـ بالقناعة والصلاح ستاً وتسعين سنة، ثم توفي بأقحصار في المحرم سنة أربع وتسعين وتسعمائة، عفا عنهم العفو الغفار.

وسمعت من والدتي المرحومة أن هذا العبد الضعيف وُلد بأمر الله اللطيف يوم الجمعة بعد العصر في رمضان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، في زمان السلطان العادل سليمان خان بن السلطان سليم[6] خان بن السلطان بايزيد خان[7] بن السلطان أبي الفتح محمد خان ـ عليهم رحمة ربهم الرحمٰن»[8].

---

(1) هكذا جاء في مخطوطة الكتاب رقم ٩٤٦ لوحة ١٦ ـ ب، وذكر المؤرخ صالح صدقي أنه عاش مائة وعشرين سنة. (تاريخ ديار بوسنة ص: ٧٧ مخطوط باللغة التركية) ولعل هذا هو الصواب، وذاك غلط من ناسخ.

(2) اسكندرية مدينة مشهورة في جنوب يوغسلافيا على حدود ألبانيا، (الموسوعة اليوغسلافية الميسرة ص: ٩٠٢).

(3) هو محمد الثاني الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١ م).

(4) هو السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م).

(5) خروات (كرواتيا) إحدى الجمهوريات الست اليوغسلافية، تقع غرب جمهورية بوسنة وهرسك.

(6) هو السلطان سليم بن بايزيد (١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م).

(7) هو السلطان بايزيد بن محمد الفاتح (١٤٨١ ـ ١٥١٢ م).

(8) نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء لوحة ١٦ ـ أ.

نشأته

لم يُخبرنا المؤلف ـ رحمه الله ـ عن فترة حياته من بعد الولادة إلى بداية طلبه للعلم، وما زالت تلك الفترة من حياته مجهولة، لكنني أستطيع من خلال عباراته أن أطرح بعض الاحتمالات.

قال في ترجمته عن نفسه: «ثم أخذت في التحصيل وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ولما تيسر لي تحصيل مبادىء العلوم في بلادنا ارتحلت إلى دار السعادة قسطنطينية المحمية في أوائل سلطنة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والغفران»[1].

فمن المعروف أن الأطفال في ذلك الوقت كانوا يتلقون الدروس الأولى في الكتاتيب المحلية التابعة للمساجد[2]، فمن المرجح أنه تلقى شيئاً من المعلومات الأساسية في بلدته التي ولد فيها، كما أنه من المحتمل أن يكون أبوه هو معلمه الأول، حيث كانت العادة أن يشارك الرجال كلهم في الحروب الدائرة في تلك المنطقة، إلا العجزة والأئمة والمعلمون. وذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن جده اشترك في عدة معارك، واستشهد في إحداها، وقال عن أبيه إنه عاش بالقناعة والصلاح ستاً وتسعين سنة، ولم يذكر أنه شارك في الحرب، وربما كان ذلك لكونه معلماً، والله أعلم.

ثم بعدما بلغ اثنتي عشرة سنة التحق بإحدى المدارس (الثانوية) الرسمية في بلده آنذاك. والمعروف كذلك أن المدارس في ذلك الوقت لم

---

(١) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ أ.

(٢) وما زالت هذه الطريقة موجودة في تلك البلاد، حيث ليس فيها مدارس ابتدائية دينية، فيتعلم الأطفال المسلمون أساسيات الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم في المساجد.

تكن منتشرة في مدن المنطقة، بل انحصر وجودها في مدينة سراييفو (عاصمة المنطقة)، والوثائق التاريخية أثبتت وجود ثلاث مدارس فيها في تلك الفترة: مدرسة فيروز بك ـ المؤسسة حوالي سنة ١٥١٢ م. ومدرسة خسرو بك ـ المؤسسة سنة ١٥٣٧ م. ومدرسة كمال بك ـ المؤسسة سنة ١٥٤٠ م[1].

فمن المحتمل أن المؤلف ـ رحمه الله ـ درس في إحدى المدارس الثلاث، وبقي فيها طالباً قرابة عشر سنين، ثم رحل إلى القسطنطينية وعمره ثلاث وعشرون سنة، ودرس فيها على كبار شيوخ ذلك الزمن، حتى أجيز بالتدريس ورجع إلى بلده سنة ١٥٧٥ م.



(١) انظر تراث مسلمي البوسنة والهرسك العلمي باللغات الشرقية ص: ١٦٣.

وظائفه وأعماله

يرجع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى بلده بعد إنهائه الدراسة في استانبول، ويبدأ بتدريس الطلاب في بلدته وتأليف بعض الكتب، يقول عن ذلك: «ولما منحني الله بعضاً من الفنون ونبذاً من العلوم، رجعت إلى بلدنا أقحصار المرقوم سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، فمن الله تعالى عليّ بعقد مجلس الدرس لطلبته، حتى شرعت بعناية مجيب الدعوات في بعض التأليفات . . . ثم ابتليت بقضاء أقحصار سنة إحدى وتسعين وتسعمائة»[1].

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه بعد رجوعه من استانبول، إلا أننا نجد معاصره العطائي ـ الذي كتب عنه ـ يذكر أن المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد رجوعه بفترة يسيرة، ترك التدريس في بلدته وعُين مساعداً لمفتي البوسنة في عاصمتها سراييفو، حيث شاركه في دراسة عقيدة الحمزوية[2] التي انتشرت في شمال البوسنة، وعُرفت بأفكارها الخارجة عن دين الإسلام، وذلك سنة ٩٦٨.

---

(١) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ب.

(٢) طريقة من الطرق الصوفية نُسبت إلى مؤسسها الشيخ حمزة البوسنوي، ولد في إحدى قرى بلاد البوسنة وكان منتسباً إلى الطريقة البيرامية، وكان خليفة الشيخ حسام الدين الأنقروي، واستمر وهو خليفته خمسة أعوام، ثم ظهرت منه أمور مخالفة للشرع، فقتل بإستانبول بعد أن حكم عليه بالقتل كبار القضاة. ويَحكي ابن نوعي أنه حضر قتله أحد محبيه فلما رأى سقوط شيخه حمزة أخذ سكيناً وذبح نفسه وجعلها أضحية في سبيل شيخه. ولم تنته فتنته بقتله، بل أخذ أتباعه ينشرون مذهبه الفاسد بعده، وكانوا يدعون أنهم أهل الطريقة والحقيقة، ولم يكن ينطوي تحت ذلك إلا نبذ الشريعة وطلب الإباحية الواسعة. واستمروا على ذلك حتى قضى عليهم الشيخ حسن كافي وبعض مساعديه من القضاة بقتل عدد منهم، وتوبة بعضهم، وتشريد الباقين حتى لم يعد لهم وجود. يقول صاحب الجوهر الأسنى: «لم يبق لهم الآن أثر، وهلكوا منذ أمد بعيد، ولولا التاريخ لم نعرف ذكرهم». انظر الجوهر الأسنى ص: ٤٢ و ٦٨.

ثم أصبح ملازماً للمفتي ومنح بذلك مرتبة القاضي واختار لنفسه مجال القضاء[1].

ويؤكد ذلك المؤلف نفسه حيث يقول إنه درس على يد «الشيخ الفاضل العلامة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة مشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي أبو المعالي، مولانا بالي بن يوسف، الشهير بمعلم الوزير الأكبر»[2].

يرجع بعد ذلك المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى بلدته أقحصار ويواصل التدريس إلى أن عُين قاضياً فيها سنة ٩٩١ هـ. وبعد انتهاء مدة التعيين ـ وكانت عشرين شهراً[3] ـ سافر إلى استانبول والتقى بالعلماء المشهورين، وعُين قاضياً في ولاية سريم، في شمال منطقة البوسنة، وبقي فيها قاضياً ومدرساً حتى انتهت تلك المدة كذلك.

ثم سافر إلى الحج سنة ١٠٠٠ هجرية، يقول ـ رحمه الله ـ عن ذلك السفر: «وعند ذلك شرفني الله اللطيف بشرف سفر الحج الشريف في السنة السنية التي هي رأس ألف من الهجرة النبوية...»[4].

ويُعين بعد رجوعه من سفر الحج قاضياً في إحدى ضواحي أقحصار، إلى أن بدأت الحروب والقلاقل، وانتشر الفساد، الأمر الذي جعله يترك القضاء، ويتفرغ لتأليف الكتب وتدريس الطلاب في بلدته.

لكن روح العالم المجاهد العامل لا تهدأ، فلم يبق ـ رحمه الله ـ منعزلاً عن الأحداث الكبيرة التي جرت حوله، بل تابعها بكل اهتمام، وشارك في المعارك العسكرية بنفسه، ولم يكتف بذلك، بل سجل ما رآه من عيوب نظام الدولة السائد، وأسباب الضعف وظهور الفساد، وألّف كتابه المشهور «أصول الحكم في نظام العالم» بيّن فيه الأصول الصحيحة والأسس القويمة التي عليها تقوم وبها تدوم الدولة. ثم عرض كتابه هذا

---

(١) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ١ : ٢٨٣.

(٢) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ أ.

(٣) كانت المدة المحددة للقاضي المعين في القانون العثماني عشرين شهراً، ثم يعين مرة أخرى للمدة نفسها، أو يغير مكان الوظيفة.

(٤) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ب.

على العلماء وبعض الوزراء، وقائد الجيش في إحدى المعارك، فأعجبوا جميعاً بما فيه ونصحوا المؤلف بأن يفسره باللغة التركية، حتى يستطيعوا عرضه على السلطان. ففعل ذلك وذهب بنفسه إلى العاصمة (استانبول) وقدم الكتاب إلى قائد الجيش العام[1] الذي كان أصله من منطقة المؤلف، ثم عرضه القائد هذا على السلطان[2] الذي استحسنه وأمر بنسخه والعمل بما فيه، وجازى المؤلف بأن جعله قاضياً على بلدته أقحصار مدى الحياة، شريطة أن لا يقطع درسه عن الطلاب، كي يُستفاد من علمه، كما وهبه هبة مالية كبيرة[3] أقام المؤلف ـ رحمه الله ـ من أموالها حياً جديداً في بلدته، بنى فيه مسجداً أو مدرسة ومحكمة وداراً للذكر، وبقي قاضياً ومدرِّساً فيه إلى نهاية حياته، لم يخرج منه إلا للجهاد.

وشارك ـ رحمه الله ـ في أكثر معارك تلك المنطقة إلى آخر أيام حياته، حتى أنهى كتابه الذي نحن بصدد تحقيقه أثناء محاصرة قلعة أسترغون، حيث شارك في تلك المعركة كعضو في اللجنة الاستشارية لقيادة الجيش العثماني سنة ١٠١٤ هـ. كما يقول في نهاية كتابه أزهار الروضات شرح روضات الجنات الذي أتمه كذلك أثناء مشاركته لمحاصرة القلعة المذكورة.

يقول: «قد كان تسويد المتن في آخر رجب لسنتين وألف من الهجرة النبوية، ثم تبييضه وتكميله في غزوة فتح أسترغون ـ صانه الله عن نكبات المنون ـ مع تشتت البال وكثرة الأشغال بالمشاورة والرأي في أسباب الفتح والظفر، وتدبير أحوال العسكر مع الوزير الكبير المظفر الغازي محمد باشا ـ يسر الله كل ما يشاء، في أوائل جمادى الأولى سنة أربع عشرة وألف. . .»[4].

وبعد هذا التاريخ لا نجد أي معلومات عن حياته إلى الوفاة، ومن

---

(١) هو الحافظ أحمد باشا المتوفى سنة ١٠٤١ هـ. تولى ولاية البوسنة مدة يسيرة، كما تولى الصدارة العظمى مرتين. وقد صرح المؤلف باسمه كما في إحدى النسخ المخطوطة للكتاب. انظر أصول الحكم في نظام العالم (المطبوع) ص: ٦ و ١٩.

(٢) هو السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧) وتأتي ترجمته.

(٣) انظر نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء لوحة ١٨ ـ ب و ١٩ ـ أ.

(٤) أزهار الروضات شرح روضات الجنات لوحة ٦٤ ـ ب.

المرجح أنه استقر في بلدته ـ لا سيما بعدما أبرم الصلح بين الدولة العثمانية ومملكة النمسا مدته عشرون سنة[1] ـ وتفرغ للتدريس والقضاء والتأليف، وإنشاء مرافق الحي الجديد الذي سبق ذكره، كما أنه قام بتوصيل مياه عذبة للشرب إلى ذلك الحي الذي توسع وصار بلدة بنفسه.

زار الرحالة التركي المشهور أوليا شلبي بلدة المؤلف ـ رحمهما الله تعالى ـ بعد وفاته بخمس وأربعين سنة ووصف الأوقاف التي أوقفها، وسجل في كتابه[2] أن الدكان الذي بناه حسن كافي تم بناؤه سنة ١٠٢١ هـ. فيؤكد ذلك احتمال ما قلته.

هذا ويمكن حصر أعمال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في الأمور التالية:

أولاً: جهاده المتواصل في نصرة هذا الدين وإعلاء كلمته.

فقد جاهد ـ رحمه الله ـ قولاً وعملاً، وكان قدوة حية تمثل العالم المجاهد العامل الذي ينبغي أن يكون على شاكلته كل عالم كان علمه لوجه الله تعالى.

شارك في المعارك التي دارت في تلك المنطقة مشاركة فعلية كاملة: كجندي عادي حيناً، وككبير من كبار المستشارين في القيادة حيناً آخر، مطبقاً بذلك كل ما تعلم وعلمه للآخرين من الإخلاص لله تعالى، وبذلِ كل ما أمكن من هذه الدنيا الفانية في سبيل تحقيق الغاية التي لأجلها خُلق الإنسان.

اهتم بحال الأمة اهتماماً كبيراً وحاول إصلاح ما بدأ يفسد في المجتمع الإسلامي آنذاك، قدر المستطاع، وضرب بذلك مثلاً رائعاً، حيث رأى أنه لا بد للأمة من أسس وقواعد سليمة تبني عليها مجتمعها ودولتها، فألّف كتاباً شرح فيه تلك الأسس والقواعد، وكشف عن العيوب الحاضرة في المجتمع الحالي والنظام السائد، وعرض ذلك كله على الخليفة نفسه، مؤدياً بذلك واجبه الإسلامي.

---

(١) تراث مسلمي البوسنة وهرسك العلمي باللغات الشرقية ص: ١٧٦ (باليوغسلافية).
(٢) سياحة نامة ص: ١٣١ ـ ١٣٤. (القسم المترجم إلى اللغة اليوغسلافية).

ولأنه كان يبتغي بذلك كله وجه الله سبحانه وتعالى دون غيره، لقيت كتاباته قبولاً كبيراً لدى الناس في حياته وبعد مماته إلى يومنا هذا، وما زالت آثارها الطيبة تُسجل ـ بإذن الله تعالى ـ في ميزان حسناته.

ثانياً: نشره للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي نُقلت إلينا من السلف الصالح، دون الشوائب والغوامض التي أُلحقت بها فيما بعد، ونشر الأخلاق الإسلامية صافية سليمة كما جاء بها الإسلام، لا كما حُرف كثير منها وانتشر بتلك الصور الخاطئة في البيئة المحيطة به.

أدرك ـ رحمه الله ـ تمام الإدراك أن العقيدة هي أساس المجتمع وعلى صحتها وسلامتها تتوقف صحته وسلامته، فألّف في العقيدة عدة تآليف، وحاول أن يتحرر من قيود التقليد السائد في وقته، فلم يُردد ما كان منتشراً من الأفكار والمتون القديمة، بل ذهب يُهذّب ويبسط تلك المؤلفات المشهورة، حيث لم يكتب شيئاً إلا إذا أسنده إلى دليل من الكتاب أو السنة، وأيده ببرهان عقلي إن أمكن، رداً على من زعم خلافه.

ثالثاً: انطلاقاً مما كان يعتقد، ومحاولة منه لنشر الحق بجميع الوسائل، حارب الفرق الصوفية المنحرفة التي راجت أفكارها الملحدة في بعض مناطق الولاية.

فسبق أن ذكرت أنه درس مع مجموعة من العلماء عقيدة الطريقة الحمزوية المشهورة والمنتشرة في شمال الولاية، حيث حكموا على رؤسائها بالكفر وأمروا بقتلهم وحبْس بعض مريديهم، فنُفذ ذلك وقُضي ـ بفضل الله ـ على مصدر من مصادر الشر والفتنة في تلك المنطقة[1].

رابعاً: ولعل من أعظم الأعمال التي قام بها ـ رحمه الله ـ تدريسه لطلبة العلم طول حياته، وإقامته المدرسة المشهورة بجميع مرافقها، حيث صارت بها بلدته المركز الثالث من مراكز العلم الكبيرة في الولاية كلها.

والذي رفع من شأن المدرسة إعطاؤه إياها طابعاً حديثياً، فاشتهرت بمدرسة الشيخ حسن كافي الحديثية، وخرجت أعداداً كبيرة من العلماء والمدرسين والقضاة الذين ساهموا في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة

---

(1) انظر الجوهر الأسنى ص: ٤٢.

والمدرسين والقضاة الذين ساهموا في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة عدة قرون. ويتبين ذلك واضحاً من ذكر بعض تلاميذه في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

وما زال المسجد الذي بناه قائماً، وتُصلى فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، وتدرس الأطفال أساسيات الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم بالعربية.

وأُغلقت مدرسته مع إغلاق أكثر المدارس الإسلامية في المنطقة، بعد مجيء الحكم الشيوعي إثر نهاية الحرب العالمية الثانية.

خامساً: ومما يجب ذكره من أعماله، مؤلفاته الكثيرة المتنوعة التي اشتهرت في زمنه وبعد وفاته، وما زالت محل الاهتمام، حيث يُترجم ويُحقق ويُطبع عدد منها باللغات المختلفة، وسيأتي ذكرها بالتفصيل، إن شاء الله تعالى.



زهده وورعه

كان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كما مر، مطلعاً على علوم كثيرة، كالفقه، والأصول، والنحو، والصرف، والمنطق، والأدب، والتاريخ، والسياسة الشرعية، وغير ذلك. ومما يزيد من علو شأنه أنه مع ذلك كله كان في الوقت نفسه زاهداً ورعاً، يكتفي بالقليل من هذه الدنيا ويتقي الله ـ سبحانه وتعالى ـ في حياته الشخصية والعلمية، وفي شؤونه كلها.

ينقل صاحب الجوهر الأسنى من بعض المصادر ما نصه: «يحكي ابن نوعي، وكاتب شلبي أنه صام الدهر نحواً من ثلاثين سنة، وأنه كان يفطر في ثلاثة أيام مرة، عشرين سنة، ويتخذ صوم داود شعاراً لنفسه، ويلبس مكان القميص اللطيف ثوباً خشناً. وكان يبغض مشايخ الطرق في زمانه، ويعترض عليهم ويقرعهم بحجج الشرع، ويقول: لو كانت الكرامة تُنال بالرياضة لنلتها. يقول ذلك تواضعاً وهضماً للنفس، وحكى غيرهما أنه كان في الطريق الموصل إلى بيته محل يُغنى فيه ويُضرب بآلات اللهو، فكان لا يمر من هذا الطريق إذا مشى إلى بيته، بل يذهب من طريق آخر أطول منه»[1].

(1) الجوهر الأسنى ص: ٥٨.

وفاته

ذكر أصحاب التراجم الذين ترجموا له أن وفاته كانت ليلة خامس عشر من شعبان سنة ١٠٢٥ هـ. حيث ذُكر ذلك في مخطوطات بعض مؤلفاته. لكني وجدت في بعض المخطوطات الأخرى ذكر سنة ١٠٢٤، كما أن هناك مخطوطة لكتابه نظام العلماء التي نسخت من نسخة المؤلف سنة ١٠٢٦ ـ لسنتين بعد وفاة المؤلف ـ ووُجدت هذه المخطوطة في المدرسة الفوزية في مدينة ترافنيك التي تبعد عن بلدة المؤلف ٤٥ كيلو متراً، فيكون من المرجح أنها من عمل أحد تلاميذه، لا سيما وقد ذُكر في نهايتها أسماء بعض تلاميذ المؤلف الذين درسوا عنده في بلدته. وجاء في تلك المخطوطة أنه توفي في اليوم السادس عشر من رمضان سنة ١٠٢٤، ثُم كتبت في ذلك الأبيات التالية:

تاريخ وفاة كافي شيخ حسن أفندي ... القاضي والمفتي بأقحصار الأقحصاري
قيل الهاتف هذا التاريخ ... نال جاهاً ونجاةً وسروراً[1]

فإذا جمعنا قيمة الحروف العددية في الطرف الآخر من البيت الثاني نجد أنها ١٠٢٤، وهي سنة وفاته.

ودُفن مع زوجته في غرفة تحت مبنى المحكمة، وهذا المبنى موجود إلى اليوم على شكله الذي بناه ـ رحمه الله ـ على بعد عشرين متراً (تقريباً) من مسجده من الجانب الأيمن، وقد زرت هذا المكان بنفسي[2].

---

(١) نظام العلماء هامش لوحة ١٦ ـ ب.

(٢) انظر كتاب «بروساتس وآثاره التاريخية» فقد وصف ما بقي من آثار المؤلف بالتفصيل، مع بعض الصور لها.

حياته العلمية

المبحث الأول: طلبه للعلم

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: ثقافته ومؤلفاته

المبحث الرابع: مكانته العلمية

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه

طلبه للعلم

كانت عاصمة الخلافة العثمانية هي مركز العلم والثقافة في عصر المؤلف، خاصة بالنسبة إلى أهل الجزء الأوروبي من الدولة. فكانت العادة أن يذهب الطالب لنيل الشهادات العليا إلى استانبول، رغم وجود عدد من المدارس وكبار المشايخ في تلك البلاد.

فنرى المؤلف ـ رحمه الله ـ بعدما أخذ العلوم الأولية في بلاده، يرحل إلى الأستانة (استانبول) ويتعلم في إحدى مدارسها، ثم يلحق بعض الشيوخ ملازماً لهم، حتى حصل على إجازات التدريس منهم، وكانت «الملازمة» شرطاً لكل متخرج حتى يتمكن من التعيين في مجال التدريس أو القضاء.

يقول ـ رحمه الله تعالى: «ولما تيسر لي تحصيل مبادىء العلوم في بلادنا ارتحلت إلى دار السعادة قسطنطينية المحمية في أوائل سلطنة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والغفران. وأخذت من المشايخ والعلماء، واشتغلت عند كثير من الفضلاء، حتى انتسبت إلى خدمة الشيخ الفاضل الكامل، والعالم الأستاذ العامل، معيد الإمام كمال باشا زاده[1] المتقاعد بالتدريس في بلدة جتالجة ـ تغمده الله برحمته، وصرت متتلمذاً من حضرته العزيزة، متلذذاً بصحبته اللذيذة، مقتبساً من أنوار أنفاسه الشريفة، مغترفاً من بحار أبحاثه اللطيفة، فأخذت ما أخذت من حضرته، ووجدت ما وجدت من خدمته، عوضه الله بجنته»[2].

---

(١) هو حاجي أفندي قره بيلان المشهور بمعيد كمال باشا زادة، توفي سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة. ترجم له المؤلف في نظام العلماء تحت رقم ٢٨، لوحة ١٦ ـ أ.

(٢) نظام العلماء، لوحة ١٧ ـ أ.

ثم ذكر بعض مشايخه الكبار ـ يأتي ذكرهم ـ إلى أن قال: «ولما منحني الله بعضاً من الفنون، ونبذاً من العلوم رجعت إلى بلدنا أقحصار المرقوم سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة»[1]. فتكون مدة دراسته التي قضاها في استانبول حوالي تسع سنين، ورجع إلى بلده وعمره فوق ثلاثين سنة.

ثم تتلمذ على يد «الشيخ الفاضل العلامة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة المشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي، أبو المعالي بالي بن يوسف الشهير بمعلم الوزير الكبير»[2] الذي كان قاضياً ومفتياً لديار البوسنة.

لقد ساعده المؤلف في دراسة عقيدة الطريقة الحمزوية، ثم صار ملازماً له، وأخيراً أجيز بالقضاء سنة ٩٨٧ هـ[3].

وتُعتبر رحلته إلى الحج من رحلاته العلمية التي التقى أثناءها بكثير من علماء المراكز الإسلامية المشهورة، مثل القدس، ودمشق، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة وغيرها، ناقش معهم المسائل العلمية المختلفة، كما أنه عرض عليهم بعضاً من تآليفه، وخاصة كتابه: «سمت الوصول إلى علم الأصول» الذي أتمه في بداية هذه المرحلة.

يقول ـ رحمه الله ـ: «... شرعت في تصنيف كتاب سمت الوصول إلى علم الأصول، وعند ذلك شرفني الله بشرف الحج الشريف، في السنة السنية التي هي رأس ألف من الهجرة النبوية. فبعناية الله تعالى وتبارك أتممته في ذلك السفر المبارك، فعرضته على علماء القدس والشام الشريفتين، ثم فضلاء مشايخ الحرمين المحترمين، خصوصاً على شيخنا وأستاذنا الشيخ الأنور ميرغضنفر ـ أعزه الله العزيز الأكبر ـ فبعد قبولهم بالاستحسان أكرموني بمزيد الإحسان، أكرمهم الله الملك المنان يوم الحساب والميزان...»[4].

يضاف إلى ما سبق رحلاته العديدة إلى استانبول التي كان يلتقي

---

(١) المصدر السابق، لوحة ١٧ ـ ب.
(٢) المصدر السابق، لوحة ١٦ ـ أ.
(٣) تراث مسلمي البوسنة والهرسك العلمي باللغات الشرقية، ص: ١٦٦.
(٤) نظام العلماء ١٧ ـ ب.

خلالها بعلماء العاصمة، ويناقشهم في المسائل العلمية، ويعرض عليهم تأليفاته ويستشيرهم فيها.

منها رحلته التي عرض فيها كتابه أصول الحكم في نظام العالم على السلطان نفسه. يقول عنها: «فبعدما شرحته بأوضح العبارات وأصح الاعتبارات في رجب المرجب لسنة خمس وألف، تركت القضاء وعزمت إلى دار السلطنة قسطنطينية المحمية، حماها الله في ظل واليها عن البلية، وحفها بالبركات السنية والميامن البهية، فإذا لاحظه من بيده العقد والحل[1] ـ أعزه الله عزّ وجلّ ـ عرضه مع بعض مؤلفاتي على الحضرة العلية وأرسله إلى السُدة السنية، لا زالت مرجعاً لطوائف الأنام، وملجأ للعلماء الأعلام. فلما لمعت لمحة من تقليب حدقته الكريمة على تلك الأوراق ـ أرجو أن تكون محرراتي نور الحدائق ونور الأحداق ـ وإذا لمحت لحظة من عين عنايته العميمة بتعقيب شيء من الالتفات ـ آمل أن تصير مؤلفاتي ثقة للأعيان وعيناً للثقات ـ وذلك لما أنه ـ خلد الله ملكه وأيد دولته ـ أعطاني قضاء أقحصار بخطه الشريف المبارك جليل الاعتبار، على طريق التأبيد والتقاعد، بشرط التدريس لطلبة الديار»[2].

ثم استقر بعد ذلك في بلدته مدرساً في مدرسته المشهورة، ومفتياً للناس، وقاضياً بينهم في مسائل الشرع، وخاصة في أحكام الزواج والمواريث.

---

(١) هو الوزير الأعظم الحافظ أحمد باشا، كما جاء في إحدى نسخ الكتاب. هذا ويحتمل أن المؤلف بقي في إستانبول فترة، وألّف أثناءها كتابه نظام العلماء، حيث يُستبعد أنه استطاع أن يرجع إلى كل تلك المراجع التاريخية القيّمة في بلدته، بل يترجح أنه راجع المكتبات الغنية في إستانبول إلى صدور الأمر السلطاني بتعيينه قاضياً في بلدته أقحصار على وجه التأبيد.

(٢) نظام العلماء لوحة ١٨ ـ ب و ١٩ ـ أ.

شيوخه وتلاميذه

سبق أن ذكرت أن المصدر الوحيد لأغلب المعلومات المتعلقة بحياة المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو ما كتبه المؤلف عن نفسه. فقد ذكر أنه درس على كثير من العلماء، ولازم كثيراً من الفضلاء، لكنه لم يسمّ إلا عدداً قليلاً منهم، ولم أجد أحداً ممن كتب عنه زاد في أسماء شيوخه شيئاً على ما ذكره ـ رحمه الله ـ

ويُلاحظ من عباراته التي يصف بها شيوخه أنه كان يجلهم إجلالاً كبيراً، حيث يصفهم بألقاب علمية مختلفة، وأوصاف حميدة متنوعة، وسبق شيء منها في عباراته المنقولة، فأكتفي هنا بذكر أسمائهم دون تلك الأوصاف.

أولاً ـ الذين صرح بأسمائهم:

١ ـ حاجي أفندي قره بيلان المشهور بـ «معيد كمال باشا زاده» لأنه كان معيداً لكمال باشا زاده المشهور ـ صاحب كتاب «الصلاة» الذي شرحه المؤلف ـ ثم صار (حاجي أفندي) أمين فتواه إلى أن أُحيل على التقاعد، بشرط أن يدرس بمدرسة علي باشا في بلدة جتالجة قرب استانبول، وقد كان بارعاً في علم الفقه خاصة. توفي سنة ٩٨٣ هـ. وقد جاوز المائة. ترجم له المؤلف في «نظام العلماء» تحت رقم ٢٨[(١)].

٢ ـ ملا أحمد الأنصاري المشهور بـ «العجم»، كان مدرساً في عدة مدارس في ضواحي استانبول، ثم في مدرسة حسن بك زاده، ومدرسة إسمهان في استانبول نفسها. ويبدو أن المؤلف درس عنده في إحدى تلك المدارس، وأخذ عنه التفسير والأصول، على حسب تعبيره[(٢)].

---

(١) انظر نظام العلماء لوحة ١٦ ـ أ.

(٢) انظر نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ١.

٣ ـ بالي أفندي بن يوسف البوسنوي، المشهور بـ «معلم الوزير الأكبر». كان معلماً للأولاد، ثم تقلب في عدة وظائف إلى أن صار قاضياً في ولاية بوسنة. وكان مشهوراً بالعلم والصلاح. توفي سنة تسعين وتسعمائة. لازمه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وساعده في تنفيذ مهمة دراسة عقيدة الطريقة الحمزوية، وقد مرّ ذكر ذلك[1].

٤ ـ ميرغَضَنفَر بن جعفر الحسيني، كان أستاذاً لسلطان الهند جلال الدين الأكبر، ثم استوطن ـ بعد تقاعده ـ المدينة الطيبة، ودرّس في المسجد النبوي الشريف. وقد حضر المؤلف بعض دروسه أثناء رحلة الحج، والتقى به وعرض عليه بعض تآليفه، فأثنى عليها ثناءً كبيراً[2].

تلاميذه:

كما أن المؤلف ـ رحمه الله ـ كان يجلّ شيوخه، ويلقبهم بألقاب علمية مختلفة، فكذلك شأنه مع تلاميذه، حيث ترجم لثلاثة منهم وأثنى عليهم ثناءً بالغاً، وهم:

١ ـ «ومن أجلّ أصحابنا المجاهدين، وأعزّ أحبابنا الأقحصاريين فخر القضاة العادلين، زخر الولاة المقسطين، القاضي علاء الدين علي بن مصطفى بن حسام الدين» المشهور بشيخ زاده. وأحد شعراء المنطقة المشهورين، وشعره باللغة التركية[3].

٢ ـ القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الدين، المشهور بآغا زاده[4].

٣ ـ الإمام الخطيب منلا محمد بن حسن[5].

هؤلاء هم الذين ذكرهم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وقد وجدت على هامش مخطوطة كتاب نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء رقم ٩٤٦، أسماء تلاميذ المؤلف الآخرين، أضافها القاضي خليل بابا الأقحصاري

---

(١) انظر المصدر والمكان السابقين، وترجم له صاحب الجوهر الأسنى، ص: ٤٢.
(٢) انظر نظام العلماء لوحة ٧١ ـ ب.
(٣) نظام العلماء لوحة ١٩ ـ ب، وانظر ترجمته في تراث مسلمي البوسنة ص: ٢٤٩ ـ ٢٥١.
(٤) انظر نظام العلماء لوحة ١٩ ـ ب.
(٥) انظر المصدر والمكان السابقين.

النوآبادي، تلميذ أحد تلاميذ المؤلف، وأدرك المؤلف كذلك، كما قال عن نفسه في الصفحة ٣٦ من تلك المخطوطة.

ذكر أسماء الأقحصاريين أولاً، وهم على حسب ما سماهم:

٤ ـ مولانا إسماعيل كمال القاضي.

٥ ـ مولانا حمدي.

٦ ـ أخوه الأصغر القاضي.

٧ ـ مولانا أحمد بن محمد، المشهور بخوجا زاده.

٨ ـ أخوه الأصغر، مولانا محمد القاضي.

٩ ـ مولانا محمد بن علي القاضي، المشهور بشيخ زاده.

١٠ ـ مولانا محمد المدرس، المشهور بكويو زاده.

١١ ـ مولانا رجب بن محمد ـ زائر الحرم المحترم ـ القاضي.

وغيرهم من المفكرين والمدرسين والأئمة والخطباء الراسخين في العلم.

ثم ذكر أسماء النوآباديين[١] على النحو التالي:

١٢ ـ أستاذنا مولانا الشيخ حسن، المشهور باسم جوزي زاده.

١٣ ـ أعز أحبابنا وأخونا، مولانا الشيخ حسن الخطيب.

١٤ ـ مولانا عباس الخطيب.

١٥ ـ مولانا محمد، معيد شيخ الإسلام يحيى، المشهور بمتولي زاده.

١٦ ـ مولانا رضوان بن حلمي، إمام وخطيب ومدرس أمير الأمراء محمد بك مالقوج.

١٧ ـ ومن أفقر وأصغر تلاميذه هذا العبد الفقير الضعيف خليل بابا أوروج[٢].

هذا ولم تزل مدرسته تخرج أجيالاً من العلماء تضيء الطريق السليم لأهل تلك المناطق قروناً عديدة، إلى أن جاءت النكسة الكبرى، وتمزقت

---

(١) توسع الحي الذي أقامه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ونشأ بجانبه حي جديد سُمي بـ «نوآباد»، (الحي الجديد).

(٢) نظام العلماء، لوحة ١٩ ـ ب.

الدولة العثمانية، وألغيت الخلافة. ثم هدّمت الحرب العالمية الأولى ما هدمت من القيم والمعالم الإسلامية إلى أن حكم تلك البلاد الحزب الشيوعي إثر نهاية الحرب العامة الثانية، وأغلق جميع المدارس الدينية، وقضى على أكثر العلماء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد شهدنا ـ بفضل الله تعالى ـ في الأيام الأخيرة سقوط الشيوعية العالمية، ورأينا مسلمي تلك البلاد بمجرد ما سُمح لهم أن يعبروا عن شخصيتهم صراحة، وبمجرد ما تُركوا وشأنهم، يرجعون إلى الإسلام، ويؤكدون أن الإسلام هو الهوية الحقيقية الوحيدة لهم.

فأجريت في جمهورية البوسنة والهرسك ـ في العام الماضي ـ الانتخابات الحرة لأول مرة بعد أكثر من خمسة وأربعين سنة، وفاز فيها المسلمون، وصار رئيسها الجديد أحد مفكري المسلمين المشهورين، الذي أوذي في سبيل دينه خلال فترة الحكم الشيوعي، كما صار وزراء أهم الوزارات من المسلمين المشهورين بتمسكهم بدينهم، ولله الحمد والمنة. وسبحان الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

وقد طالب المسلمون باسترجاع جميع الأوقاف الإسلامية التي صودرت، وفَتْح جميع المدارس الإسلامية التي أُغلقت، ووعدت الحكومة الجديدة بتنفيذ ذلك كله، فنرجو أن يكون في ذلك نصيب أكبر لأوقاف الشيخ حسن كافي الأقحصاري وأن تعود مدرسته، تُسهم من جديد في بناء المجتمع الإسلامي الرصين في تلك الديار المسلمة، وسط العالم المسيحي والمجتمع العلماني المادي الأوروبي.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينصرنا في تحقيق ذلك، وأن ينصر جميع المسلمين فيما يحبه ويرضاه.

ثقافته ومؤلفاته

كما أننا نجد نقصاً في المعلومات عن حياة المؤلف، تنقصنا كذلك المعلومات الكافية عن بعض تآليفه. فمن المعروف أن الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله ـ كتب الشعر كذلك، وباللغات الثلاث ـ العربية والتركية والفارسية ـ ولم نعثر إلى الآن إلا على عشرة أبيات تقريباً، وكلمات محدودة قيلت في مناسبات معينة.

أما الكتب التي ألفها، أو شرح فيها كتباً أخرى، فهي كثيرة متنوعة. فقد ذكر في ترجمته عن نفسه أنه ألف أحد عشر كتاباً في خمسة من الفنون المختلفة، وذلك إلى سنة سبع وألف، وهي السنة التي ألف فيها كتابه نظام العلماء وترجم فيه لنفسه. وذكر غيره عشرة تآليف أخرى، كتبها بعد ذلك. والملاحظ أن جميع مؤلفاته باللغة العربية.

يقول عنه معاصره العطائي إنه كتب كتباً كثيرة في فنون مختلفة، وأن رسائله الصغيرة المؤلفة في مناسبات مختلفة لا تُعد ولا تُحصى[1]. ويقول الرحالة التركي المشهور أوليا شلبي أنه كتب في جميع العلوم كتاباً مستقلاً[2].

وهذه هي المؤلفات التي ذكرها في ترجمته عن نفسه:

١ ـ أول ما كتبه رسالة في تحقيق لفظ شلبي[3]

---

(١) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ٢: ٥٨٤.

(٢) أوليا شلبي أديب تركي مشهور، ورحالة معروف، تنقل في جميع أنحاء الدولة العثمانية وسجل ما شاهد فيها، فبقيت كتاباته من المصادر التاريخية المهمة. توفي سنة ١٠٥٩ هـ. تُرجم القسم الذي كتبه عن جزيرة البلقان إلى اللغة البوسنوية وطُبع هناك. انظر الصفحة ١٣١ ـ ١٣٣ من تلك الترجمة.

(٣) لفظ «شلبي» لقب من الألقاب العلمية كان يُطلق على من بلغ درجة معينة من العلم، ثم تساهل الناس في استخدامه أيام الشيخ حسن كافي، فصار يُطلق على كل غني وذي =

وذلك لأن لقب «شلبي» بدأ يُطلق ـ في زمنه ـ على كل غني ذي نسب شريف، فبين ـ رحمه الله ـ أن هذا اللقب خاص بالعلماء ولا علاقة له بالغنى والنسب.

ولهذه الرسالة مخطوطة في مكتبة غازي خسرو بك بسرايفو تحت رقم ٩٤٨.

٢ـ مختصر الكافي من المنطق.

ألفه سنة ثمان وثمانين وتسعمائة. وتوجد مخطوطة له في معهد الدراسات الشرقية المذكور تحت رقم ٥٩١

٣ـ شرحه، ولم يُعثر عليه.

٤ـ حديقة الصلاة

في شرح مختصر الصلاة، للإمام كمال باشا زاده. وقد حصل خلط في شأن هذا الكتاب، حيث ذكر حاجي خليفة في كلامه عن كتاب مقدمة الصلاة لشمس الدين محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة ٩٣٤هـ [(١)] أن من شروح هذا الكتاب حديقة الصلاة، الذي كتبه الشيخ حسن كافي الأقحصاري، إلا أنه لا ينسب المتن إلى المؤلف، بل ينسبه إلى كمال باشا زاده بناء على قول شيخه قره بيلان، وهو تلميذ كمال باشا المذكور. وتبع صاحب الجوهر الأسنى [(٢)] حاجي خليفة في ذلك، والصحيح أن كتاب مختصر الصلاة لكمال باشا زاده الذي شرحه المؤلف غير كتاب مقدمة الصلاة للفناري [(٣)]، وكتبه سنة ٩٩٨ كما هو مكتوب في آخر المخطوط رقم ١٩٦٨ في معهد الدراسات الشرقية بسرايفو.

٥ـ سمت الوصول إلى علم الأصول

ألفه سنة ألف للهجرة، وعرضه على علماء الأمصار أثناء رحلة

= نسب رفيع، فعارض ذلك المؤلف ـ رحمه الله ـ معارضة شديدة، وألف رسالة صغيرة بيّن فيها معنى هذا اللفظ، وأنه يُطلق على العلماء فقط، ولا علاقة له بالغنى والنسب.

(١) كشف الظنون ١: ٣٩٨.

(٢) انظر الجوهر الأسنى ص: ٥٧.

(٣) انظر تراث مسلمي البوسنة العلمي باللغات الشرقية ص: ١٧٩ ـ ١٨٠.

الحج، فأثنوا عليه ثناءً كبيراً، ثم طُلب منه أن يشرحه ففعل. له نسخة في المكتبة المذكورة تحت رقم ٣٤٠٦، وبلغني أن أحد طلاب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، من إخواننا السعوديين، قد سجل رسالة الماجستير في تحقيقه.

٦ ـ شرح سمت الوصول

كتبه في بلدته أقحصار سنة ١٠٠٤ هـ. وله نسخة مخطوطة نُسخت من نسخة المؤلف، على حسب المكتوب في آخرها، وهي في معهد الدراسات الشرقية تحت رقم ٦٤٠. وله نسخ أخرى في المكتبة المذكورة.

٧ ـ أصول الحكم في نظام العالم

كتب أصله بالعربية سنة ١٠٠٤ هـ. في بلدته، ولهذا الكتاب نسخ كثيرة، منتشرة في شتى أنحاء العالم، يوجد عدد منها في المكتبة المذكورة.

٨ ـ ثم شرحه باللغة التركية سنة ١٠٠٥ هـ. وقد طُبع هذا الكتاب بأصله العربي في استانبول سنة ١٢٨٥ هـ. وطُبع أصل هذا الكتاب مترجماً إلى عدة لغات: التركية، الفرنسية، المجرية، الألمانية، والبوسنوية (اليوغسلافية). وشرحه بالعربية صاحب الجوهر الأسنى أثناء دراسته في الأزهر الشريف سنة ١٣٤٦ هـ[١].

وقد ذكر هذا الكتاب محققا شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز في مقدمتها، وقالا: «ومن مؤلفات هذا العالم الجليل كتاب أصول الحكم في نظام العالم، وهو كتاب عظيم في بابه، غاية في النفاسة، قامت بنشره الجامعة الأردنية بتحقيق الأستاذ المفضال نوفان رجا الحمود». انظر ١/٤٩.

٩ ـ تمحيص التلخيص، في علم البلاغة

هذب واختصر فيه كتاب التلخيص للخطيب القزويني، انتهى من تبييضه سنة ١٠١٠ هـ. له مخطوط في المكتبة المذكورة تحت رقم ١٦٨٩.

١٠ ـ روضات الجنات في أصول الاعتقادات.

---

(١) انظر المصدر السابق ص: ١٨٩ ـ ١٩٢.

أنهاه أثناء محاصرة قلعة أسترغون، مع كتابه نور اليقين في أصول الدين سنة ١٠١٤ هـ. وانتشر كتابه هذا انتشاراً واسعاً كذلك، حيث توجد نسخ منه في مكتبات العالم المختلفة، كما أن عدداً منها موجود في المكتبة المذكورة في سرايفو. وقد طُبع في استانبول سنة ١٣٠٥ هـ. كما طُبعت ترجمته باللغة التركية، والبوسنوية، والأخيرة منتشرة ومتداولة في بلادنا إلى هذه الأيام.

١١ ـ نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء

ذكر فيه سلسلة شيوخه إلى النبي ـ ﷺ ـ، ولكل واحد منهم ترجمة مختصرة مفيدة، كما ترجم لنفسه، وثلاثة من أبرز تلاميذه. ولهذا الكتاب نسخ عديدة في المكتبة المذكورة، وغيرها من المكتبات في بلادنا. وطُبع مترجماً إلى اللغة البوسنوية سنة ١٩٣٥ م.

هذا ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في ترجمته، وذكرت المصادر الأخرى[(١)] إضافة إلى ما صرّح به المؤلف المؤلفات التالية:

١٢ ـ أزهار الروضات في شرح روضات الجنات

أنهاه في شهر شوال سنة ١٠١٥ هـ. كما قال في نهايته في المخطوطة رقم ٩٠٢ في المكتبة المذكورة، وفيها نسخ أخرى لهذا الكتاب.

١٣ ـ نور اليقين في أصول الدين

هو موضوع الرسالة، ويأتي تفصيل عنه.

١٤ ـ شرح تمحيص التلخيص

شرح فيه كتابه في علم البلاغة المتقدم ذكره. له مخطوط تحت رقم ١٦٨٩ في المكتبة المذكورة.

١٥ ـ رسالة في بعض مسائل الفقه

---

(١) انظر: الجوهر الأسنى ص: ٥٤ ـ ٥٧؛ مسلمو بوسنة وهرسك في الأدب الإسلامي ص: ٥٠ ـ ٥٩؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢: ٤٤٣ و ٦٥٩؛ سياحة نامة (باليوغسلافية) ص: ١٣١ ـ ١٣٣؛ فذلكة التاريخ ١: ٣٨٠؛ حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ٢: ١٥٨٤؛ تراث مسلمي البوسنة ص: ١٧٧ ـ ١٨٢.

ذكر هذه الرسالة صاحب الجوهر الأسنى[1].

١٦ـ رسالة في حاشية كتاب الدعاوى لصدر الشريعة من كتابه شرح الوقاية.

أنهاه سنة ٩٩٤هـ. وله مخطوط في المكتبة المذكورة تحت رقم ٩٤٦منقولة من نسخة المؤلف، على حسب المكتوب في نهايتها.

١٧ـ سيف القضاة في التعزير

رسالة صغيرة شرح فيها بعض المواضيع في باب التعزير من كتاب شرح الوقاية المذكور. وله نسخة في المكتبة المذكورة تحت رقم ٩٤٦.

١٨ـ شرح مختصر القدوري

ذكر هذا الكتاب ابن نوعي وقال إنه في أربعة مجلدات[2]، ونقل ذلك عنه غيره، إلا أنه يُعتبر مفقوداً.

١٩ـ شرح كافية ابن الحاجب ـ في النحو

ذكره أوليا شلبي في كتابه، وقال بعضهم إنه تحريف لاسم كتاب مختصر الكافي في المنطق[3].

٢٠ـ المنيرة ـ رسالة في العقيدة

ذكرها صفوت بك، وصاحب الجوهر الأسنى، ويذكر الأول[4] الخلاف في هذا الكتاب، ويقول أنه يُنسب إلى كمال باشا زاده، كذلك.

٢١ـ تاريخ غزوة أكرى

وأنكر الأستاذ حازم شعبانوفيتش نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف، وذكر أن محمد طاهر[5] أدخل هذا الكتاب في قائمة كتب المؤلف

---

(١) انظر الجوهر الأسنى ص: ٥٥.

(٢) انظر حدائق الحقائق ٢: ١٥٨٤.

(٣) انظر تراث مسلمي البوسنة ص: ١٨٦.

(٤) انظر «البوشناق» ص: ٥٥.

(٥) انظر المؤلفون العثمانيون ١: ٢٧٧.

بالخطأ، حيث لم يسبقه أحد، إلا أن صاحب الجوهر الأسنى تبعه في ذلك[1].

هذا كل ما وجدت له ذكراً من مؤلفاته، فيكون مجموعها ٢١ مؤلفاً، شُك في نسبة اثنين منها إلى المؤلف، وفي واحد منها خلاف، ولم يُعثر على ثلاثة منها مع الجزم في نسبتها إليه، ويضاف إلى ذلك الرسائل الصغيرة التي كتبها في مناسبات مختلفة، وهي كثيرة.



(١) انظر تراث مسلمي البوسنة ص: ١٩٢.

المبحث الرابع

مكانته العلمية

سبقت الإشارة إلى إجماع المؤرخين على أن الشيخ حسن كافي الأقحصاري من أكبر العلماء، وأبرز الشخصيات في مجال العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوروبية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، بل من أبرز الشخصيات في تلك البلاد عموماً.

امتازت شخصيته بعدة خصائص جعلته مشهوراً بين أقرانه وشيوخه، بل جاوزت شهرته حدود بلاده، وأدخلته في زمرة العلماء العاملين البارزين على مستوى العالم الإسلامي عموماً.

ومن تلك الخصائص:

أولاً: طاقته الفكرية الموهوبة الهائلة التي مكنته من نيل تلك الثقافة العالية، والثقة بالنفس، الأمر الذي جعله يقف مناصراً للحق لا يخاف في ذلك لومة لائم.

ثانياً: حرصه الشديد على نشر العدل بين الناس، ووقوفه في وجه الظلم والفساد، ويُرى ذلك واضحاً في كثير من مؤلفاته.

ثالثاً: خطته الحكيمة لكيفية معالجة أمراض المجتمع الإسلامي التي بدأت تنتشر في الدولة العثمانية، وتهدد بسقوط الدولة. ولاقتراحاته تلك آثار إيجابية، حيث تنبه عدد من المفكرين إلى خطورة وأهمية ذلك الموضوع، فكتبوا فيه، ونبهوا المسؤولين، وبقي للمؤلف ـ رحمه الله ـ فضل السبق في ذلك المجال المهم.

رابعاً: عقيدته الإسلامية الصحيحة، ومحاربته لجميع فرق الضلال التي بدأت تنخر في جسم الدولة العثمانية الكبير، وتُروج أفكارها في شتى المناطق.

فأبرزت كتاباته في تعرية فضائح أفكار تلك الفرق قوته العلمية، وقدرته على مناقشتهم ودحض شبههم بحجج الشرع والعقل الواضحة. كما تدل كتاباته في تلك الميادين على احترام الناس له وتأثير كلمته البالغ عليهم.

خامساً: خروجه إلى الجهاد بنفسه، وتحريضه المؤمنين الآخرين على الجهاد، بل قيادته للجنود أحياناً، كل ذلك أعطى لكلمته وزناً خاصاً، حيث كان يطبق في نفسه كلّ ما تعلمه وعلمه للآخرين.

سادساً: انتاجه العلمي الكبير، ومؤلفاته المتنوعة ذات قيمة علمية كبيرة التي جاوزت حدود بلده الصغير. ووجود المخطوطات الكثيرة لها في مختلف بلدان العالم[1]، وانتشارها الكبير في مكتبات يوغسلافيا يدل على كثرة مطالعاتها ودراستها والاستفادة منها.

لقد عاش المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عصر الجمود الفكري، العصر الذي غلبت عليه الحواشي والشروح والمختصرات، وادُّعي إغلاق باب الاجتهاد منذ زمن بعيد، واكتُفي بترديد أفكار القدامى وتوضيحها دون ابتكار وبناء جديد.

فكان عليه أن ينسجم مع ذلك الجو، بل كان على كل من أراد أن يقول جديداً أن يُسند آراءه إلى شخص من المتقدمين في شكل شرح لكتابه، أو اختصار له، ويكون ذلك في الحقيقة إبداء ما عنده من الآراء أو الأفكار الجديدة، حيث لا يجد لذلك طريقاً أنسب.

فنرى أكثر مؤلفاته مختصرات أو شروحاً، إلا أننا نلاحظ بوضوح شخصيته المميزة في جميع تلك الكتابات. فاختصاره لكتاب معين لم يكن مجرد اختصار، بل كان تهذيباً وتصحيحاً له في الوقت نفسه. كذلك نراه إذا كتب في فن من الفنون أو شرح أصلاً من أصوله، يوسع دائرة ذلك الفن، ويتعمق فيه، ويضيف من عنده، كما أنه لم يمرر

---

(1) وُجدت نسخ مخطوطة لبعض مؤلفاته في إستانبول، والقاهرة، وفينا، وبرلين، ولايبسيك، وباريس، وغيرها من مكتبات العالم المشهورة. انظر «حسن كافي الأقحصاري ـ المنتخب من مؤلفاته» (باليوغسلافية) ص: ١٦٥ ـ ١٧٤، فقد ذكر جميع مؤلفاته وجميع النسخ المخطوطة لها ومكان وجودها.

أفكار السابقين دون مناقشتها ونقدها وتنقيحها.

نراه ـ على سبيل المثال ـ يريد أن يكتب في العقيدة، فأدرك أن التأليف الجديد سيجد صعوبة بالغة في تقبل الناس له، بل سيجد معارضة شديدة منهم، حيث كانت كتب المتون القديمة المشهورة قد انتشرت ودُرست في جميع المدارس، فجمع تلك المتون في كتاب واحد، وشرحه شرحاً أضاف به إليها صبغة جديدة.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ في سبب تأليفه لكتاب روضات الجنات في أصول الاعتقادات ـ وهو أول تأليف له في باب العقيدة ـ: «فالإيمان رئيس الاعتقادات الدينية ورأسها، والعلم الكافل بتحقيقه أصلُ العلوم اليقينية وأساسها، وهو علم التوحيد والصفات، وقد وجدت فيه أحسن المصنفات، وأخصر المؤلفات الفقه الأكبر، لإمامنا الأعظم، ثم عقائد الطحاوي، وعقائد عمر النسفي، وعقائد السنوسي، وعقائد نقاية السيوطي ـ عليهم رحمة الله ربهم الغني ـ فإنها مع ما فيها من حسن التنظيم والتركيب، وصباحة الترتيب، وغاية من التنقيح، ونهاية التهذيب، مشتملة على غرر الفرائد من أصول الدين، ودرر الفوائد من قواعد عقائد اليقين، بحيث يستوجب أن تُحرر وتُزَبَّر[1] على صفحتي الشمس والقمر، لكن خلوها عن الأدلة في التمهيد لا تكفي للتقصي[2] عن التقليد، فكنت أريد في نفسي وخَلَدي، وأستخير الله تعالى في كدي وملدي، أن أستخرج من هذه الأصول لهؤلاء الفحول مختصراً رصيناً مشتملاً على عقائل المعقول، ومتناً متيناً متضمناً لنخب المنقول من أماثل الأدلة وأصائل الأصول، من غير إيراد أسئلة المعارضين وأدلة المخالفين...»[3].

فرأى ـ رحمه الله تعالى ـ خطراً كبيراً في انتشار أقوال العلماء المجردة عن الدليل، حيث يؤدي ذلك إلى قبول آراء الأشخاص دون التمحيص ودون النظر إلى صحتها، وخاصة من العامة، فأكد أنه يجب

---

(١) أي تُكتب.

(٢) قال في ترتيب القاموس (٣: ٤٩٨): وأقصى تخلص من خير أو شر، كتقصى.

(٣) روضات الجنات في أصول الاعتقادات لوحة ١ ـ ب و ٢ ـ أ، من المخطوطة رقم ٣١٣٥ المسجلة في مكتبة غازي خسروبك.

على كل من يقول شيئاً أن يؤيد قوله بالأدلة البينة من الكتاب والسنة.

فلقيت كتاباته لاعتبارها إضافة إلى ما كان منتشراً من المؤلفات قبولاً كبيراً من المثقفين أو أواسط الناس عموماً.

ومن ناحية أخرى ألّف كتباً مستقبلة فأجاد أو أفاد. فكتابه أصول الحكم في نظام العالم من نفائس الكتب في السياسة الشرعية. ومادته العلمية قيمة جداً، إضافة إلى أسلوبه القوي الرصين. فحينما يعرض فكرة ما لأول مرة، يعرضها موجزة مبسطة، ثم يشرحها ويستدل لها بالأدلة من القرآن والسنة، ويورد الأمثلة لها من التاريخ وأقوال العلماء، ويبرهن لها بالبراهين العقلية، بحيث لا يراها القارىء إلا نصيحة مخلصة، وهي في حقيقتها تحمل توبيخاً ونقداً لكل ما رآه للنقد والتوبيخ، لكن بطريقة لا تثير غضب الطرف الثاني ومشاعره، بل تُقنعه بحجج واضحة وبراهين قاطعة حيث يقبلها ولا يشعر بغضاضة من ذلك.

فهو في هذا الكتاب يكتب عن عدة أمور خطيرة على المجتمع الذي تفشو فيه، ويورد الآثار المترتبة عليها إذا لم تُعالج، كل ذلك كأنه موضوع نظري، وهو في الواقع نقد فعلي وواقعي للمجتمع العثماني في ذلك الوقت.

وكتابه هذا أول تأليف يتطرق إلى دراسة حالة المجتمع العثماني، ويقترح اقتراحات محددة في شأن إصلاح ما فسد، ثم توالت الكتابات في ذلك الموضوع، وحاول عدد من السلاطين إجراء إصلاحات كبيرة، وخبرها مشهور في كتب التاريخ.

ومما يشهد لرفعة منزلته تضلعه في أكثر في فن، فقد ألّف في الفقه وأصوله، وألّف في العقيدة، والبلاغة، والسياسة الشرعية، والتاريخ، وكلها تآليف معتبرة وقيمة، حيث كان يعايش المسائل التي يكتب عنها، فأعطاها بذلك قيمة خاصة، فكان إذا اشتغل في القضاء ألّف في الفقه، وإذا اشتغل في التدريس ألّف في البلاغة والنحو، وإذا انشغل بأحوال الأمة تاركاً القضاء، ألّف في السياسة، وهكذا.

ونرى شخصيته في جميع تلك الفنون بارزة كل البروز، حيث لم يهمل هدفه الأساسي كمؤمن بالله وداعية إلى الحق بكل جرأة وحماس.

فتراه يكتب في السياسة بنفس القوة والحماس الذي يكتب به في المسائل العلمية البحتة، ويُعلن الحق في وجه الطغاة الظالمين، ويترك القضاء حيثما يرى أنه لا يستطيع أن يحكم بالعدل لفساد المجتمع، ويستنكر ذلك.

لموقفه هذا ولمناداته إلى التمسك بالكتاب والسنة نجد من قارنه من الباحثين بابن تيمية ـ رحمه الله تعالى[1] ـ حيث وُجد تشابه كبيرفي منهجهما وحياتهما.

فدعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة مع عدم إهمال العقل، بل مع تحديد مجاله ودوره، والتصريحُ بأن المنقول الصحيح لا يُعارض المعقول الصريح، وفي الوقت نفسه خروجهما إلى الجهاد بالنفس، بل قيادة الجيوش المسلمة المجاهدة، كل هذه الأمور وُجدت متفقة عند العالمين معاً ـ رحمهما الله تعالى.

ومما يدل على علو شأنه ثناء العلماء عليه، فقد كتب عنه معاصره العطائي[2] وأثنى عليه وعلى مؤلفاته ثناء بالغاً. وكذلك حاجي خليفة[3].

وقد رأينا المؤلف نفسه يعرض مؤلفاته على من لقي من العلماء في زمنه، ويستشيرهم فيها، فيثنون عليها.

ومؤلفاته خير برهان على ما أقول، وسيجد القارىء في صفحات هذا الكتاب ما يُثبت ذلك، بإذن الله تعالى.

---

(١) لقد قدم الدكتور عمر ناكيتشويتش ـ أحد أساتذتنا ـ حفظه الله ـ رسالة الماجستير بعنوان: «الشيخ حسن كافي الأقحصاري رائد العلوم العربية الإسلامية في البوسنة والهرسك» في كلية الفلسفة من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م، وتطرق فيها إلى بعض كتب المؤلف، وخاصة كتابه أصول الحكم في نظام العالم، ومنهج المؤلف، وقارنه بمجموعة من العلماء البارزين الذين يتفق منهجهم مع منهج المؤلف، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، واطلعت على ترجمة هذه الرسالة باللغة البوسنوية.

(٢) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ص: ٥٨٤.

(٣) انظر فذلكة التاريخ (بالتركية) ١: ٣٨٠ ـ ٣٨١.

عقيدته ومذهبه

كان المسلمون منذ عصر النبي ـ ﷺ ـ إلى نهاية القرون الخيرة على إثبات ما أثبته الله ورسوله من أسماء الله وصفاته على ما يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.

وكان على هذا إجماعهم كما هو معلوم لمن له أدنى إلمام بكتب العقائد السلفية، إلا أنه حدثت في الإسلام عدة فرق من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية الذين اختلفت عقائدهم عن عقائد السلف في مسائل العقيدة، واغتر بها عدد كبير من المشتغلين بالعلم، مثل اغترارهم بالطرق الصوفية، كما تقدم.

وكان كثير من أهل العلم بالقرآن والحديث قد تأثر بهذه المذاهب الفكرية المنحرفة عن جادة السلف الصالح. فانتشر في بلاد المؤلف المذهب الماتريدي في العقيدة حيث كان كل عالم ينسب نفسه إلى الماتريدية افتخاراً وشرفاً، وقد رأينا ذلك من المؤلف نفسه حيث ذكر في عدة مواضع من كتابه هذا عبارته: «وهكذا كان يقول إمامنا أبو منصور» إلا أننا نجده يصرح بذلك إذا كان قول الماتريدي يوافق ما انتهى إليه على حسب الأدلة الشرعية، ولا يتبعه في أقواله التي لا تتفق مع المذهب الصحيح.

فكان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من تلك القلة القليلة ـ في زمنه ـ الذين استطاعوا أن يتحرروا من قيود التقليد الأعمى. فنراه يرفض كل الأقوال المجردة عن الدليل من الكتاب والسنة، بغض النظر عن قائلها ومكانته عند الناس.

واعتقاده هذا جعله يُسهم في محاربة وتصحيح العقائد الباطلة المنتشرة في زمنه، فشارك في دراسة الطريقة الحمزوية، والقضاء على

أتباعها الخارجين عن دائرة الإسلام. وأثناء تلك الأعمال لاحظ أنه يجب بيان المذهب الحق، ووضعُ الخط الفاصل بينه وبين المعتقدات المنحرفة، ونشرُ ذلك بين الناس، فألّف كتابه روضات الجنات في أصول الاعتقادات، ثم رأى أن يُفرد متن العقيدة الطحاوية بالشرح لما وجد أنها تشتمل على اعتقاد السلف الصالح الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون في كل عصر ومصر، ففعل ذلك بكتابه هذا الذي نحن بصدد تحقيقه.

وهذه بعض الأمثلة والشواهد من كلامه نستطيع من خلالها أن نعرف حقيقة اعتقاده.

يقول ـ رحمه الله ـ في إثبات الصفات لله عزّ وجلّ: «. . . وإثبات الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه، وبينها أنبياؤه، من العلم والحلم والسمع والبصر والغضب والرضا وغير ذلك ليس تشبيهاً ـ كما زعم بعض النفاة ـ لما مر من أن صفاته ليست كصفات المخلوقين»[1].

ويقول في الميثاق: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق ثابت بالكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2].

وكذلك الأحاديث قد وردت في أخذ الذرية من صلب آدم ـ عليه السلام ـ وتميزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد بأن الله ربهم. والسلف لم يتكلموا في كيفيته، فإنهم عدوا ذلك من المتشابهات، وأوجبوا الاعتقاد بحقيقته، لورود الكتاب، ولم يشتغلوا بكيفيته لتمكن وجوه الاحتمال في تأويلاته. . .»[3].

ويقول في الكرسي: «قيل الكرسي» هو العرش، والصحيح أنه غيره، لما رُوي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الكرسي موضع القدمين»، ورُوي أيضاً أنه قال: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد بين ظهري فلاة من الأرض». إلى أن قال: «فالأولى ترك التأويل

(١) نور اليقين في أصول الدين لوحة ١٠ ـ أ، من النسخة الأصلية.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) المصدر السابق لوحة ٢١ ـ أ.

والاشتغال بكيفيتهما، فإنما المفهوم من الكتاب والسنة أنهما من أعظم مخلوقات الله عزّ وجلّ، لا يعلم حقيقتهما إلا الله»[1].

ويقول شارحاً عبارات الطحاوي في إثبات الرؤية: «هذا إثبات لصحة الأحاديث المروية في الرؤية، وشهادة منهم بحقيقة موجبها، لأن ما ثبت في الشريعة يجب الاعتقاد به، لأن شريعة الله ثابتة بالمعجزات الباهرة والدلائل الواضحة، فما ثبت كونه منها يُقابل بالسمع والطاعة، ولا يُضرب له الأمثال، بل يجب قبوله باعتقاد الحقيقة، والتسليم لما أراد الله ورسوله، من غير بحث وتأويل، لأن الله تعالى لا يُعرف بالقياس ولا يُقاس بالناس، وإنما يُعرف بهدايته ودلائل آياته»[2].

ويقول شارحاً عبارة الطحاوي: (وأن القرآن كلام الله، منه بدأ) «تقدم المفعول للتخصيص، أي منه بدأ لا من غيره من المخلوقات. فيه رد على الجهمية من المعتزلة فيما زعموا أنه تعالى خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل. فقوله (منه بدأ) أي هو المتكلم به، كما قال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[3].

وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[4]. وليس المراد منه حدوث معنى في ذاته، بل المراد أنه تعالى أظهر للسامع قولاً (بلا كيفية) إذ ما كان محدثاً مخلوقاً لا يخلو عن الكيفية.

(قولاً): بالحقيقة لا بالمجاز، والقول والكلام ما يناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يناول لفظ الإنسان الروح والبدن جميعاً.

(وأنزله على رسوله وحياً) أي أنزله على لسان الملك بأن سمعه جبرائيل من الله تعالى، وسمعه الرسول منه، وقرأه على الناس، لقوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[5]، ولقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

(١) المصدر السابق لوحة ١٧ ـ أ.
(٢) المصدر السابق لوحة ٢٤ ـ ب و ٢٥ ـ أ.
(٣) السجدة: ١٣.
(٤) النحل: ١٠٢.
(٥) الإسراء: ١٠٦.

ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[2] و[3].

فهذه شواهد من كلامه تدل دلالة واضحة على أنه على عقيدة أهل السنة والجماعة، كما أن الشاهد على ذلك كتبه الأخرى وعمله الذي قام به، حيث اشتهر في المنطقة بعقيدته السليمة، بل هو من كبار أركان «الحركة العلمية الحديثة» التي نشرت بين أهل تلك المنطقة اعتقاد أهل السنة والجماعة، وما زالت آثارها الطيبة باقية إلى أيامنا هذه.

أما مذهبه في الفروع فكان حنفي المذهب، شأنه في ذلك شأن جميع أهالي تلك البلاد، وقد ألف في الفقه الحنفي عدة تآليف سبق أن ذكرتها.



---

(١) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥.
(٢) الأنعام: ١٩.
(٣) لوحة ١٤ ـ أ ـ ب.

التعريف بالكتاب ومخطوطاته

المبحث الأول: عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف

المبحث الثاني: سبب وتاريخ تأليفه

المبحث الثالث: دراسة منهج المؤلف وبيان مراجعه وقيمة الكتاب العلمية

المبحث الرابع: مقارنته بشرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية

المبحث الخامس: وصف النسخ المخطوطة والتعريف بها ونماذج منها



عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف

لقد جاء ذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه في مقدمة الكتاب نفسه، لذلك لم أر أحداً ينسب هذا الكتاب إلى غير المؤلف.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة على الرسول ـ ﷺ ـ ما يلي: «وبعد، فيقول العبد الفقير إلى البر الباري كافي الأقحصاري، وفقه الله وهداه لما يحبه ويرضاه..» إلى أن قال: «وسميته نور اليقين في أصول الدين»[1].

وكُتب كذلك عنوان الكتاب واسم مؤلفه في الورقة الأولى من كل نسخة خطية. كما نُسب الكتاب بهذا العنوان إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من جميع المفهرسين الذين ذكروه؛

انظر:

أ ـ كارل بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» ١: ٤٤.

ب ـ حاجي خليفة «كشف الظنون» ٢: ١١٤٣.

ج ـ إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين» ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

د ـ إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون» ١: ٣٩٨.

هـ ـ عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ٣: ٢٣٣.

و ـ محمد برسلي «المؤلفون العثمانيون» ١: ٢٧٧.

ز ـ نوعي زاده عطاء الله «حدائق الحقائق في تكملة الشقائق» ص: ٥٨٤.

وأختصر الأمور التي جعلتني أجزم بصحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه في الآتي:

---

(١) لوحة ٢ ـ أ.

١ ـ ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ اسمه وعنوان الكتاب في المقدمة.

٢ ـ التصريح باسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف على الصفحة الأولى من كل نسخة.

٣ ـ اتفاق جميع المفهرسين في نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف، رحمه الله تعالى.



سبب وتاريخ تأليفه

ذكرت فيما سبق أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كان من العلماء العاملين المجاهدين، فلم يكتف بتصحيح حالات فردية معينة من الانحرافات السائدة في فهم الاسلام، بل حاول أن يعالج المشكلة من أساسها، فبادر ببيان الاعتقاد الصحيح وما يضاده، ونشر ذلك بين الناس بأفضل وأسرع الطرق.

فسبق أن رأيناه وهو يحارب الخرافات الصوفية المنتشرة في ذلك الوقت، بل يشترك في لجنة من العلماء الذين أفتوا بردة رؤساء الطريقة الحمزوية المنحرفة التي قُضي عليها تماماً بناء على تلك الفتوى.

فرأى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه لا يوجد كتاب يعرض اعتقاد أهل السنة بصورة واضحة خالية من التفاصيل الكثيرة التي يعجز عن الإحاطة بها أكثر الناس، وخالية من عبارات المتكلمين المنغلقة، فاختار العقيدة الطحاوية المشهورة التي يقول فيها: «وصنف في ذلك كتاباً مشهوراً بـ «عقائد الطحاوي» بيّن فيه العويصات والغوامض، وميز الحلويات عن الحوامض، هو كتاب لم يكتحل عين الزمان بثانيه في رقة ألفاظه ودقة معانيه، حقيق أن تُكتب سطوره بالنور على خدود الحور، وتُنتقش معانيه بقلم الحدس والشعور في ألواح القلوب والصدور»[(1)].

لكنه رأى شروحها ـ رغم كثرتها ـ لا توفي بالغرض المقصود، فحاول أن يستصفي من تلك الشروح شرحاً يُغني عن صفحاتها الطويلة، وفي نفس الوقت لا يخل بما فيها من المنافع الكثيرة.

يقول عن ذلك: «ثم شرحه غير واحد من العلماء، وفقهاء الفضلاء،

(1) لوحة ٢ ـ ب و ٣ ـ أ.

لكن بعضهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل، وكان برهة من الزمان يحول في نفسي ويحدثني حدسي أن أستصفي من شروحه المعتبرة شرحاً بسيطاً، جامعاً للفوائد وسيطاً، مهذباً عن الزوائد بحيث يحتوي على ما هو المحصول والمآل، وينطوي على ما يُسلي الظمآن عن الزلال...»[1].

أما عن تاريخ تأليفه فقد جاء ذكره في مقدمة الكتاب كذلك. يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولما تم تحريره وتسويده، وكمل تقريره وتجويده عند المحاصرة تحت قلعة أسترغون ـ حماها الله وفاتحها عن نكبات المنون ـ قبل الفتح بيومين، وهو اليوم التاسع عشر من جمادى الأولى لسنة أربع عشرة وألف من الهجرة النبوية...»[2].



(١) لوحة ٣ ـ أ.
(٢) لوحة ٣ ـ ب.

دراسة منهج المؤلف
وبيان مراجعه وقيمة الكتاب العلمية

سلك المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الشرح مسلك الاختصار، وبيّن ذلك في المقدمة قائلاً: «وكان برهة من الزمان يحول في نفسي ويحدثني حدسي أن أستصفي من شروحه المعتبرة شرحاً بسيطاً، جامعاً للفوائد وسيطاً، مهذباً عن الزوائد، بحيث يحتوي على ما هو المحصول والمآل، وينطوي على ما هو يُسلي الظمآن عن الزلال، ولما رأيت النفوس مائلة في المقصود إلى الكشف والاقتصار سلكت مسلك الإيضاح والاختصار..»[1].

فيشرح عبارة الإمام الطحاوي ـ رحمهما الله ـ شرحاً مختصراً، مدمجاً في النص الأصلي، ومشيراً إلى ما تحمله العبارة من الردود على الفرق المخالفة، دون الاستطراد في عرض أفكارهم الباطلة، ثم يستدل لعبارة الطحاوي ـ التي تمثل مذهب السلف ـ بالكتاب والسنة، وأقوال العرب وأشعارهم أحياناً، ثم يذكر أشهر اعتراضات الفرق المخالفة باختصار، ويفندها واحدة تلو الأخرى بالحجج النقلية، ثم ينزل بساحة الخصم ويسلك طرقهم العقلية التي سلكوها في إيراد الشبه، فيُسقطها بالبراهين العقلية نفسها.

فلم يكتف ـ رحمه الله تعالى ـ في رد شبههم بالأدلة النقلية، بل زاد على ذلك الحجج العقلية، وسد بها جميع طرق المخالفين التي سلكوها.

وأوضح ذلك بمثال واحد: يقول ـ رحمه الله تعالى ـ شارحاً عبارة

(١) لوحة ٣ ـ أ.

الطحاوي: (وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً) «إذ تعريه عن شيء من صفات كماله نقص أيضاً. فيه رد على المعتزلة، والجهمية، ومن تابعهم في الضلالة، حيث زعموا أن الله تعالى حي لا حياة له، عالم لا علم له، قادر لا قدرة له، وكذا سائر الصفات. ولا يخفى على أغبى الإنسان ـ فضلاً عن أهل اللسان ـ أن قول القائل: الله تعالى عالم بما لا علم له، قادر بما لا قدرة له قول متناقض باطل، كقوله: والله عالم والله ليس بعالم، وقوله: شيء أبيض لا بياض له، أسود لا سواد له.

ولأهل الحق من الحجج السمعية القاطعة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1]، وقوله: ﴿أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[3]، وقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾[4].

فالله تعالى أثبت لنفسه العلم والقوة بنصوص صريحة محكمة، والمعتزلة يأبون ذلك، فإذا هم على زعمهم أعلم بالله من الله»[5].

أما المراجع التي رجع إليها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ واستفاد منها أثناء تأليفه لهذا الشرح، فنراه يصرح في مقدمة الكتاب بأنه، رأى شروحاً كثيرة لمتن (عقائد الطحاوي) إلا أنه لم يرتضها، حيث وجد أن بعضاً منها سلك مسلك أهل الكلام، فخرج بذلك عن المنهج الحق، والبعض الآخر سلك مسلك التطويل والتفصيل فأصبح فهمه صعب المنال لأكثر الناس.

يقول عن ذلك: «ثم شرحه غير واحد من العلماء وفقهاء الفضلاء، لكن بعضهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل بحيث لا يكاد يضبط بالتحصيل...»[6].

ويبدو لي أنه يقصد بمن «سلك مسلك أهل الكلام المذموم» شرح نجم الدين منكوبرس المسمى «النور اللامع والبرهان الساطع» حيث عُرف

---

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) هود: ١٤.
(٣) النساء: ١٦٦.
(٤) البقرة: ١٦٥.
(٥) لوحة ٨ ـ أ و ب.
(٦) لوحة ٣ ـ أ.

عن هذا الشرح بأنه على منهج أهل الكلام، وكذلك من حذا حذوه. وأما الذين «سلكوا مسلك التطويل» فلعل في مقدمة من يقصدهم بذلك شرح ابن أبي العز المشهور، بدليل أنه كثيراً ما يشرح العبارة من العبارات ثم يقول: «والكلام على ذلك مبسوط في المطولات» ونجد ذلك الشرح بكلماته ومفصلاً في كتاب ابن أبي العز.

فيقول ـ مثلاً ـ أثناء شرحه لعبارة الطحاوي: (وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة) «فعُلم أن هذا هو الكلام في اللغة، إذ الشارع إنما خاطب بلغة العرب، فلفظ (القول) و (الكلام) وما يتصرف منهما من ماض ومضارع إنما يُعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، فلا حاجة إلى الاستدلال على معنى الكلام بقول شاعر ضل في معنى الكلام، وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

على أنه نُقل عنه أنه قال: «إن البيان لفي الفؤاد...» وهذا أقرب إلى الصحة، والكلام على ذلك مبسوط في المطولات»[1].

فمضمون هذه العبارات موجود في شرح ابن أبي العز وذكرُ هذا البيت كذلك، مع التوسع في الموضوع.

وانظر شرح ابن أبي العز ١: ١٩٨ ـ ٢٠٢.

فهذا دليل استفادته من شروح الطحاوية، وقد صرح بأنه أراد أن يستصفي من شروحها «المعتبرة» شرحاً مختصراً يجمع فيه فوائدها ويُغني عن صفحاتها الطويلة[2].

وسبقت الإشارة إلى أنه أنهى كتابه أزهار الروضات شرح روضات الجنات في نفس الوقت مع تبييضه لكتابه هذا، فيكون من الطبيعي أنه استفاد من المراجع التي راجعها في تأليفه للكتاب الأول. وقد وجدت ما يؤيد ذلك حيث ينقل بعض العبارات من العقيدة السنوسية والنسفية وشرح التفتزاني مشيراً إلى ذلك[3].

لكن الذي يُلفت النظر أنه استفاد استفادة كبرى من شرح ابن أبي

---

(١) لوحة ٤١ ـ ١.　(٢) انظر لوحة ٣ ـ أ.　(٣) انظر لوحة ١٤ ـ ب.

العز الحنفي، واعتمد عليه اعتماداً كبيراً، حيث يكاد يكون كتابه هذا مختصراً له، وسيأتي المزيد عن ذلك في الفصل القادم، بإذن الله تعالى.

أما قيمة الكتاب العلمية فتكمن في قيمة الموضوع الذي يبحث فيه، لا سيما وقد سلك المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مسلك أهل السنة والجماعة، واختار عبارة الإمام الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ التي تمثل مذهب السلف في العقيدة الإسلامية، فتناولها بالشرح، كما استفاد من شرح ابن أبي العز المشهور بسلامة منهجه.

وتتجلى قيمة الكتاب في سهولة عباراته وعرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة بوضوح كامل، دون الاستطرادات الطويلة في الرد على المخالفين، فقرب به المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ العقيدة الصحيحة إلى أذهان الناس وأفهامهم في أسلوب ميسر مفهوم.

وكل ذلك في كتاب له تنسيقه الخاص بين موضوعاته حيث يبدو كأنه تأليف جديد مستقل. فقد بدأه بمقدمة بيّن فيها أهمية العقيدة وعرضها في ضوء الكتاب والسنة، وفهم سلف هذه الأمة لها، ثم تناول شرح عبارة الطحاوي وربط بين موضوعاتها ربطاً جيداً، ثم أنهاه بخاتمة ربطت آخر الكتاب بأوله، فصار الكتاب كله وحدة متناسقة متكاملة، مرتباً ترتيباً دقيقاً لا يقل عن ترتيب التأليفات الحديثة.

فعلى الرغم من أنه استفاد استفادة كبيرة من شرح ابن أبي العز، نادراً ما ينقل عباراته حرفياً، بل يختصرها اختصاراً جيداً، ويقدم أشياء، ويؤخر أخرى بحيث يخرج النص منسقاً تنسيقاً جديداً، إضافة إلى ما فيه من بعض الانفرادات لا توجد في شرح ابن أبي العز، كما أنه خالف ابن أبي العز في بعض المسائل، وسيأتي بيان ذلك، إن شاء الله.

والأمر الذي يزيد من قيمة الكتاب أنه أُلف لغرض معين، ألا وهو ضرورة عرض عقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية كما جاء بها الإسلام، على الناس الذين انتشرت فيهم البدع والانحرافات بسبب تصورهم الخاطىء للعقيدة الإسلامية وسط معتقدات فاسدة فشت في المجتمع المحيط بالمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ آنذاك.

فنراه ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الشرح المختصر بذكر القواعد

الأساسية لعقيدة أهل السنة، وينثرها في موضوعات الكتاب المختلفة. فيقول ـ مثلاً ـ أثناء كلامه عن الصراط والميزان يوم القيامة وأنه يجب الإيمان بهما لورود الآيات والأحاديث فيهما، ما يلي: «فوجب الإيمان بكل ما جاء به الكتاب والسنة المتواترة، والاعتقاد بحقيقة المراد، لا الاشتغال بكيفية ذلك...»[(1)].

ومن شرحه الذي انفرد به عن ابن أبي العز ما قاله في شرح عبارة الطحاوي: (وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً) «... وفيه رد أيضاً على قولهم أن الله تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً، وأقول في قولهم (صار قادراً) إثبات لصفة القدرة، فإن قالوا كما هو زعمهم أن نحو قادر وعليم وسميع وبصير أسماء للذات لا معاني لها سوى الذات، بطل قولهم: (صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً) لأنه حينئذ يكون معناه: صار ذاتاً بعد أن لم يكن ذاتاً، وبطلانه ظاهر.

وسبب ضلالتهم غباوتهم في شبهة تعلقوا بها، وهي أن الصفة إذا لم تكن هي الذات هو غير الذات، والقول بالغير في الأزل مناف للتوحيد، وكذا القول بأزلية الصفات قول بإثبات القدماء، وقد مر الجواب في قولنا: معان لازمة للذات، ولا استحالة في تعدد الصفات القديمة، إنما المستحيل تعدد الذوات القديمة»[(2)].

والذي يدل على قيمة الكتاب العلمية كذلك ثناء العلماء عليه. فقد قال عنه صاحب كشف الظنون، حين تعرُّضه لذكر شروح الطحاوية ما يلي:

«وشَرَحه المولى كافي الحسن البوسنوي الأقحصاري، المتوفى ١٠٢٥، شرحاً مفيداً، وسماه نور اليقين في أصول الدين، أتمه عند المحاصرة تحت قلعة أسترغون سنة ١٠١٤، قبل الفتح بيومين...»[(3)].

ويدل على إعجاب الذين اطلعوا على هذا الكتاب ما كُتب في الصفحة الأولى من مخطوطة رقم ٢٧١٦، وقد كُتبت بخط كبير مزيّن، الأبيات التالية:

---

(1) لوحة ٣٧ ـ ب. (2) لوحة ٨ ـ ب. (3) كشف الظنون ٢: ١١٤٣.

كتاب فاخر كالدر لفظاً حري شأنه بالنور سطرا
معانيه علت كل المعالي جليل نفعه كالدهر قدرا
لساني في محاسنه كليل وإن أفنيت في الإنشاء عمرا

المآخذ على الكتاب:

ذكرت فيما سبق محاسن الكتاب، ومن الإنصاف أن أذكر المآخذ عليه كذلك. فهو كغيره من الكتب البشرية، لا يخلو من بعض النقص، لأن العمل البشري متصف بالنقص دائماً، وذلك لأن النقص من طبيعة البشر المخلوق، والكمال لخالق البشر ـ سبحانه وتعالى ـ وحده.

وأقسم المآخذ على الكتاب إلى قسمين:

أولاً ـ المآخذ العلمية:

أ ـ أول ما يلاحظه القارىء لهذا الكتاب الأخطاء التي وقعت في الآيات القرآنية، وخاصة أن هذه الأخطاء ليست بقليلة.

فإبدال كلمة مكان الأخرى، وإسقاط بعض الكلمات، والإتيان بجزء الآية فقط ـ مكتفياً به في الاستشهاد ـ دون إكمالها كثير جداً.

ب ـ نقله كثيراً من النصوص من شرح ابن أبي العز دون أن يشير إلى ذلك.

فيقول في لوحة ١٨ ـ أ ما نصه: «وهل دخل الفساد في العالم إلا من مقولة هذه المقالات الصادرة ـ غالباً ـ من ثلاث فرق، كما قال ابن المبارك: «وهل أفسد الدين إلا الملوك، وأحبار سوء ورهبانها» فإن الملوك الجبابرة يعترضون على الشريعة بالسياسة الجائرة، ويقدمونها على حكم الله ورسوله. وأحبار سوء هم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك.

والرهبان هم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق، والمواجيد، والخيالات الفاسدة، والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة، وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، وقال أصحاب الذوق: «إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف». واقرأ هذه العبارات بألفاظها في شرح ابن أبي العز ١: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

ويقول في لوحة ٤١ ـ ب ثم في الدعاء معان:

الأول: دلالة الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يُدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

وانظر هذه النصوص بألفاظها في شرح ابن أبي العز ٢: ٦٧٨. وهذا ظاهر في معظم صفحات الكتاب.

ج ـ مخالفته للمذهب الصحيح في مسألة الأخذ بالأحاديث الآحاد في باب العقائد، ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه وما يتعلق بها.
فيقول في لوحة ٢٧ ـ أ: «ولا نخوض في الله، أي لا نتكلم في ذات الله وصفاته من غير بصيرة، بل نتبع في ذلك ما دعانا إليه الكتاب والسنة المتواترة والمشهورة التي اعتمد عليها العلماء، من غير اختلاف، ولا نذهب في ذلك إلى المقاييس الناشئة من هوى النفس، من غير برهان من الله ورسوله وأصحابه الذين هم خلفاء الرسول ونقلة شريعته، لاستحالة دخول القديم تحت القياس والمقادير. ولا تُبنى العقائد على أخبار الآحاد، لأنها لا توجب العلم يقيناً، والأصل في أسماء الله تعالى وصفاته التوقيف».

ويرى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ـ تبع في ذلك الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى[1]. وأوضحت أن المذهب الصحيح في المسألتين خلاف

---

(١) انظر لوحة ٢٩ ـ ١ و ٢٩ ـ ب.

ما ذهب إليه المؤلف، وبينت وجهة نظر الإمام أبي حنيفة في المسألة الثانية، كما ذكرت أدلة الفريقين والقول الراجح في هذه المسألة في محله من الكتاب.

ثانياً ـ المآخذ الفنية:

أ ـ ركاكة الألفاظ والأسلوب اللغوي في بعض المواضع.

فعلى الرغم من أن الكتاب في عمومه سليم الأسلوب وقوي العبارة، يظهر في بعض الأحيان تكلف المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في إيجاد السجع بكلامه، كما يظهر في المواضع الأخرى ضعف الأسلوب في ركاكة الألفاظ.

فنراه يقول في مقدمة الكتاب[1]: «ثم شرحه غير واحد من العلماء، وفقهاء الفضلاء، لكن بعضَهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل، بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل».

فلعله يريد بقوله (وأشهد منهم) واستشهد منهم، وبقوله (بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل) بحيث لا يكاد يُحصّل مراده من كثرة التفاصيل.

ويقول في لوحة ٣١ ـ ب، شارحاً عبارة الطحاوي في وجوب طاعة ولاة الأمور «ولا ندعو عليهم)»: «لما في الدعاء عليهم لا تُعرف مصلحة»، ولو قال: إذ ليس في الدعاء عليهم مصلحة، لكان أحسن.

ب ـ الكتاب ميزته الأولى الاختصار، إلا أنه أخل بالمقصود في بعض المواضع. يقول في لوحة ١٠ ـ ب: «وبهذا بطل قول المعتزلة أن لكل إنسان أجلين: أحدهما الموت، والآخر القتل، وذلك غلط منهم، لأنه يُبطل ولاية ملك الموت عن عموم تسليط الله على قبض أرواح العالمين، وذلك تعجيز للوكالة الإلهية، وهو محال، إلا أنه تعالى قدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل...».

وهذه العبارة غير واضحة حيث لا يُفهم منها كيف يكون إبطال ولاية ملك الموت. وجاء في شرح ابن أبي العز: «وعند المعتزلة المقتول

---

(١) لوحة ٣ ـ أ.

مقطوع عليه أجله، ولو لم يُقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان. وهذا باطل، لأنه لا يليق أن يُنسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب...»[1].

وكذلك ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، ولم ترد في الكتاب والسنة، ولا في أقوال السلف، مثل الحد، والنهاية، والمقابلة، والجهة، ولم يبينهما، وكان من الأولى بيان موقف أهل السنة والجماعة من تلك الألفاظ وما تحتمله من المعاني.



(١) شرح ابن أبي العز ١: ١٢٨.

مقارنته بشرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية

أشرت فيما سبق إلى أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ صرح في مقدمة الكتاب بأنه جمعه من شروح الطحاوية المشهورة المعتبرة، فيكون من الطبيعي إذا وجدناه ينقل من تلك الشروح، إلا أنني رأيته ـ من خلال دراستي للكتاب ـ يعتمد بالدرجة الأولى على شرح ابن أبي العز، وينقل منه العبارات بألفاظها ولا يشير إلى ذلك. فمضمون شرح ابن أبي العز موجود في هذا الكتاب، إلا أنه مختصر له، فحذف كثيراً من التفصيلات الموجودة فيه.

ولا يُستغرب من المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يختار من بين الشروح الكثيرة شرح ابن أبي العز، ويعتمد عليه بالذات، حيث عُرف عن المؤلف سلامة اعتقاده ومنهجه، وحرصُه على نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وشرح ابن أبي العز شهير بذلك أيضاً. أؤكد هذا ببعض الأمثلة من الكتاب ومقارنتها بنصوص شرح ابن أبي العز.

يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «(وإذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية)، كالغضب، والرضا، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، (ترك التأويل)، مراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً وهو تحريف، كالتأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع، والبصر، والكلام، لكن تأدّب وجادل بالتي هي أحسن، ائتماراً بقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾»[1].

فمعنى هذا النص موجود في شرح ابن أبي العز (١ : ٢٥١) إلا أنه

---

(١) لوحة ١٨ ـ ب، النحل: ١٢٥.

توسع فيه وشرح معنى التأويل المذموم، وبيّن الفرق بينه وبين التأويل المشهور عند السلف. واكتفى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بتعريف التأويل المذموم بجملة واحدة، وبيانِ أثره السلبي إذا أدخل على الصفات، كل ذلك في عبارة واضحة قصيرة سهلة.

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: «والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين ـ وسائر أهل الملل ـ أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، ولا يُلتفت إلى ما قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يُعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه، لأنا نقول: إن الله يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل، ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[1] فأخبر بأنه يبتدىء بالتدبير ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره»[2].

فمضمون هذا النص بتمامه وبعض ألفاظه موجود في شرح ابن أبي العز (٢: ٦٨٠ ـ ٦٨١) إلا أنه أوسع ويختلف ترتيبه، حيث قام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باختصار العبارات وترتيبها ترتيباً جديداً، بحيث تبدو كأنها من تأليفه المستقل، ثم يرجع فيستشهد في نهاية النص بالآية التي أوردها ابن أبي العز في بداية المقطع، وينقل منه شرحها بالمعنى.

ويقول: «ثم يجب أن يُعلم أن النار في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله يحمّي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتى تكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يُدفنان أحدهما إلى جانب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه»[3].

---

(١) السجدة: ٥. (٢) لوحة ٤٢ ـ أ. (٣) لوحة ٣٥ ـ أ و ٣٥ ـ ب.

فهذه الفقرة منقولة من شرح ابن أبي العز بألفاظها (٢: ٥٨٠ ـ ٥٨١) ثم اختصر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بقية شرح هذا الموضوع، ولم يذكر كثيراً من التفاصيل الموجودة في شرح ابن أبي العز.

وهكذا نجد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ استفاد من شرح ابن أبي العز في أغلب صفحات هذا الكتاب، استفادة كبرى، إلا أنه استطاع أن يختار المهم منه، ويختصره اختصاراً جيداً مفيداً، تاركاً الاستطرادات الطويلة التي دخل فيها ابن أبي العز، كما استطاع أن يبسط الموضوع ويعرضه بأسلوب سهل، يفهمه عامة الناس، الأمر الذي كان غرضه الأساسي من تأليف الكتاب.

ومما يؤكد على استقلال شخصية المؤلف العلمية وقوتها، وجود الإضافات في مواضع من هذا الشرح لا توجد في شرح ابن أبي العز، ولا في غيره، أضاف بها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فوائد جديدة لشروح الطحاوية، شأنه في ذلك كشأنه في سائر مؤلفاته التي أضاف فيها أموراً جديدة وتقدم بها خطوة أخرى إلى الأمام.

يقول في لوحة ٤١ ـ أ ـ شارحاً عبارة الطحاوي (يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبداً): «لما روي عن النبي ـ ﷺ ـ: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم» الحديث. وذلك أن حقه على الخلق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يكفر، وأن تكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء، جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عالقاً على محبته، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته، ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خُلق له؟

فلو وضع الرب عدله على الخلق لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً، وغاية ما يقدر العبد عليه هو توبته واعترافه لتقصيره، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، حيث أوجب على نفسه ـ بمقتضى فضله ورحمته ـ أن لا يعذب من تاب. فلا يسع الخلق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل به الجنة، كما مر في الحديث. . .».

ويقول شارحاً عبارة الطحاوي: (والله عز وجل يغضب ويرضى):

«لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾، وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، إلى غير ذلك. وقال: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

ولاتفاق السلف من الأئمة على إثبات صفة الغضب والرضا ونحوها، التي ورد بها الكتاب والسنة.

وقد منعوا التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. فلا يُقال إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، لأن هذا نفي للصفة.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده، ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده...»[1]. ونقضه للصوفية متميز كذلك، وإن كان مختصراً. انظر لوحة ٥٤ ـ ب وما بعدها.

كما دلّت مخالفته لابن أبي العز في مسألة الإيمان وما يتعلق به، ومسألة الأحاديث الآحاد وإفادتها العلم أو الظن، على استقلاليته فيما يكتب، وإن كان مخالفاً في ذلك للمذهب الصحيح، كما بينت.

بعد هذه المقارنة السريعة بينه وبين شرح ابن أبي العز أستطيع أن ألخص الموضوع بقولي أني وجدت الكتاب مختصراً لشرح ابن أبي العز، وقد استطاع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يركز فيه على أهم ما ورد في شرح ابن أبي العز، وأن يرتبه ترتيباً جيداً، وينسق بين موضوعاته، ويُضيف من عنده ما وجد الحاجة إليه لزيادة التوضيح، كل ذلك بعبارة سهلة واضحة، وأسلوب ميسر، محاولة منه تقريب موضوعات الكتاب إلى أذهان أكثر الناس الذين هم بحاجة ماسة إلى فهم هذه الحقائق الدينية حتى تستقيم أمورهم في هذه الحياة الدنيا، ويكونوا من الفائزين برضوان الله تعالى يوم القيامة.

---

(١) لوحة ٤٢ ـ أ و ٤٢ ـ ب.

وصف النسخ المخطوطة
والتعريف بها والنماذج منها

انتشرت مؤلفات الشيخ حسن كافي انتشاراً كبيراً في جميع أنحاء ولاية البوسنة وخارجها، وكثرت نسخها الخطية في أكثر المكتبات التي تعنى بالمخطوطات العربية في البوسنة، وفي بعض المكتبات العالمية.

لقد توفرت لدي ـ بحمد الله تعالى ـ أربع نسخ خطية لهذا الكتاب، جميعها من مدينة سراييفو ـ عاصمة جمهورية البوسنة ـ التي أصبحت مركز العلوم الإسلامية، لوجود عدد كبير من العلماء فيها طيلة تاريخها الإسلامي الزاهر، كما استمرت على تلك الصفة إلى أيامنا هذه. ففيها ـ اليوم ـ مقر لرئاسة المسلمين في يوغسلافيا كلها، بالإضافة إلى وجود مدرسة غازي خسروبك، وكلية الدراسات الإسلامية، ومكتبة غازي خسرو بك الغنية بالمخطوطات العربية، تقوم بدورها في نشر العلم بين أهالي تلك المنطقة. ويوجد فيها أيضاً معهد الدراسات الشرقية الذي يضم مكتبة تحتوي على عدد كبير من المخطوطات العربية كذلك.

١ ـ النسخة الأولى:

وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ٤٥٧٠ في معهد الدراسات الشرقية في مدينة سراييفو. كُتبت بخط المؤلف، وتُعتبر النسخة الوحيدة بخط الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الآن، رغم وجود عشرات المخطوطات لتآليفه. واتخذت هذه النسخة أصلاً، ورمزت لها بـ (ص).

وعدد لوحاتها ستة وعشرون لوحة، مقاس كل صفحة فيها ١٢ ـ ٢٠، وعدد السطور في كل صفحة تسعة عشر سطراً، وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة تقريباً، كُتب النص الأصلي للكتاب بالحبر الأسود إلا أن متن

العقيدة الطحاوية مكتوب فوقه خط بالحبر الأحمر، للتفريق بينهما. وتوجد إضافات في أغلب الصفحات بنفس الخط. واعتبرتها أصلاً لأنها بخط المؤلف وكاملة مقروءة، ولكونها أقل النسخ أخطاء.

وثبت عندي أنها كُتبت بخط المؤلف للأمور الآتية:

أ ـ وُجدت على ورقة الغلاف من المخطوطة تعليقتان مكتوبتان بنفس الخط، كُتب في الأولى منهما تاريخ محاصرة قلعة أسترغون (٢٣ ربيع الثاني ١٠١٤ هـ). ووصْف كيفية المعارك التي دارت، وبعض العمليات المهمة من قِبل الجيش العثماني.

وجاء في الثانية ذكر نهاية المحاصرة، وتاريخ الهجوم النهائي وفتحها، وحصر القتلى والجرحى من الجانبين (قُتل من الكفار ٥٨٠ شخصاً)، وتعداد الأسلحة والمعدات الحربية الأخرى التي استولى عليها الجيش الإسلامي.

سبق أن ذكرت أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ شارك في هذه الغزوة، وأنه أتم هذا الكتاب أثناء المحاصرة لتلك القلعة، فوجود التعليقتين المكتوبتين بالخط الذي كُتب به الكتاب (وكتبتا باللغة التركية) دليل قوي على أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو كاتب هذه النسخة بيده.

ب ـ ووُجدت ـ كذلك ـ عبارة مكتوبة بخط مغاير لخط الكتاب في آخر صفحة من المخطوطة، باللغة التركية كذلك، كُتب فيها ما معناه: كُتب بيد الشارح المذكور كافي حسن أفندي، رحمه الله.

فهذه العبارة كُتبت إما من أحد تلاميذ الشيخ، أو من أحد مالكي النسخة، وقد وُجدت عليها أسماء عدة أشخاص الذين ملكوها قبل أن تُسلم للمكتبة.

ج ـ كما لاحظت أثناء التحقيق أن كثيراً من الإضافات التي أضيفت على هوامش هذه النسخة، أُدخلت في النص الأصلي في النسخ الأخرى. فيدل ذلك على أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أضاف تلك الهوامش بنفسه واعتُبرت من أصل الكتاب، فنقلها النساخ مع النص الأصلي. وأشرت إلى ذلك أثناء التحقيق.

فهذه الأمور الثلاثة جعلتني أجزم بصحة نسبة هذه المخطوطة إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وأنه كتبها بيده.

٢ ـ النسخة الثانية:

هي المخطوطة المسجلة تحت رقم ١٥١٤، في مكتبة غازي خسروبك بمدينة سرايفو كذلك. وتقع في ست وثلاثين ورقة، مقاس كل ورقة ١٤ ـ ١٩، وعدد السطور في كل صفحة سبعة عشر سطراً، وفي كل سطر ١٠ كلمات تقريباً.

نُسخت سنة ١١٤٢ هـ. وناسخها غير معروف، وأوقفها للمكتبة مميش آغا كاسوموفيتش. وخطها مقروء، إلا أن فيها أخطاء. ورمزت لها بـ (أ).

٣ ـ النسخة الثالثة:

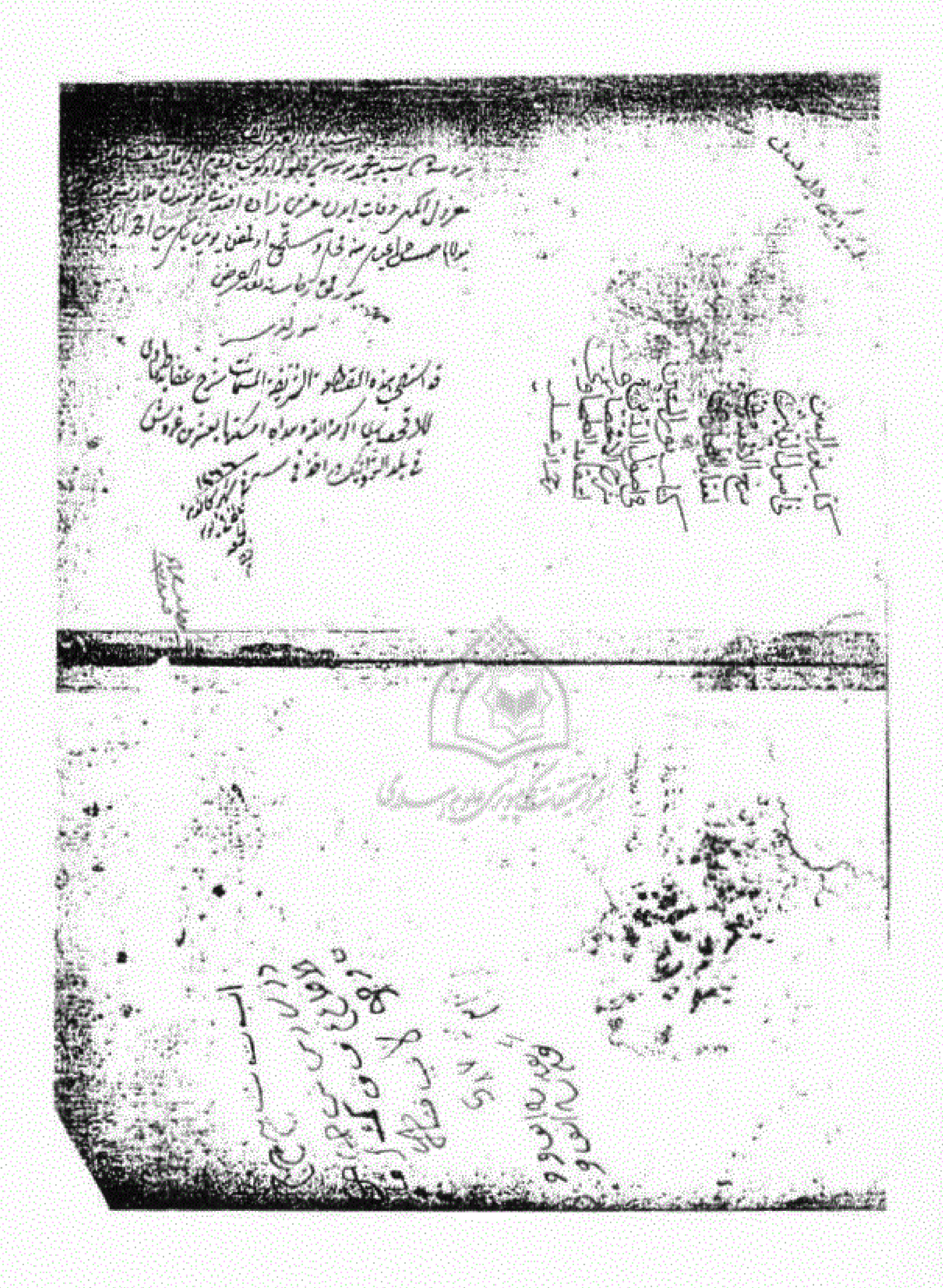
وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ٢٧١٦ في المكتبة المذكورة، وعدد أوراقها أربعة وعشرون ورقة، مقاس كل واحدة منها ١٢ ـ ٢٠، وعدد السطور في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطراً، وفي كل سطر إحدى عشرة كلمة تقريباً.

نُسخت بيد الناسخ إبراهيم علي الإسكوبيوي سنة ١١٥٣ هـ. وفيها أخطاء كذلك، وتكاد تكون متوافقة مع أخطاء النسخة السابقة تماماً، وكونها نُسخت بعد السابقة يقوي احتمال أنها نُسخت منها. ورمزت لها بـ (ب).

٤ ـ النسخة الرابعة:

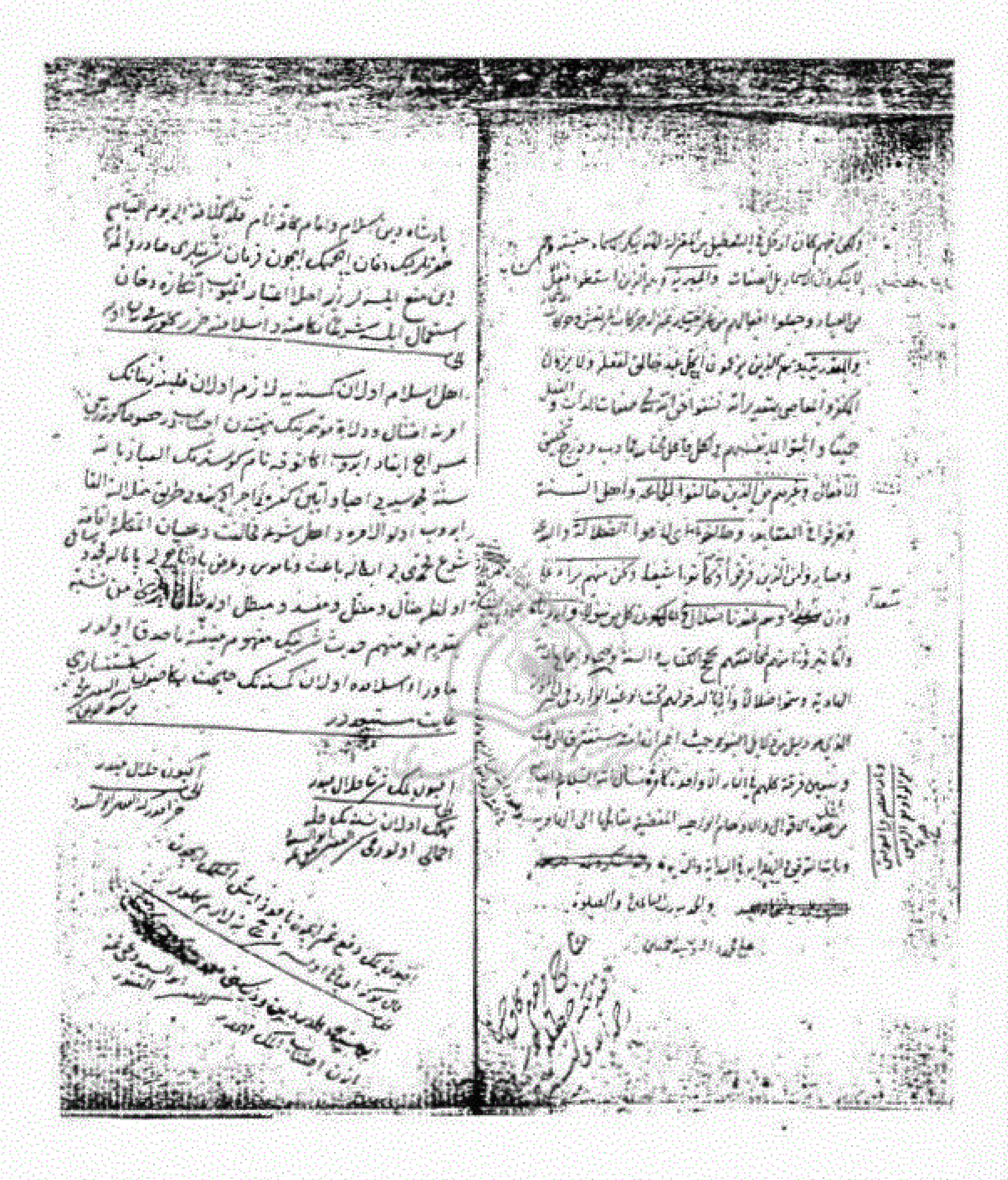
وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ١١٢٤، في مكتبة غازي خسروبك المذكورة كذلك. وعدد أوراقها أربعون ورقة، وعدد السطور في كل صفحة أربعة وعشرون سطراً، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة تقريباً.

ولم أقف على تاريخ نسخها واسم ناسخها، إلا أنه يبدو من خطها أنها أحدث النسخ، وهي أكثر النسخ أخطاء. رمزت لها بـ (ج).



اللوحة الأولى من النسخة الأصلية

اللوحة الثانية من النسخة الأصلية



اللوحة الأخيرة من النسخة الأصلية

الحمد لله الذي وجب وجوده وتقدست ذاته وعم جوده
وتنزهت صفاته وثبت قدمه وكثرت عليه آياته وانتشر جوده
شهدت به مصنوعاته والصلوات على سيدنا محمد الذي
ظهرت معجزاته وبهرت بيناته وعلى آله وصحبه الذين نقلوا
تواترت شريعته ومشروعاته فيقول العبد الفقير
إلى الله الباري كافي الأقحصاري وفقه الله وهداه لما يحبه
ويرضاه أن رئيس العلوم الدينية ورأسها وأصل الفنون
اليقينية وأساسها وأعظمها موضوعا وأقومها أسلوبا
وأرفعها علم أصول الدين الذي هو أول علوم الأنبياء والمرسلين
وأفضل فنون العلماء المهديين إذ هو باحث عن الألوهية
والصفات الربوبية بعقائد اليقين به يحصل الهداية إلى
حقيقة الإيمان وبه ينحل شبهات أهل الضلالة والطغيان
كأنه قد تطرقت الشكوك وأوهام الشيطان إلى طائفة
فرقة من الإنسان فضلوا وتفرقت أفهام الآراء ومتابعة
الأهواء فعدلوا عن الإذعان وأضلوا كما قال أفضل
الصلوات وأكمل التحيات افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين
فرقة كلهم في النار إلا واحدة ثم افترقت النصارى إلى اثنتين

وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة وستفترق أمتي
إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة فقيل
من هم يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي
وفي حديث آخر قال هم الجماعة أي أهل السنة والجماعة
وهي الفرقة الناجية وكان كما قال لأنه لما بعد العهد
عن النبي وأصحابه ظهرت البدع وكثر التحريف إلا أنه
تعالى قد منّ على أمته بجعل علمائهم كأنبياء بني إسرائيل
فلا تزال طائفة منهم قائمين على الحق كما قال صلى الله عليه وسلم
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خذلهم فبينوا طريق الفرقة الناجية وبينوا فرق
الأمة الهادية ليحق الحق ويزهق الباطل وليتميز العالم
من الجاهل فمن أقام هذا الحق حق الإقامة قائما في ذلك
مقام الإقامة الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة
الأزدي الطحاوي عليه رحمة ربه الغني مولده بعد المائتين
سنة تسع وثلاثين ومائتين ووفاته سنة إحدى
وعشرين وثلاثمائة حيث أخبر عن فقهاء الملة الحنفية
حنفية ورؤساء حنفاء [illegible]

اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ١٥١٤ (أ)

الا واحدة كما ترى وبالله العصمة والتوفيق نعم المولى
ونعم الرفيق نسأل الله التامة والعافية من
مثل هذه الاقوال والاوهام الواهية المفضية بنا الى
الى الهاوية ونعوذ بالله من الزيغ والزلل في القول
والعمل وبالله التوفيق والهداية في البداية والنهاية
والحمد لله رب العالمين والصلوة
على محمد واله وصحبه اجمعين
تمت تمام
تم
هذا كتاب نور اليقين في اصول الدين شارحه كمال
الانجهاري لعل الله ان يكون سببا لمغفرته آمين
بحق سيد المرسلين

اللوحة الأخيرة من المخطوطة رقم ١٥١٤ (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وجب وجوده، وتقدست ذاته، وعم جوده، وشرفت صفاته بنعت قدمه، ودلت عليه آياته، وامتنع عدمه، شهدت به مصنوعاته، والصلوة على سيدنا محمد الذي ظهرت معجزاته، وبهرت بيناته، وعلى آله وصحبه الذين بنقلهم تواتر شريعته [illegible] وعاداته. أما بعد فيقول العبد الفقير إلى الله الباري [illegible] وفقه الله [illegible] لما كان [illegible] أشرف العلوم الدينية وأساسها، وأصل الفنون اليقينية ورأسها، وأعظمها موضوعا وأقواها أصولا وفروعا علم أصول الدين الذي هو [illegible] علوم الأنبياء والمرسلين وأفضل فنون العلماء المهتدين، إذ هو باحث عن الألوهية وصفات الربوبية بعقائد اليقين، به يحصل الهداية الصحيحة للأنام، وبه يحصل [illegible] أهل الضلالة والطغيان، لكنه قد تطرقت الشكوك والأوهام السبيل إلى عقول فرقة من الأنام فضلوا، وتوقفت أفهام الآراء من أهل الأهواء فعدلوا عن [illegible] وأضلوا، كما قال عليه الصلوة وأكمل التحيات: افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، ثم افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، وستفترق أمتي إلى ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة. فقيل: من هم يا رسول الله؟

يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي. وفي رواية أنه قال: هم الجماعة أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية. وكان كما قال لأنه لما بعد العهد بعد النبي وأصحابه ظهرت البدع وكثر التحريف، إلا أن الله تعالى قد منّ على أمته بجعل علمائهم كأنبياء بني إسرائيل، فلا تزال طائفة منهم قائمين على الحق، كما قال صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم. فبينوا الطريق إلى الفرقة الناجية، وبينوا أنهم الأئمة الهادية بتحقيق الحق وتزييف الباطل، وليتميز العالم من الجاهل. وممن قام بهذا الحق حق الإقامة [illegible] مقام الإجابة الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي عليه رحمة ربه القوي، مولده [illegible] سنة تسع وثلثين ومائتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وصحبت [illegible] فقيها من الملة الحنفية [illegible] علماء ورثة النبوة المصطفوية كالإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ومحمد بن الحسن الشيباني عليهم رحمة ربهم الغني، ما كانوا يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين. وصنف في ذلك كتابا مشهورا بعقائد الطحاوي [illegible] والغوامض [illegible] هو كتاب لم [illegible] فرقة [illegible] معانيه حقيق أن يكتب سطوره بالنور على [illegible] الحور [illegible] معانيه بقلم الحدس والشعور في ألواح القلوب والصدور، ثم [illegible] غير واحد من العلماء وفقهاء والفضلاء [illegible]

اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ٢٧١٦ (ب)

اللوحة الأخيرة من المخطوطة رقم ٢٧١٦ (ب)

شرح عقايد الطحاوي نور اليقين في اصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

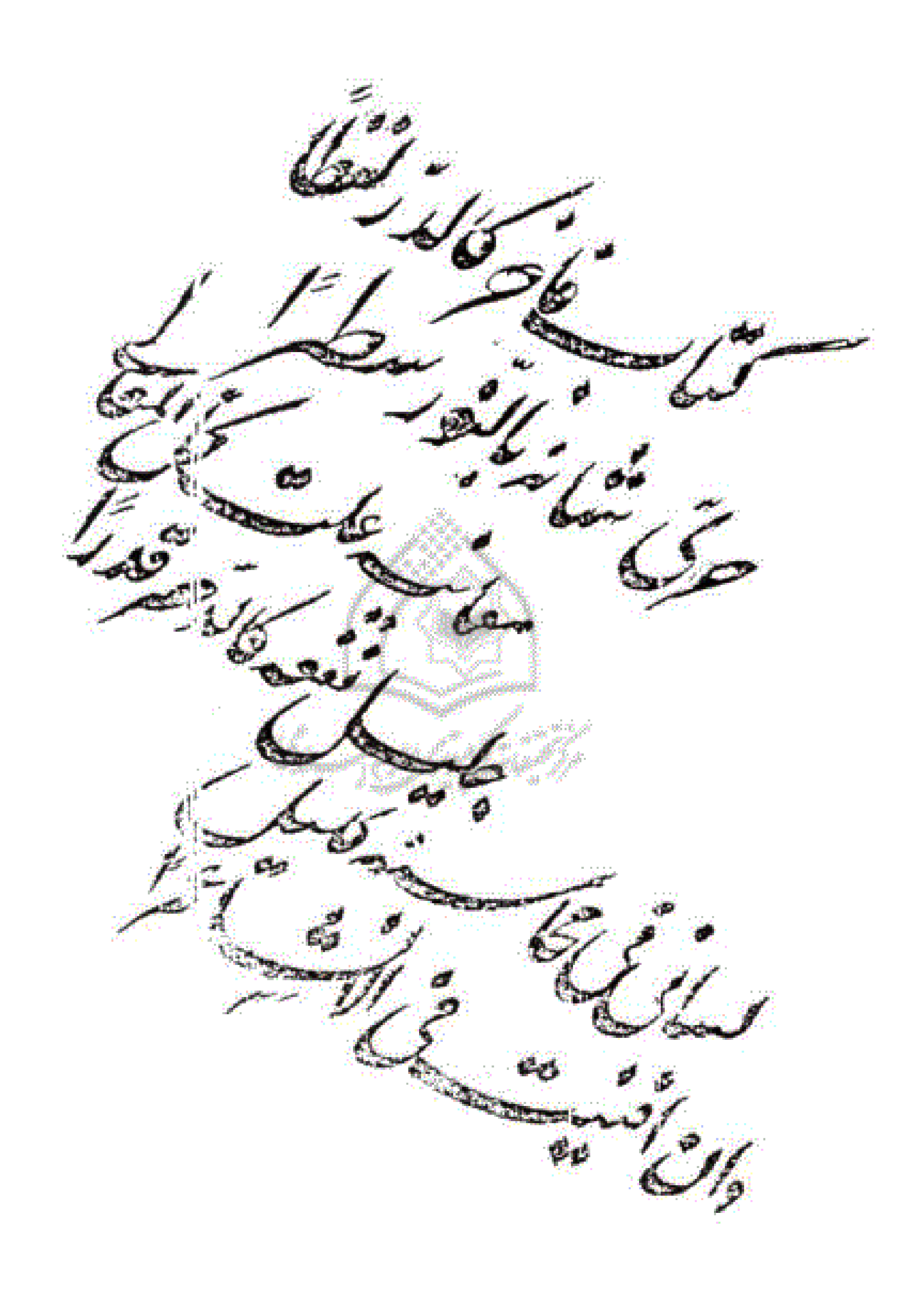
الحمد لله الذي وجب وجوده وتقدست ذاته وعم جوده وتنزهت صفاته ثبت قدمه ودلت عليه اياته وامتنع عدمه شهدت به مصنوعاته والصلوة على سيدنا محمد الذي ظهرت معجزاته وبهرت بيناته وعلى اله واصحابه الذين بنقلهم تواترت شريعته ومشروعاته وبعد فيقول العبد الفقير الى البر الباري كافي الاقحصاري وفقه الله تعالى وهداه لما يحبه ويرضيه ان رئيس العلوم الدينية ورأسها واصله الفنون اليقينية واساسها واعظمها موضوعا واقومها اصولا وفروعا علم اصول الدين الذي هو اولى علوم الانبياء والمرسلين وافضل فنون العلماء المهديين اذ هو باحث عن ذات الالوهية الربوبية بعقايد اليقين به يحصل الهداية الى حقيقة الايمان وبه ينحل شبهات اهل الضلال والطغيان لكنه قد تطرقت الشكوك و اوهام الشيطان الى عقول فرقة من الانسان فضلوا وتفرقت اوهام الاراء من اهل الاهواء فجدلوا عن الاذعان واضلوا كما قال النبي عليه السلام وافضل الصلوات واكمل التحيات افترقت اليهود الى احدى وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة ثم افترقت النصارى الى ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة و ستفترق امتي الى ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة فقيل من هم يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه

الورقة الأولى من المخطوطة رقم ١١٢٤ (ج)

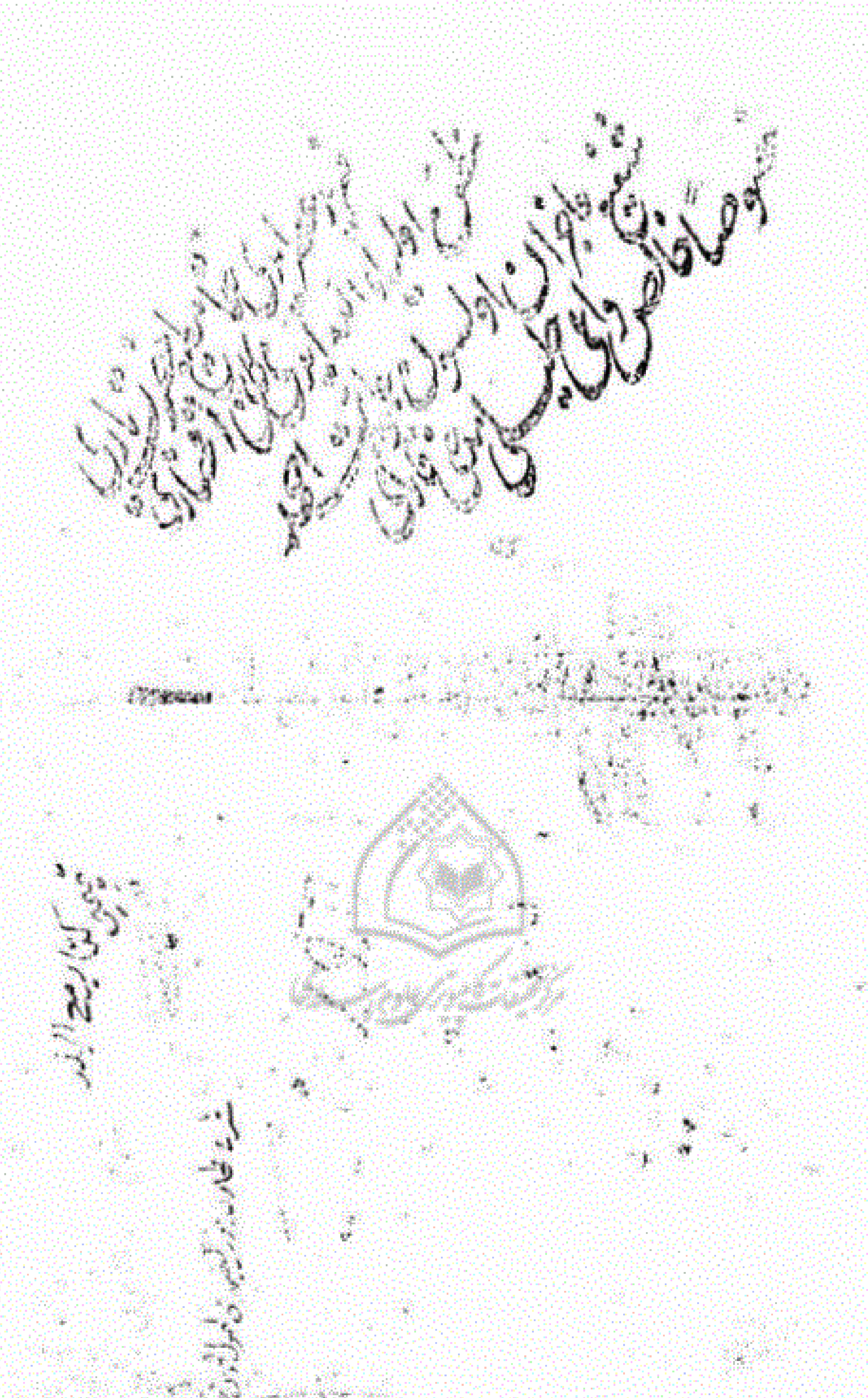
لم

بين درهم لانه زعم ان الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما
ثم نزل فذبحه وكان ذلك بعد استفتاء من علماء زمانه وكانوا من كبار التابعين
ثم قتل جهم بن صفوان ثم فشا مقالته وتقلدها المعتزلة بعد ولكن جهما كان
ادخل في التعطيل من المعتزلة لانه ينكر الاسماء حقيقة وهم لا ينكرون الاسماء
بل الصفات والجبرية وهم الذين اسقطوا الفعل والاستطاعة من العباد وجعلوا افعالهم
من غير اختيار بمنزلة حركات المرتعش وحركات الاشجار والقدرية وهم الذين يزعمون
ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى فنفوا عن الله
تعالى مشيئة الذات والفعل جميعا واثبتوا لانفسهم ولكل فاعل قدرة بما
دب ودرج تخليق الافعال وغيرهم من الذين خالفوا جماعة اهل السنة
وتفرقوا في العقائد وخالفوا اي لازموا الضلالة والبدعة وصاروا من
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ونحن منهم براء الى [illegible]
وهم عندنا ضلال لكون كل من هؤلاء ضالا عن طريق الحق واردياء على
اشقياء وانما نتبرأ منهم لمخالفتهم بحجج الكتاب والسنة الواضحة و
اجماع الامة الهادية وسموا ضلالا واردياء لدخولهم تحت الوعيد
في الخبر المتواتر الذي هو الدليل من دلائل النبوة حيث اخبر ان امته
ستفترق على ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة كما مر
وبالله العصمة والتوفيق نعم المولى ونعم الرفيق نسأل الله تعالى السلامة
والعافية من مثل هذه الاقوال والاوهام الواهية المفضية بقائلها
الى الهاوية ونعوذ بالله من الزيغ والزلل
في القول والعمل وبالله التوفيق
والهداية والبداية
والنهاية والحمد لله
رب العالمين
تمت تم

الورقة الأخيرة من المخطوطة رقم ١١٢٤ (ج)



اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ٢٧١٦



اللوحة الثانية من المخطوطة رقم ٢٧١٦
كُتبت عليها هذه الأبيات باللغة التركية في مدح المؤلف رحمه الله

كتاب

نور اليقين في أصول الدين

في شرح عقائد الطحاوي

للشيخ حسن كافي الأقحصاري

(٩٥١ ـ ١٠٢٤ هجرية) (١٥٤٤ ـ ١٦١٥ ميلادية)

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
([illegible])

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وجب وجوده، وتقدست ذاته وعم وجوده، وتنزهت صفاته، ثبت قدمه، دلّت عليه آياته، وامتنع عدمه[1]، شهدت به مصنوعاته.

والصلاة على سيد رسله محمد[2] الذي ظهرت معجزاته، وبهرت بيناته، وعلى آله وصحبه[3] الذين بنقلهم تواترت شريعته ومشروعاته، وبعد...[4].

فيقول العبد الفقير إلى البر الباري كافي الأقحصاري وفقه الله[5] وهداه لما يحبه ويرضاه[6] إن رئيس العلوم الدينية ورأسها، وأصل الفنون اليقينية وأساسها، وأعظمها موضوعاً، وأقومها أصولاً وفروعاً علم أصول الدين، الذي هو أول علوم الأنبياء والمرسلين، وأفضل فنون العلماء المهديين، إذ هو باحث[7] عن ذات[8] الألوهية وصفات[9] الربوبية بعقائد اليقين، به يحصل الهداية إلى حقيقة الإيمان، وبه تنحل[10] شبهات أهل الضلالة[11] والطغيان. لكنه قد تطرقت الشكوك وأوهام الشيطان إلى

---

(١) كلمة «عدمه» أثبتت في حاشية الأصل.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج) على سيدنا محمد.

(٣) في (ج) وأصحابه. وجاء في حاشية الأصل: وهم الذين آمنوا به وبما أنزل عليه من عند الله عز وجل.

(٤) في (أ) و (ب) أما بعد.

(٥) في (ج) وفقه الله تعالى.

(٦) في (ج) ويرضيه.

(٧) في (أ) و (ب) باعث، وهو خطأ.

(٨) سقطت من (أ) و (ب).

(٩) سقطت من (ج).

(١٠) في (أ) و (ب) و (ج) ينحل.

(١١) هكذا في الأصل، وفي (ج) أهل الضلال.

عقول فرقة من الإنسان فضلوا، وتفرقت أفهام الآراء[1]، من أهل الأهواء، فعدلوا عن الإذعان[2] وأضلوا، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام[3]:

«افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة. ثم افترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة. وستفترق[4] أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار [٢ ـ ب] إلا واحدة، قيل من هم[5] يا رسول الله؟ قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي»[6].

وفي حديث آخر قال: «هم الجماعة»[7] أي أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية. وكان كما قال، لأنه كلما بعد العهد بعد النبي وأصحابه ظهرت البدع وكثر التحريف، إلا أن الله تعالى قد منّ على أمته بجعل علمائهم كأنبياء بني إسرائيل، فلا تزال طائفة منهم قائمين على

---

(١) كذا في جميع النسخ ولو قال وتفرقت الأفهام والآراء، لكان أولى.

(٢) في (ب): عن الأذهان، وهو خطأ.

(٣) في (ج): كما قال النبي ـ عليه السلام وأفضل الصلوات وأكمل التحيات. وفي (أ) و (ب) كما قال ـ أفضل الصلوات وأكمل التحيات.

(٤) في (أ) و (ب) وستفرق.

(٥) في (ج): منهم.

(٦) و (٧) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وقد أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، من حديث عوف بن مالك، ولفظه: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة». (سنن ابن ماجه ٢: ٢٢٢).

وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجه ٢: ٣٦٤، حديث رقم ٣٢٢٦، وللحديث روايات أخرى بألفاظ متقاربة، أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، الحديث الأول والثاني فيه. (سنن أبي داود ٢: ٥٠٣) وكذلك الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، الحديث الأول والثاني فيه، وقال حديث حسن صحيح. (سنن الترمذي ٧: ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

والإمام أحمد في المسند: ٢: ٣٣٢ و ٣: ١٤٥.

وعده السيوطي من المتواتر. انظر فيض القدير ٢: ٢٠ ـ ٢١.

الحق، كما قال عليه الصلاة والسلام[١]: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم»[٢] فعينوا طريق الفرقة الناجية.

وبينوا فريق الأمة الهادية، ليحق الحق ويزهق الباطل[٣] وليتميز[٤] العالم من الجاهل.

فمن أقام هذا الحق حق الإقامة ـ قائماً في ذلك مقام الإمامة[٥] ـ الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة[٦] الأزدي الطحاوي[٧] ـ عليه رحمة ربه الغني. مولده بعد المائتين، سنة تسع وثلاثين ومائتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، حيث أخبر عن فقهاء الملة الحنفية الصفية، ورؤساء علماء ورثة النبوة[٨] المصطفوية، كالإمام الأعظم أبي حنيفة[٩] نعمان بن ثابت الكوفي[١٠]، وصاحبيه أبي يوسف

---

(١) في (أ) و (ب): صلى الله عليه وسلم، وفي (ج) كما قال عليه السلام.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب رقم ١٠، حديث رقم ٧٣١١، بنحوه. (فتح الباري ١٣: ٢٩٣).

والإمام مسلم في كتاب العمارة، باب ٥٣، حديث ١٩٢٠، وزاد في آخره. حتى يأتي أمر الله وهم كذلك. وذكر له روايات أخرى بألفاظ مقاربة. (صحيح مسلم ٣: ١٥٢٣).

وقوله: «لا يضرهم من خذلهم» أي من خالفهم، كما جاء في إحدى روايات مسلم. انظر صحيح مسلم ٣: ١٥٢٤، حديث ١٠٣٧.

«وأما هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم. قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث». وقال النووي: «يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٣: ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) في (ج) البطل.

(٤) في (ج): وليميز.

(٥) في (أ) و (ب) و (ج): مقام الإقامة.

(٦) في (ج) ابن سلام، وهو خطأ.

(٧) في حاشية (ج) ترجمة مختصرة للإمام الطحاوي وكتابه هذا.

(٨) سقطت من (ج).

(٩) في (أ): أبي ح.

(١٠) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، الإمام الثقة، فقيه الملة. =

يعقوب بن إبراهيم الأنصاري(١) ومحمد بن الحسن الشيباني(٢) ـ عليهم رحمة ربهم الغني ـ ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين. وصنف في ذلك كتاباً مشهوراً بـ «عقائد الطحاوي»(٣) بيّن فيه العويصات والغوامض، وميز الحلويات عن الحوامض. هو كتاب لم يكتحل عين الزمان بثانيه(٤) في رقة ألفاظه(٥) ودقة معانيه. [٣ ـ أ] حقيق أن تكتب سطوره(٦) بالنور على خدود الحور، وتنتقش معانيه بقلم الحدس والشعور في ألواح القلوب والصدور.

ثم شرحه غير واحد من العلماء، وفقهاء الفضلاء(٧). لكن بعضهم

= ولد سنة ثمانين، رأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، ولم يرو عن أحد من الصحابة. قال عنه الإمام الشافعي: «ما طلب أحد الفقه إلا كان عيالاً على أبي حنيفة». وقال الإمام مالك: «رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجة». ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر ترجمته في الجواهر المضيئة ١: ٢٦ ـ ٣٢؛ تاريخ بغداد ١٣: ٣٢٣ ـ ٤٥٤؛ وفيات الأعيان ٥: ٣٩ ـ ٤٧؛ سير أعلام النبلاء ٦: ٣٩ ـ ٤٠٣.

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري، صحب أبا حنيفة سبع عشرة سنة وتفقه به، وكان صاحب حديث، حافظاً، ولي قضاء بغداد، وهو أول من وضع الكتب على مذهب أبي حنيفة، ونشر علمه في أقطار الأرض. توفي سنة ١٨٢.
انظر ترجمته في الجواهر المضيئة ٢: ٢٢٠؛ تاريخ بغداد ١٤: ٢٤٢ ـ ٢٦٢؛ وفيات الأعيان ٥: ٤٢١ ـ ٤٣٣؛ الفوائد البهية ٢٢٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، الشيباني بالولاء، الفقيه الحنفي، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف ـ صاحب أبي حنيفة. صنف كتباً كثيرة، ونشر علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس، وجرى بينه وبين الإمام الشافعي مجالس بحضرة هارون الرشيد. مات سنة ١٨٩هـ. انظر ترجمته في الجواهر المضيئة ٢: ٤٢؛ تاريخ بغداد ٢: ١٧٢ ـ ١٨٢؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٢٤ ـ ٣٢٥؛ سير أعلام النبلاء ٩: ١٣٤ ـ ١٣٦.

(٣) كلمة «الطحاوي» أثبتت في حاشية الأصل.

(٤) في (ج) بيانه، وهو خطأ.

(٥) سقطت كلمات «في رقة ألفاظه» من (ج).

(٦) في (ج): «سفوره» وهو خطأ.

(٧) في (ج): والفقهاء الفضلاء.
وذكر الدكتور عبد الله التركي ١٤ شرحاً للعقيدة الطحاوية في مقدمة تحقيقه لشرح ابن أبي العز، ومنها هذا الكتاب. انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، بتحقيق د. عبد الله التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط ١: ٤٦.

مال[1] إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد[2] منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل، بحيث لا يكاد يضبط بالتحصيل.

وكان برهة من الزمان يحول في نفسي، ويحدثني حدسي[3] أن أستصفي من شروحه المعتبرة شرحاً بسيطاً، جامعاً للفوائد وسيطاً، مهذباً عن الزوائد، بحيث يحتوي على ما هو المحصول والمآل، وينطوي على ما[4] يسلي الظمآن عن الزلال.

ولما رأيت النفوس مائلة في المقصود إلى الكشف والاقتصار، سلكت مسلك الإيضاح والاختصار، مقراً بقلة البضاعة، والقصور في الصناعة، ومعتذراً[5] بكثرة الأشغال وتشتت البال. فشرحته شرحاً تسارع ألفاظه إلى اللسان والأذكار، وتسابق معانيه إلى الأذهان والأفكار، بحيث يكاد زيتها[6] يضيء ولو لم تمسسه نار، بل يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار[7]. وسميته «نور اليقين في أصول الدين».

والمرجو عن فاضل جبل على الإنصاف، وكامل عدل عن[8] طريق الاعتساف[9]، إذا[10] عثر فيه على خطأ أو خطل[11] أو سهو أو زلل أن يستره بذيل[12] العفو والكرم، ويصلحه بإصلاح القلم. فإن الصفح عما

---

(١) في (ج): ولكن مال بعضهم.

(٢) لعله يقصد: استشهد.

(٣) في (ج): حديثي، هكذا ضبط.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): على ما هو يسلي.

(٥) في (أ) و (ب): متعذراً.

(٦) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٧) عبارة: بل يكاد سنا برقه... إلى نهايتها في حاشية الأصل.

(٨) في (أ) و (ب): عدل على.

(٩) عسف عن الطريق يعسف مال وعدل. كاعتسف وتعسف، أي خبطه على غير الهداية. انظر ترتيب القاموس ٣: ٢٤؛ ولسان العرب ٩: ٢٤٥؛ وتاج العروس ٦: ١٩١.

(١٠) في (ج): وإذا.

(١١) الخطل خفة وسرعة، والكلام الفاسد الكثير. كما في ترتيب القاموس المحيط ٢: ٧٨؛ ولسان العرب ١١: ٩؛ وتاج العروس: ٣٠٥.

(١٢) في (أ) و (ب) بذليل العفو.

في الأوراق[1] من مكارم الأخلاق. وأما من جبلت على الشحناء سريرته، وخمرت بماء الحسد طينته[2] يرفع عن[3] سماع كلماتي شامخ أنفه، ولو أوتي بالحق الصريح من بين يديه [٣ ـ ب] ومن خلفه. ثم المتضرع من الإخوان، وخلص الخلان الدعاء بالخير والإحسان.

ولما تم تحريره و[4] تسويده، وكمل تقريره وتجويده، عند المحاصرة تحت قلعة أسترغون[5] ـ حماها الله وفاتحها عن نكبات المنون ـ قبل الفتح بيومين، وهو اليوم الثامن عشر[6] من جمادى الأولى لسنة أربع[7] عشرة وألف من الهجرة النبوية. جعلته تحفة[8] وهدية إلى حضرة علية، وهي حضور الوزير الأعظم، والدستور المعظم، المؤيد بالتأييد الرباني، ولتلك القلعة المنيعة الفاتح[9] الثاني المرتقى عنقاء همته[10] العلية إلى مدارج دولة السلف المهتدى و رقاء نفسه القدسية إلى معارج العزة والشرف. القائم مقام السلطان بين عساكر[11] أهل الإيمان المتمثل لنص[12] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[13] فأنام الأنام في ظل الأمان،

---

(١) في حاشية (أ) شرح لهذه العبارة ولكنه غير مقروء.

(٢) في (ج): طنيته.

وكتب في هذا المكان في حاشية الأصل: «وفيه شيء من الكرامات، حيث صدرت هذه المقالات قبل أن يظهر له عدو من تلامذته موصوف بتلك الصفات في بضع سنوات، وطعن في المؤلف للحسد والبغضاء، وأظهر بالعداوة والشحناء لسوء الاعتقاد من طريق الاعتزال والإلحاد، ساعياً بالفساد، ومن يضلل الله فما له من هاد».

(٣) في (ج) يرفع من.

(٤) في (ج) عن تسويده.

(٥) قلعة «استرغون» إحدى القلاع المشهورة في ذلك الوقت في المنطقة الوسطى في يوغسلافيا الحالية، واسمها اليوم «بسنة والهرسك».

(٦) في (أ) و (ب) هو اليوم الثامن من عشر.

(٧) تكرر لفظ أربع، في (أ) و (ب).

(٨) سقطت من (ج).

(٩) في (أ) و (ب) و (ج) المفاتح.

(١٠) في (ج): همة العلية. وهو خطأ. و «عنقاء» من عنق الزرع ـ أي طال وطلع سنبله. انظر ترتيب القاموس ٣: ٣٢٨؛ لسان العرب ١٠: ٢٧٢؛ تاج العروس ٧: ٢٦.

(١١) في (أ) و (ب) و (ج): عسكر.

(١٢) في (ج) لعنوان الله تعالى يأمر...

(١٣) النحل: ٩٠.

ناشر ناموس[1] الهداية على العموم، كاسر ناقوس الغواية في نهاية حدود الروم[2]، الذي تضعضعت[3] في بابه ركاب صناديد الماجر[4] والروس، وتواضعت لركابه رقاب ملوك الأردل والأنكروس[5]. وزير كبير لدولة سلطان[6] أحمد ـ سمي النبي الهاشمي محمد[7] ـ مربي العلماء، محب الصلحاء، معين الضعفاء، الوزير الغازي[8] محمد باشا[9]، يسره[10] الله

---

(١) في (ج): موسى الهداية.

(٢) في (أ) و (ب): حدوم الروم، وهو خطأ. ويقصد بها الحدود النهائية لدولة النصارى، حيث كان شرق أوروبا (بلقان) الحد الفاصل بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني.

(٣) في (ج) تخضعت.

(٤) المجر هم سكان دولة المجر اليوم، وكان الجزء الكبير منها داخلاً في الدولة العثمانية.

(٥) الأردل والأنكروس اسمان لشعبين من شعوب شرق أوروبا النصرانية، وقد ورد ذكرهما كثيراً في «خلاصة الأثر» حيث ترجم صاحب الكتاب للسلاطين والقواد الذين كان لهم دور في فتح وحكم تلك البلاد.

(٦) في جميع النسخ سلطان، بدون لام التعريف.
وهو أحمد بن محمد بن مراد، من أعظم ملوك آل عثمان وأجلهم وأكرمهم، كان سلطاناً عظيم القدر، جميل الذكر محباً للعلماء وآل البيت، متمسكاً بالسنة النبوية، حسن الاعتقاد، معاشراً لأرباب الفضائل، سمح الكف، حسناته للفقراء واصلة، وكان مائلاً إلى الأدب والمحاضرات، وله شعر بالتركية، سعى في قطع دابر البغاة الخارجين على السلطنة في أيام والده، وكان مدة حياته لا يفتر عن عمارة المساجد، وفعل الخيرات. كسا البيت الحرام والحجرة النبوية، وأوقف أراضي في قرى مصر لفقراء الحرمين. وكان له سبعة وزراء منهم محمد باشا البوسنوي، وتأتي ترجمته بعد قليل. انظر خلاصة الأثر ١: ٢٨٤ ـ ٢٩٢.

(٧) في (أ) و (ب) سمي الهاشمي محمد، وفي (ج) سمي النبي الهاشمي.

(٨) في (أ) و (ب): الوزير الفارسي.

(٩) هو محمد باشا البوسنوي، أحد الوزراء العظام في عهد السلطان أحمد، وهو من أقارب أحمد باشا الوزير الأعظم المشهور، كان في بداية أمره من جماعة الحرم الخاص للسلطان، ثم صار أميراً، ثم ضابط الجند، ثم ولي الحكومة بولاية أناطولي، ثم أنعم عليه برتبة الوزارة، وعين لمحافظة حد بلاد الإسلام في ناحية المجر في سنة ثلاث عشرة بعد الألف، ثم توفي الصدر الأعظم في مدينة بلغراد فوُجهت الصدارة العظمى إليه، وعين لمحاربة قلعة أسترغون، فسار إليها، ولم يتمكن تلك السنة من فتحها، ثم فتحها في السنة الثانية، وهي سنة أربع عشرة بعد الألف. توفي إثر مرض مفاجىء أثناء سفره إلى القتال سنة ١٠١٥ هـ. انظر خلاصة الأثر ٤: ٨٨.

(١٠) في (أ) و (ب) يسره الله تعالى كل ما يشاء، وفي (ج): يسر الله تعالى كل ما يشاء.

كل ما شاء. هو الذي عمر رواق حكمة النظام، بعد الانهدام، وشمر ساق الاجتهاد في إيجادها بعد الانعدام. لا زالت صنوف حراسته حامية لأطباق العالمين، وسيوف[1] سياسته قاطعة لأعناق الظالمين، نظم من قال آمين ـ أمن الله يشمله، فهذا دعاء للبرية شامل.

وها أنا[2] أخوض في المأمول، وبعناية الله أقول: قال الشيخ ـ رحمه الله ـ في افتتاح العقائد[3]: **(هذا)** أي مضمون الكتاب [٤ ـ أ] **(ذكر بيان السنة والجماعة)**[4] أما السنة فهي عبارة عن الطريقة والملة التي أمر الله تعالى رسوله[5] بالكون عليها، وهي التي قامت الحجج الواضحة، والبراهين القاطعة على حقيتها[6]، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[7] أي أنا على علم، وبيان، وحجة قاطعة، ومن اتبعني أيضاً على حجة[8] وبرهان.

وأما الجماعة، فهم الذين اتبعوه، وكانوا على ملته[9]، ودانوا بها، ودعوا سائر الأمم إليها، حتى صار إجماعهم حجة من حجج الله موجبة للعلم قطعاً، من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، كفقهاء الملة ـ أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، ومن تبعهم من الأئمة المهديين إلى يوم الدين.

ومذهبهم ما يعتقدون به[10] من أصول الدين، ويدينون به لرب

---

(١) في (أ) و (ب): يسوف، وهو خطأ.
(٢) في (ج): وأن أخوض، وهو خطأ.
(٣) في (ج) العقيدة.
(٤) هكذا في الأصل، وفي (ج): ذكر بيان اعتقاد أهل السنة الجماعة، على مذهب أعظم فقهاء الملة، أبي حنيفة النعمان بن ثابت.
(٥) في (ب): ورسوله.
(٦) في (أ) و (ب) على حقيقتها.
(٧) يوسف: ١٠٨.
(٨) في (أ) و (ب) على جهة، وهو خطأ.
(٩) في (ج) على ملة.
(١٠) في (أ) و (ب) و (ج) سقطت كلمة: به.

العالمين، وهو ما قاله[1] الشيخ نقلاً منهم **(نقول في توحيد الله)** ابتدأ بالتوحيد لأنه أول[2] خطاب يجب على المكلفين، وأول دعوة الرسل والأنبياء، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى[3]، وبه[4] نزلت الكتب السماوية، وبه[5] شهد خلقه بالدلائل المنصوبة فيه. **(معتقدين)** قاله نفياً للنفاق[6] وتحقيقاً للإيمان، إذ هو التصديق القلبي[7] كما قال تعالى فيمن أقر باللسان دون القلب: ﴿**قَالُوٓا ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**﴾[8] **(بتوفيق الله)** قاله لأن الوصول إلى توحيد الله لا يكون إلا بتوفيقه وهدايته ـ على ما ذهب إليه[9] أهل السنة والجماعة ـ ولقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[10] والتوفيق جعل الله[11] فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه. **(أن الله)** أي الذات الواجب الوجود **(واحد لا شريك له)** أكد كلامه لأنه إن كان خطاباً للمنكرين من الطائفة الضالة كالدهرية[12]، والثنوية[13]، وغيرهما، فالتأكيد واجب، وإن كان

---

(١) في (ج): ما قال الشيخ.

(٢) سقطت من (ج).

(٣) «وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى» أثبتت في حاشية الأصل. وسقطت كلمات: إلى الله تعالى، في (ج).

(٤) جاء في حاشية (ج): أي بتوحيد الله تعالى.

(٥) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٦) سقطت كلمات: نفياً للنفاق، ومن (ج).

(٧) ذهب المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في مسألة الايمان وما يتعلق به مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وستأتي مناقشته في مبحث الإيمان، إن شاء الله.

(٨) المائدة: ٤١. وسقطت كلمة «قلوبهم» من (ج).

(٩) في (ج): به إليه، وسقطت (إليه) من (ب).

(١٠) العنكبوت: ٦٩.

(١١) سقطت من (ج).

(١٢) الدهرية هم منكرو الخالق والبعث والإعادة، والقائلون بالطبع المحيي، والدهر المفني. وهم الذين أخبر عنهم القرآن بقول الله تعالى: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ [الجاثية: ٢٤] وقد رد عليهم القرآن ـ وعلى أمثالهم من منكري الخالق ـ في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿**أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**﴾ [فصلت: ٩] وقوله: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم**﴾ [البقرة: ٢١]، فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق. انظر الملل والنحل ص: ٤٩٠.

(١٣) الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، =

للمترددين فحسن. ووجود العالم محكماً متقناً على التغيير، والتأليف، والتركيب، والتسخير يدل على وجود الصانع، ووحدانيته، لامتناع حدوث حادث بغير مرجح[1] ولأنه لو كان عدداً[2] لوقع التمانع طلباً للكمال[3]، إذ هو شرط الإله، فلم يتحقق وجود المصنوع، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4] ولما تحقق وجوده[5] على هذا النمط العجيب، دل على انتفاء الشركة أيضاً. فقوله (لا شريك له) تأكيد وتقرير لكمال وحدانيته ونفي[6] للشرك بأنواعه، وهي الشرك في الذات،

= بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهم في القدم. وهم فرق مختلفة. انظر الملل والنحل ص: ٢٤٥.

(١) من الأمور العقلية التي استدل بها أهل الكلام على وجود الصانع، مسألة امتناع حدوث حادث بغير مرجح حيث قالوا: العالم حادث، والحادث لا يستغني عن سبب يحدثه، أي يرجح وجوده على عدمه، فاختصاص حدوث الحادث بوقت دون ما قبله، أي ما قبل ذلك الوقت من الأوقات، ودون ما بعده منها مفتقر بالضرورة إلى مخصص، لأن كلاً من تقدمه على ذلك الوقت وتأخره عنه ووقوعه فيه ممكن، فلا بد من مرجح لوقوعه في ذلك الوقت على تقدمه عليه وتأخره عنه، لأن الترجيح من غير مرجح محال. انظر درء تعارض العقل والنقل ١: ٣٧١ ـ ٣٧٤؛ والمسامرة شرح المسايرة ص: ١٨.

(٢) في (ج): متعدداً.

(٣) من أدلة الكلام على توحيد الربوبية ما يسمونه بدليل التمانع، ويقصدون به أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما ـ مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ـ فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزاً لا يصلح للألوهية. وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** [الأنبياء: ٢٢] وأوردها المصنف كذلك رغم أنها لا تدل على مرادهم حيث كان دليلهم في توحيد الربوبية والآية في توحيد الألوهية. انظر درء تعارض العقل والنقل ٩: ٣٥١؛ منهاج السنة ٣: ٣٠٤ ـ ٣٣٥؛ شرح ابن أبي العز ١: ٢٨ ـ ٣٢.

(٤) الأنبياء: ٢٢. وفي (ج): لو كانت فيهما، وهو خطأ.

(٥) أي وجود المصنوع.

(٦) في (أ) و (ب): وهي، وفي (ج): ونفي للشركة.

والشرك[(١)] في استحقاق تسمية الألوهية والمعبودية[(٢)]، والشرك في صفاته الذاتية والفعلية[(٣)].

أما الأول ففعل المجوس، فإنهم أثبتوا صانعين، أحدهما يزدان ـ زعموا[(٤)] أنه خالق الخير والمبرات، والأجسام الحسنة ـ والآخر أهرمن وهو إبليس، زعموا أنه خالق الشر. ولهم هذيانات كثيرة في هذا[(٥)]. وأما الثاني فهو صنع مشركي العرب، فإنهم أشركوا مع الله تعالى ما عبدوا من الأصنام في استحقاق العبادة وتسمية الألوهية، حيث سموا أصنامهم آلهة، كقوله تعالى، حكاية عنهم: قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[(٦)] مع إقرارهم بالتوحيد في الذات، كقوله[(٧)]: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٨)]. وأما الثالث ففعل اليهود، حيث قالوا إن الله على صورة البشر، وتبعهم في ذلك المشبهة[(٩)] والمجسمة[(١٠)] لأنهم

---

(١) في (ج): الشركة في استحاق.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): العبودية.

(٣) تقسيمه هذا موافق للتقسيم المشهور، حيث أراد بالقسم الأول الشرك في الربوبية، وبالثاني الشرك في الألوهية، وبالثالث الشرك في الأسماء والصفات.

(٤) في (ج): وزعموا.

(٥) اقرأ عن اعتقادات المجوس وفرقهم بالتفصيل في الملل والنحل ص: ٢٣٤.

(٦) ص: ٥. وجاء في جميع النسخ: «قالوا أتجعل الآلهة» وهو خطأ.

(٧) في (أ) و (ب): لقوله تعالى، وفي (ج): كقوله تعالى.

(٨) لقمان: ٢٥. وجاء في جميع النسخ: «وإن سألتهم من خلق السماوات والأرض قالوا خلقهن الله» وهو خطأ.

(٩) قال التهانوي في «كشاف اصطلاحات الفنون» (ص: ٨٨٥) «المشبهة ـ على صيغة اسم الفاعل ـ من التشبيه، وهو يطلق على فرقة من كبار الفرق الإسلامية، شبهوا الخالق بالمخلوقات ومثلوه بالحادثات، ولأجل ذلك جعلناهم فرقة واحدة قائلة بالتشبيه، وإن اختلفوا في طريقه». وانظر عن المشبهة أيضاً ما ورد في الملل والنحل ص: ١٠٣؛ التبصير في الدين ص: ٤٣؛ الفرق بين الفرق ص: ٢٢٥.

(١٠) المجسمة هم القائلون بأن الله جسم قديم أزلي، لا أول لوجوده، خال عن جميع الحوادث. وقد أورد الأشعري (في المقالات) آراء خمس فرق من الشيعة الأوائل وكلها تذهب إلى التجسيم، مثل قول هشام بن حكم بأن الله تعالى جسم طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه. ثم قال عند ذكره الفرقة السادسة: «وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج. وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه». (مقالات الإسلاميين ١: ١٠٦ ـ ١٠٩) وانظر: منهاج =

وصفوه بالأعضاء[1] والجوارح، وكذا القدرية[2]، والمعتزلة[3]، حيث وصفوا العباد بوصف الخالقية، بزعمهم أنه تعالى لا يقدر على أفعال العباد، بل كل أحد يخلق أفعاله. ولعل هذا قريب من صنع المجوس[4]، ولذا قال ـ عليه السلام: «القدرية مجوس هذه الأمة»[5] الحديث. وأما

= السنة النبوية ١: ٣١١؛ كشاف اصطلاحات الفنون ص: ٣٨٧؛ الفرق بين الفرق ص: ٦٥ ـ ٦٩.

(١) في (ج): بأعضاء.

(٢) في (ج): وكذلك.

والقدرية هم الذين كانوا يخوضون في القدر وذهبوا إلى إنكاره، وزعموا أن الله تعالى لم يتقدم علمه بالأشياء قبل وقوعها، وأنه ـ تعالى عن ذلك ـ لم يقدرها مسبقاً. وأول من تكلم بالقدر معبد الجهني المقتول سنة ٨٠ هـ. وتبعه على ذلك غيلان بن مسلم الدمشقي المقتول في عهد عبد الملك بن مروان. ثم صارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون الخير من الله، والشر من غيره ـ تعالى الله عن قولهم ـ فأثبتوا بذلك خالقاً غير الله، فكان ذلك سبب تسميتهم بـ ـ مجوس هذه الأمة ـ كما سيأتي بعد قليل.

انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١: ١٥٣؛ التبصير في الدين ص: ٢٧ ـ ٦١؛ الفرق بين الفرق ص: ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) المعتزلة فرقة من كبار الفرق الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال. اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وذلك بعد قوله المشهور في أصحاب الكبائر، أنهم في منزلة بين المنزلتين لا كفار مطلقاً، ولا مؤمنون مطلقاً، وقال إنهم مخلدون في النار. ويلقبون أيضاً بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها. ونفوا الصفات الزائدة عن الذات، كما نفوا الرؤية، وقالوا بأنه تعالى يجب عليه مراعاة الأصلح. ثم اختلفوا بعد ذلك إلى فرق كثيرة.

انظر كشاف اصطلاحات الفنون ٤: ١٠٣٥؛ الملل والنحل ص ٤٣؛ المقالات والفرق ص: ١٣٨؛ الجهمية والمعتزلة ص: ٤٢.

(٤) في (ج): بالمجوس.

(٥) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب ١٧، حديث ٣٦٩١(٤)، وتمامه: . . . إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» (سنن أبي داود ٥: ٦٦ ـ ٦٧)؛ ورواه الحاكم في المستدرك (١: ٨٥) وقال: «صحيح على شرط الشيخين، إن صح سماع أبي حازم من أبي عمر، ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي؛ وقد نقل صاحب عون المعبود أقوال العلماء في هذا الحديث: منها قول طويل للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ ذكر فيه علتين لهذا الحديث، ثم دفعهما. (عون المعبود ١٢: ٤٥٣) كما ذكر ابن حجر في أجوبته عن أحاديث المصابيح جوابه عما قيل في هذا الحديث، وحكم عليه بالحسن. انظر: «مشكات المصابيح ٣: ١٧٧٩.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» باب: القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، حديث ٣٣٧، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالحسن. انظر كتاب السنة ١: ١٤٩ ـ ١٥٠.

الدلائل السمعية فكثيرة، منها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١] و ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢] و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] [٥ ـ أ] وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥] إلى غير ذلك.

(ولا شيء مثله) مطلقاً، لا في الذات ولا في الصفات، ولا في الأفعال. هذا تحقيق لإثبات[٦] كمال ذاته في الأزل والقدم بنفي[٧] المماثل والنظير، لأن القول بالتشابه بينه وبين مخلوقاته قول بنفي[٨] الألوهية وإنكار للصانع. فإن التماثل بين شيئين من كل وجه يوجب المساواة بينهما من كل وجه، والمماثلة بينهما من وجه توجب المساواة في[٩] ذلك الوجه، والمساواة من كل وجه توجب المساواة في الحكم من كل وجه.

ولا شك أن حكم المخلوق الحدوث، وحكم الخالق القدم، فالمساواة توجب كون العالم قديماً، والصانع محدثاً، وذلك إنكار الصانع لاستغناء القديم عن الغير، وهو نفي الألوهية.

وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١٠] أي[١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في[١٢] أفعاله، فهو رد للمشبهة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١٣] إثبات للصفات ورد على النفاة المعطلة[١٤].

---

(١) البقرة: ١٦٣.
(٢) النحل: ٢٢.
(٣) الإخلاص: ١.
(٤) يونس: ١٨.
(٥) الشورى: ١١، وجاء في جميع النسخ: «وهو السميع العليم» وهو خطأ.
(٦) سقطت من (ج).
(٧) في (أ) و (ب): وينفي، وفي (ج): ونفي.
(٨) في (أ) و (ب) و (ج): ينفي.
(٩) في (أ) و (ب) و (ج): من.
(١٠) الشورى: ١١.
(١١) سقطت في (ج).
(١٢) سقطت في (أ) و (ب).
(١٣) الشورى: ١١، وتكرر الخطأ في هذه الآية في جميع النسخ حيث جاء فيها: «وهو السميع العليم».
(١٤) المعطلة هم الذين ينفون الصفات عن الله تعالى أو يعطلونها، وفي مقدمتهم الجهمية =

لا يقال إن لله تعالى صفات كالحياة والعلم والقدرة ونحوها، وقد يوصف المخلوق بها، لأنا نقول: حياته لذاته، لا كحياتنا. وكذا علمه وقدرته، فلا يماثله شيء[1] من المخلوقات في شيء من الصفات.

(ولا شيء يعجزه) هذا تحقيق لكمال قدرته، لأن العجز نقص إذ هو[2] من أمارات الحدوث. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[3]. فهذا[4] النفي لثبوت كمال ضده، وهو كمال القدرة.

(ولا إله غيره) إثبات التوحيد باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، وإبطال لكل معبود سواه، لأن الإله في لغة العرب هو المعبود، وكانوا يعبدون الأصنام ويسمونها آلهة كما مر. فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه خاطر شيطاني[5] وهو: هب أن إلهنا واحد، [٥ ـ ب] أفلغيرنا[6] إله غيره؟ والله أعلم. لهذا ـ بعد قوله: و ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[7] ـ قال[8]: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. تقديره عند النحاة لا إله في الوجود إلا الله[9]. واعترض عليهم بأن ذلك التقدير يكون نفياً لوجود الإله، وعدم التقدير يكون نفياً للماهية، ونفي الماهية أقوى في التوحيد من نفي

= الذين يقولون إن الله تعالى لا يوصف بشيء مما وصف به العباد، فلا يجوز أن يقال في حقه أنه حي، أو عالم، أو مريد...

والمعتزلة كذلك يسمون معطلة لأنهم عطلوا الصفات بزعمهم نفي التشبيه. انظر: التبصير في الدين ص: ٦٣، منهاج السنة ٢: ١١٠؛ من أهم الفرق الإسلامية ص: ٤٤.

(١) سقطت من (ج).

(٢) سقطت من (ج).

(٣) فاطر: ٤٤، وجاءت الآية في جميع النسخ على النحو التالي: وما كان الله ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً حكيماً، وهو خطأ.

(٤) سقطت من (ج)، وجاء فيها: ينفي بثبوت كمال ضده.

(٥) في (ج): خاطر شيطان.

(٦) في (ج): فلغير الله.

(٧) البقرة: ١٦٣.

(٨) سقطت في (ج).

(٩) المعنى الصحيح لكلمة «لا إله إلا الله» هو لا معبود يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى، لأن معنى الإله المعبود، فعلى هذا التقدير الذي قدره النحاة يكون المعنى لا معبود موجود إلا الله، وهذا غير صحيح.

الوجود. فالاستغناء عن هذا[1] التقدير أولى.

وأجيب بأن «إله» في موضع المبتدأ عند سيبويه[2]، وعند غيره اسم لا، وعلى التقديرين لا بد من الخبر.

ولأن نفي الوجود نفي الماهية، لأنه لا تتصور[3] الماهية بدون الوجود، فلا فرق بينها[4] وبين الوجود في مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة، فإنهم أثبتوا ماهية عارية عن الوجود. والمراد بيان نفي الاعتراض لا بيان الإعراب.

(قديم بلا[5] ابتداء) دلّ هذا[6] على إجماع فقهاء الملة[7] على جواز إطلاق القديم على الله تعالى، بل على[8] إدخاله في أسمائه[9]، لأن معناه ما لا ابتداء لوجوده. فقوله: «بلا ابتداء» تأكيد وتقرير له، ولما تقرر أن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

قال: **(دائم بلا انتهاء)** تأكيداً[10] بمعنى القديم، أي هو الباقي لا يزال. والأصح أن القديم صفة سلبية، أي ليست بمعنى موجود في

---

(١) في (ج): عن هذه، وهو خطأ.

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه. إمام النحاة وأول من بسط النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. صنف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. توفي شاباً في الأهواز، وقيل في شيراز، سنة ١٨٠ هـ. و «سيبويه» رائحة التفاح بالفارسية. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣: ٤٦٣؛ تاريخ بغداد ١٢: ١٩٥؛ البداية والنهاية ١٠: ١٧٦؛ طبقات النحويين ص: ٦٦ ـ ٧٤.

(٣) في (ج): يتصور.

(٤) في (ب) و (ج): بينهما.

(٥) في (أ) و (ب): قديم لا ابتداء.

(٦) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٧) سقطت في: (أ) و (ب) و (ج).

(٨) سقطت من (أ) و (ب).

(٩) والصحيح أن إدخال «القديم» في أسماء الله الحسنى مشهور عند أكثر أهل الكلام، أما السلف فقد أنكر ذلك كثير منهم، وجاء الشرع باسمه «الأول» وهو أحسن من «القديم» لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف «القديم»، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة، انظر: شرح ابن أبي العز ١: ٧٨.

(١٠) في (أ) و (ب): تأكيد، وفي (ج): تأكيد بلا انتهاء.

نفسها، كالعلم ـ مثلاً ـ فإنه صفة ثبوتية بخلاف القدم[1] لأنه عبارة عن عدم الأولية، أو قلت: عبارة عن سلب العدم السابق، كما أن البقاء عبارة عن سلب العدم اللاحق، وليس لهما معنى موجوداً في الخارج عن الذهن. أو قلت: القدم عبارة عن عدم افتتاح الوجود، والكل بمعنى واحد.

هذا معنى القديم باعتبار ذاته العلية وصفاته الجلية، وأما إذا أطلق في حق الحادث، كما إذا قلت هذا[2] بناء قديم، ونحوه، فهو عبارة عن طول مدة الوجود، وإن كان مسبوقاً بالعدم [٦ ـ أ] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[3] وقوله ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[4].

وقيل: لم يرد الشرع بإطلاقه على الله تعالى، وأسماء الله تعالى توقيفية. لكن السلف لما وجدوه مستعملاً بمعنى واجب الوجود لذاته ـ حتى ذهب بعضهم بترادفهما[5] ـ أجمع فقهاء الملة على جواز إطلاقه على الله تعالى كما مر.

وقد أورد السنوسي[6] في شرحه لعقيدته نقلاً عن العراقي[7] أنه قال

---

(١) في (ج): القديم. وكلمات: «ـ مثلاً ـ فإن صفة ثبوتية بخلاف القدم» أثبتت في حاشية الأصل.

(٢) تكررت كلمة: هذا في الأصلية.

(٣) يوسف: ٩٥.

(٤) يس: ٣٩.

(٥) في (ج): يتبرأ فيهما.

(٦) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني ـ أبو عبد الله، عالم تلمسان في عصره وصالحها، له تصانيف كثيرة، منها: «عقيدة أهل التوحيد» وهي العقيدة السنوسية المطبوعة المشهورة. توفي سنة ٨٩٥ هـ.
انظر ترجمته في: «شجرة النور الزكية» ص: ٢٦٦ ترجمة رقم ٩٨٤.

(٧) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازاني، ثم المصري الشافعي، الإمام الحافظ المشهور، قرأ بالروايات السبع، وبرع بالحديث متناً وإسناداً وفاق أقرانه فيه. وله تصانيف كثيرة مشهورة، توفي سنة ٨٠٦ هـ.
انظر ترجمته في: «ذيل تذكرة الحفاظ» ص: ٢٢٠؛ «الضوء اللامع» ٤: ١٧١.

عده الحليمي[1] في الأسماء وقال: وإن لم[2] يرد في الكتاب نص، لكن ورد في السنة. وأشار بذلك إلى ما[3] رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه[4] ـ وفيه عد القديم في التسعة والتسعين.

وقيل: مراد الشيخ بقوله «قديم» و «دائم» معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[5].

(لا يفنى ولا يبيد) تأكيد لقوله «بلا انتهاء». والفناء والبيد متقاربان في المعنى، جمعهما في الذكر[6] تأكيداً لدوامه وبقائه. فأراد بالأول نفي

---

(١) في (ج): الحلمي، وهو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم المعروف بـ «الحليمي» فقيه شافعي قاض، كان رئيس أهل الحديث فيما وراء النهر، له كتاب «المنهاج في شعب الإيمان». قال عنه الأسنوي: «كتاب جليل، جمع أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة، لم أظفر بكثير منها في غيره...» توفي سنة ٤٠٣ هـ.
انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية الكبرى» ٤: ٣٣٣ ـ ٣٤٣؛ «طبقات الشافعية» للأسنوي ١: ٤٠٤ ـ ٤٠٥؛ «البداية والنهاية».....
أما قوله هذا ـ الذي نقله عنه الإمام العراقي ـ فقد وقفت عليه في كتابه «المنهاج في شعب الإيمان» تحت عنوان: «ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الباري ـ جل ثناؤه ـ والاعتراف بوجوده، منها القديم...» ثم قال: «وذلك مما يؤثر عن النبي ـ ﷺ ـ ولم يأت به الكتاب نصاً، وإن كان قد جاء فيما تقتضيه» (١: ١٨٨) أي ورد فيه ضمناً، فإنه ورد فيه الأول وهو معنى القديم، كما في «حاشية الدسوقي على أم البراهين» ص: ٧٨.
(٢) سقطت من (أ) و (ب).
(٣) سقطت «ما» في: (أ) و (ب).
(٤) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ١٠، حديث ٣٨٦١، وبدايته: «إن لله تسعاً وتسعين اسماً، مئة إلا واحدة، إنه وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة، وهي:...» ثم ذكرها ومنها «القديم». (سنن ابن ماجه ٢: ١٢٦٩).
وقال البوصيري في الزوائد: «عدد أسماء الله الحسنى لم يخرجه من الأئمة الستة سوى ابن ماجه والترمذي، لكن طريق الترمذي بغير هذا السياق وزيادة ونقص، وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني». نقله عنه الأعظمي في تحقيقه لسنن ابن ماجه ٢: ٣٤٨، وقد صححه الشيخ الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢: ٣٣٠) إلا أنه اعتمد في تصحيحه لهذا الحديث على رواية الترمذي وليس فيها ذكر «القديم»، بدليل أنه أحال في تصحيح هذا الحديث إلى ما كتبه في «مشكاة المصابيح» وفيه رواية الترمذي، وقال في الهامش: «إسناده صحيح» فكان نقله هذا الحكم على رواية ابن ماجه سهواً، والله أعلم. انظر «مشكاة المصابيح» ٢: ٧٠٨.
(٥) الحديد: ٣.
(٦) سقطت من (ج)، وجاء في (أ) و (ب): جمعها في الذكر.

تلاشي الذات، وبالثاني نفي بطلان الحياة، لأن ما هو واجب الوجود لذاته فهو واجب البقاء[1] لذاته.

(ولا يكون إلا ما يريد) هذا إثبات صفة[2] الإرادة لأن كل الوجود سواه فهو بإرادته وتكوينه، ورد لقول القدرية والمعتزلة إن الله تعالى أراد الإيمان، والكافر أراد الكفر. فإن قولهم فاسد مردود لمخالفته[3] الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر[4] المشهورة.

والمحققون من أهل السنة على أن الله تعالى ـ وإن كان يريد المعاصي قدراً ـ فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها. ويقولون ما شاء الله كان [٦ ـ ب] وما لم يشأ لم يكن، إذ الإرادة هي[5] بعينها المشيئة عندهم. ثم يقولون الإرادة في كتاب الله تعالى نوعان إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية.

فالأولى هي الشاملة لجميع الحوادث[6] وهي في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾[7] وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[8] وفي قول أهل السنة: «ما شاء الله[9] كان وما لم يشأ لم يكن».

والثانية هي المتضمنة للمحبة والرضا، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[10] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[11] وفي قول الناس لمن يفعل القبائح هذا يفعل ما لا يريده

---

(١) في (ج): فهو واجب الوجود لذاته، فهو واجب البقاء لذاته.
(٢) في (أ) و(ب) و(ج): صفات.
(٣) في (ج): لمخالفة.
(٤) في (أ) و(ب) و(ج): مسألة القدرية.
(٥) سقطت من (ج).
(٦) في (أ) و(ب) تكررت عبارة «هي الشاملة لجميع الحوادث».
(٧) الأنعام: ١٢٥.
(٨) البقرة: ٢٥٣.
(٩) سقط لفظ الجلالة في (أ) و(ب).
(١٠) البقرة: ١٨٥.
(١١) النساء: ٢٧.

الله، أي لا يحبه ولا يأمر به[1] ولا يرضاه.

(لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام) الوهم[2] ما يرجى كونه، والإدراك[3] إحاطة الشيء بكماله، والفهم[4] ما يحصله العقل ويحيط به[5]. فالله تعالى ليس بذي كيفية فينطبع في الأوهام، ولا بذي حد ونهاية فيبلغ العقل كنهه وإحاطته، بل هو[6] متعال عن أن يحيط به الشيء، كقوله[7] تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[8].

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[9] وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[10] فلا نعرفه إلا بأسمائه وصفاته التي ورد بها كتابه[11]، وبينها رسله وأنبياؤه.

وما[12] زعمت المعتزلة من حمل نفي الإدراك على نفي الرؤية فباطل، كما سيجيء ـ إن شاء الله[13] ـ في الرؤية.

(ولا يشبهه الأنام)[14] قيل: الأنام كل ذي روح. وقيل: جميع

---

(1) سقطت كلمات (ولا يأمر به) من (أ) و (ج) و (ب).

(2) قال صاحب لسان العرب: «توهم الشيء تخيله وتمثله» (لسان العرب ٩: ٦٤٣).

(3) قال في المفردات: «... وأدرك: بلغ أقصى الشيء» (مفردات غريب القرآن ص: ١٦٨، وانظر لسان العرب ١٠: ٤١٩).

(4) قال في المفردات: «الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن... وأفهمته إذا قلت له حتى تصوره» مفردات غريب القرآن ص: ٣٨٦، وانظر لسان العرب ١٢: ٤٥٩.

(5) في (أ) و (ب) و (ج): له.

(6) سقطت من (أ) و (ب).

(7) في (ج): الشيء، لقوله.

(8) طه: ١١٠.

(9) الأنعام: ١٠٣.

(10) البقرة: ٢٥٥.

(11) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(12) سقطت في (ج).

(13) سقط لفظ الجلالة في (أ).

(14) هذا رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى، وقد ذكر المؤلف ذلك إلا أنه لم ينبه على أن نفي التشبيه لا يلزم منه نفي الصفات، كما زعم بعض أهل البدع، بل المراد بنفي التشبيه عند أهل السنة أن الله تعالى لا يشبه المخلوق=

الخلائق[1]. وقال الإمام أبو منصور[2]: المراد عندنا البشر[3]، يشهد بذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[4]. فإن أرادوا به جميع الخلائق فلا إشكال، [٧ ـ أ] لأن مشابهة جميع الخلائق منفية عنه، فيكون تأكيداً لقوله: (ولا شيء مثله).

وإن أرادوا[5] به كل ذي روح، فقد دخل[6] تحته الملائكة، والجن، والبشر، وكل ذي روح سواهم. وإذا[7] نفى مشابهة هؤلاء الموصوفين بالحياة والقدرة والفعل الاختياري فقد نفى ما دونهم من سائر المخلوقات بالطريق الأولى.

وإن أرادوا به البشر فكذلك، إذ المقصود بتخليق العالم هو البشر، لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[8] فنفي مشابهتهم نفي[9] لمشابهة من سواهم.

وإرادة البشر أولى، لأنه قد علم أن اليهود مجسمة وتبعهم من هذه الأمة طوائف في التجسيم والتشبيه، ووصفوه بأنه جسم على صورة البشر. وكذلك النصارى وصفوه بالولد والصاحبة، فيكون هذا[10] القول

= في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يشبهه المخلوق في ذلك كله. قال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: «لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه» «وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا». (الفقه الأكبر ص: ١٥، ٣١ ـ ٣٢)، وانظر شرح ابن أبي العز ١: ٨٥ ـ ٨٧.

(1) انظر لسان العرب ١٢: ٣٧.
(2) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ـ نسبة إلى ما تريد بسمرقند ـ من أئمة المتكلمين، ورأس الماتريدية، وقد خالف الأشعري في مسائل أوردها أبو عذبة في كتابه «الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية»، توفي سنة ٣٣٣ هـ.
انظر ترجمته في: «الجواهر المضيئة» بتحقيق عبد الفتاح الحلو ٣: ٣٦٠؛ «الفوائد البهية» ص: ١٩٥؛ «تاج التراجم» ص: ٥٩.
(3) في (أ) و (ب) و (ج): بشر.
(4) الرحمن: ١٠.
(5) في (ج): أراد.
(6) سقطت من (أ) و (ب).
(7) في (أ) و (ب) و (ج): فإذا.
(8) الجاثية: ١٣.
(9) سقطت من (ج).
(10) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

رداً على هؤلاء الضالين على طريق المبالغة في التنزيه، مع أنه نفى مشابهة سائر[1] العالم بقوله «ولا شيء مثله».

ولما نفى الشيخ المشابهة عنه تعالى، أشار إلى ما يقع به التفرقة بينه وبين خلقه بما يتصف به هو دون خلقه فقال:

(حي لا يموت، قيوم لا ينام) هذا وصف بصفات الكمال لكمال ذاته، لأن صفة الحياة الأزلية الباقية مختصة به تعالى دون خلقه. وفيه إشارة إلى نفي التشبيه أيضاً.

فإن الحي بحياة أزلية باقية لا يشبهه الحي بحياة حادثة زائلة فيستحيل أن يحله الموت، إذ الأزلي يستحيل عليه العدم. وأشار به إلى معنى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[2]. وقوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[3]. فنفي السنة والنوم دليل على كمال[4] حياته وقيوميته. وفي القيوم من الدلالة على معنى الأزلية والأبدية ما ليس في القويم[5]، وهو أبلغ من القيام، لأن الواو[6] أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة. فالحي القيوم من أعظم الأسماء[7] الحسنى، حتى قيل أنهما الاسم الأعظم. وهما مدار الأسماء الحسنى[8] كلها[9]، وإليهما يرجع معانيها[10]. فإن الحياة[11] مستلزمة بجميع صفات الكمال. ولما كانت[12] حياته أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها[13] إثبات كل كمال.

---

(1) سقطت من (ج).
(2) البقرة: ٢٥٥.
(3) الفرقان: ٥٨.
(4) سقطت من (أ) و (ب).
(5) في (أ) و (ب): القيوم، في (ج): القيام.
(6) سقطت من (أ) و (ب).
(7) في (أ) و (ب): أسماء الحسنى.
(8) في (أ) و (ب): الإسلام الحسنى، وهو خطأ، وفي (ج): أسماء الحسنى.
(9) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(10) في (ب): إليها يرجع، وفي (ج): معانيهما، وهو خطأ.
(11) سقطت من (أ) و (ب).
(12) في (ج): ولما كان.
(13) سقطت من (ج).

وكذا القيوم متضمن كمال غناه[1] وكمال قدرته، إذ هو القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، بل هو المقيم لغيره، إذ لا قيام لغيره إلا بإقامته. فانتظم هذان الاسمان بصفات الكمال أتم انتظام.

(خالق بلا حاجة) إثبات لصفة الفعل، أي هو موجد المخلوقات كلها، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]. وإيجاده ليس لاحتياجه إليها لأنه نقص، وهو في حقه محال، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] بل لظهور عظمته وتعاليه[4] وحكمته.

(رازق[5] بلا مؤونة) أي هو[6] رازق كل مرزوق بغير ثقل وكلفة، لأن جميع ما يريد يكون بالتكوين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[7] وبهذا لا [تلحقه][8] الكلفة والمؤونة، ولأنه كامل القدرة، إذ[9] قدرته بذاته لا مستفادة من غيره، كما أن غناه بنفسه لا بغيره.

(مميت بلا مخافة) أي كما أنه موجد بلا احتياج كذلك[10] هو مميت بلا خوف عن ورود ضرر، لأنه هو العزيز القهار، بل جعل مماتهم دليلاً على تفرده بالعز والبقاء. فمن كمال قدرته إيجادهم من العدم، ومن كمال حكمته إماتتهم ليعيدهم ويجازيهم في دار البقاء، كقوله[11]: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[12].

---

(١) سقطت من (أ) و (ب).
(٢) الزمر: ٤.
(٣) العنكبوت: ٦، وفي (ج): «إن الله تعالى لغني» وهو خطأ.
(٤) في (ج): وهو معاليه، وهو خطأ. وفي (أ) و (ب) مقاليه.
(٥) في (أ) و (ب): رزاق.
(٦) سقطت من (أ) و (ب).
(٧) يس: ٨٢.
(٨) جاء في جميع النسخ: «لا يلحق» والصحيح ما أثبته.
(٩) في (أ) و (ب) و (ج): إن.
(١٠) في (أ) و (ب): كذا.
(١١) في (أ) و (ب): لقوله، وفي (ج): كقوله تعالى.
(١٢) الملك: ٢، وسقطت كلمة «الذي» من بداية الآية في جميع النسخ.

(باعث بلا مشقة) إشعار للإحياء بعد الإماتة، ورد لمنكر البعث. يعني كما أنه تعالى خلق العالم بالتكوين القائم بذاته بلا مشقة، كذلك يعيدهم بعد موتهم وتفرق أجزائهم بلا مشقة، لقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾[1] أي ما عيينا بالخلق الأول، فكيف نعيى[2] بالخلق الثاني؟

(ما زال بصفاته قديماً) يعني[3] أنه تعالى[4] موصوف بأسمائه وصفاته الذاتية الأزلية، كالحياة، والقدرة، والعلم[5] والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، وبصفاته الفعلية، كالتخليق، والتكوين، والإيجاد، والإحداث، والإحياء، والإماتة، **(قبل خلقه)** المخلوقات، وقبل وصف الواصفين إياه بها، لإنها صفات له قائمة بذاته في الأزل[6].

ولا يقال: هذه الصفات هي[7] الذات، ولا هي غير الذات، بل يقال: هي معان لازمة للذات من الأزل إلى الأبد، بلا ابتداء ولا انتهاء[8].

---

(١) ق: ١٥.
(٢) في (أ) و (ب): نعني، وهو خطأ.
(٣) سقطت من (أ).
(٤) في (ب): تعالى الله.
(٥) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٦) في (أ) و (ب): في الأول.
(٧) في (أ) و (ب) و (ج): عين الذات.
(٨) مسألة الصفة هل هي زائدة على الذات أم لا؟ من مسائل أهل الكلام المجملة في ألفاظها، لذلك تجد السلف كانوا لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو، إذ كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل. فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، فهو حق، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة. انظر شرح ابن أبي العز ١: ٩٧ ـ ٩٩. وقد أعاد المؤلف ـ رحمه الله ـ الكلام في هذه المسألة أثناء رده للقائلين إن الله صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً، وقال: «وسبب ضلالتهم غباوتهم في شبهة تعلقوا بها، وهي: أن الصفة إذا لم تكن هي الذات فهي غير الذات، والقول بالغير في الأزل مناف للتوحيد... ولا استحالة في تعدد الصفات القديمة، بل المستحيل تعدد الذوات القديمة». وسيأتي هذا الكلام قريباً.

(لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته) أي لم يحدث له صفة[1] بإيجاد شيء لم يكن، إذ حدوث صفة أو اسم له نقص وهو محال.

(وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً) إذ تعريه[2] عن شيء من صفات كماله نقص أيضاً. فيه رد على المعتزلة والجهمية[3]، ومن[4] تابعهم في الضلالة حيث زعموا أنه تعالى حي لا حياة له، عالم لا علم له، قادر لا قدرة له، وكذا سائر الصفات. ولا يخفى على أغبى الإنسان ـ فضلاً عن أهل اللسان ـ أن[5] قول القائل: الله تعالى عالم بما لا علم له، قادر بما لا قدرة له قول[6] متناقض باطل، كقوله: الله[7] عالم والله[8] ليس بعالم، وقوله: شيء أبيض لا بياض له، أسود لا سواد له[9]. و[10] لأهل الحق من الحجج السمعية[11] القاطعة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[12].

وقوله: ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[13] وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[14] و[15]

---

(1) في (أ) و (ب): صفته.
(2) في (أ) و (ب): تعريته.
(3) الجهمية أتباع جهم بن صفوان الراسبي، من أهل خراسان، وقد تتلمذ على جعد بن درهم. قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: «الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً». (١: ٤٢٦) ومن آرائه: نفي الصفات، والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة والنار. والجهمية تطلق أحياناً بمعنى أعم ويقصد بها نفاة الصفات عامة. انظر: الفرق بين الفرق ص: ٢١١، وانظر ما قاله شيخ الإسلام عن مضمون مذهبهم في منهاج السنة ٢: ٢.
(4) في (أ) و (ب): وما تابعهم، وهو خطأ.
(5) سقطت من (أ) و (ب).
(6) سقطت من (أ) و (ب).
(7) في (أ) و (ب) و (ج): والله.
(8) في (ج): وليس بعالم.
(9) «وقوله: شيء أبيض لا بياض له، أسود لا سواد له» مثبت في حاشية الأصل.
(10) سقطت من (ب).
(11) في (أ) و (ب): السمية.
(12) البقرة: ٢٥٥.
(13) هود: ١٤. وجاءت الآية هكذا في جميع النسخ، وهي: فاعلموا أنما أنزل.
(14) النساء: ١٦٦.
(15) سقطت في (أ) و (ب).

قوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾[1] . فالله تعالى أثبت لنفسه العلم والقوة بنصوص صريحة محكمة، والمعتزلة يأبون ذلك، فإذا هم على زعمهم أعلم بالله من الله[2] .

وفيه رد أيضاً على قولهم أنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً[3] . وأقول: في قولهم (صار قادراً) إثبات لصفة القدرة، فإن قالوا ـ كما هو زعمهم ـ إن نحو قادر وعليم وسميع وبصير أسماء للذات، لا معاني لها سوى الذات بطل قولهم (صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً) لأنه حينئذٍ يكون معناه صار ذاتاً بعد أن لم يكن ذاتاً، وبطلانه ظاهر.

وسبب ضلالتهم غباوتهم في شبهة تعلقوا بها، وهي أن الصفة إذا لم يكن هي الذات فهو غير الذات، والقول بالغير في الأزل مناف للتوحيد.

وكذا القول بأزلية الصفات قول بإثبات القدماء. وقد مر الجواب في قولنا (معان لازمة للذات) ولا استحالة في تعدد الصفات القديمة، إنما المستحيل تعدد الذوات القديمة.

(ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم «الخالق») تحقيق لإثبات صفات الكمال في الأزل لأن تعريه عنها يوجب النقص[4] والافتقار إلى حصوله بإيجاده للمخلوق، والنقص محال.

(ولا بإحداث البرية اسم «الباري») تأكيد وتقرير لما سبق، فإن الباري بمعنى الخالق، وقيل: هذه الكلمة قلما تستعمل في غير الحيوان، إذ لا يقال: براء السماوات والأرض، وقال[5] تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾[6] .

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) سقطت من (أ) و (ب).

(٣) انظر هذه المسألة بالتفصيل في مجموع الفتاوى ١٨: ٢١١ ـ ٢٤٣.

(٤) في (أ) و (ب): النقض.

(٥) في (ج): قال الله تعالى.

(٦) البقرة: ٥٤. وسقطت الفاء من جميع النسخ من قوله تعالى: ﴿فتوبوا﴾. وانظر في معنى كلمة «الباري» مفردات القرآن ص: ٤٥، ولسان العرب ١: ٣١.

والبرية الخليقة[1] بمعنى المخلوق، وأصل الياء الأولى همزة قلبت ياء تخفيفاً[2] ثم أدغمت. وقيل: من البرو، فأصلها واو قلبت وأدغمت.

(له معنى الربوبية ولا مربوب)[3] تصريح بما علم التزاماً للتأكيد، وليس المراد منه نفي تسلسل الأفعال والحوادث في الأزل، وإن كان يفهم من ظاهر كلامه[4]، لأنه تعالى لم يزل حياً، وكل حي فعال لأن الفعل من لوازم الحياة. فالله ـ سبحانه ـ لم يكن[5] في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الفعل والإرادة، بل مراد الشيخ إثبات صفاته في الأزل[6]، وبيان تأخر[7] المخلوق عن الخلق، ورد طائفة توهموا أن القول بقدم صفات الفعل يؤدي إلى القول بقدم المخلوق. وهذا غلط، فإن الخلق صفة للخالق دون المخلوق، لأن المخلوق[8] إنما يكون بالخلق الذي هو تكوين الخالق. فيكون الخلق أولاً والمخلوق ثانياً. فبطل ما توهموا لثبوت تأخر المخلوق.

ولا يستنكر أن يكون المؤثر يظهر تأثيره في الحال[9] بلا فصل، إن شاء، أو مع فصل بمدة، والمصنوع في الحالين أثر فعل الصانع[10]. فاتضح أن كون المحدثات في الأوقات التي سبق في علم الله[11] وجودها فيها بإيجاده وخلقه الذي هو صفة قديمة مع انتفاء قدم المخلوقات، كثبوت العلم مع انتفاء قدم المعلومات، كثبوت علمه بأحوال العالم قبل وجوده. يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[12].

---

(١) سقطت من (ج).

(٢) في (ج): تحقيقاً.

(٣) في (ج): ولا مربوب له.

(٤) جملة: «وإن كان يفهم من ظاهر كلامه» أثبتت في حاشية الأصل.

(٥) سقط هذا السطر بكامله من (أ) و (ب).

(٦) في (أ) و (ب) و (ج): في الأزلية.

(٧) وفي (ج): تأخير.

(٨) سقطت في: (أ) و (ب) وصححت في حاشية (ج).

(٩) في (أ) و (ب): في الخالق، وهو خطأ.

(١٠) في (ج): فعل الصناع.

(١١) في (ج): في علم الله تعالى، وقد تكرر الخلاف بين النسخ في مثل هذا كثيراً والتزمت ما جاء في الأصل ولم أشر إليه في كل مرة.

(١٢) الفاتحة: ٤.

(وله معنى الخالق ولا مخلوق) لأن التخليق معنى قائم بذاته في الأزل وإن لم يكن مخلوق[1]. تأكيد لما قبله، وبيان لتأخر المخلوق عن الخلق.

قيل لم يقل (معنى الخالقية) كما قال (معنى الربوبية) لأن الخالق هو المخرج لشيء[2] من العدم في الأصل، وإن كان بمعنى التقدير أيضاً.

والرب له معان كثيرة، وهي: الملك، والحفظ، والتدبير[3]، والتربية، فأتى بلفظ يشتمل هذه المعاني.

(وكما أنه) تعالى استحق اسم[4] **(محيي الموتى بعدما أحيا)** أي بعد إحيائه الخلق **(استحق هذا الاسم قبل إحيائهم)** أيضاً، **(كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم)** لأنه قديم بأسمائه وصفاته، **(ذلك)**[5] إشارة إلى ما تقدم من صفات المدح، والكمال وثبوتها في الأزل، فهو حق **(بأنه على كل شيء قدير)** في الأزل وإن لم تكن[6] الأشياء موجودة فيه.

وفيه إثبات لصفة القدرة في الأزل[7]، ويندرج فيه كل ممكن لأن القدرة إنما تتعلق بجميع الممكنات دون المحالات، كإيجاد[8] مثل نفسه، أو إعدام نفسه، وكون شيء واحد موجوداً ومعدوماً في حال واحدة، ونحوها، إذ لا حقيقة لها فلا تعلق للقدرة[9] بالممتنعات.

وفيه إشارة إلى أن الشيء يطلق على المعدوم الممكن، وقد تنازعوا فيه. والتحقيق أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، لكنه شيء في علم الله

(١) في (ج): مخلوقاً.
(٢) في (ج): الشيء.
(٣) في (أ) و (ب) و (ج): والتقدير.
(٤) «استحق اسم» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٥) في (ج): وذلك.
(٦) سقطت من (أ) و (ب).
(٧) سقطت كلمة (في الأزل) من (ج).
(٨) في (ج): لإيجاد، وهو خطأ.
(٩) في (أ) و (ب): القدرة.

تعالى[1]، فإنه[2] تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون[3] إذ يكتبه ويذكره، ويخبر به[4]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[7]. أي في الخارج، وإن كان شيئاً في علمه. وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[8]. فيكون المعنى أنه على كل شيء ممكن معدوم في الخارج قدير، أي على تكوينه وإيجاده.

والمعتزلة حرفوا معناه المفهوم وقالوا: إنه قادر على كل ما هو[9] مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها. وتنازعوا في أنه هل يقدر على مثلها؟ وهذا غلط منهم لأنه لو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يقال هو عالم بكل ما[10] يعلمه، خالق لكل[11] ما يخلقه، ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة لها، فسلبوا كمال قدرته على[12] [كل][13] شيء، وبطلانه ظاهر.

(وكل شيء إليه فقير) في تكوينه، ووجوده، وتحوله، وبقائه وسائر أحواله.

(وكل أمر) من الأمور **(عليه يسير)** لأنه كامل القدرة، لا يلحقه المؤونة ولا الكلفة، كما مر.

---

(١) جاء في هذا المكان في حاشية الأصل: «وقيل سماه شيئاً قبل وجوده من قبل تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه؟».
(٢) سقطت من (ج).
(٣) سقطت من (أ) و (ب).
(٤) في (أ) و (ب): ويخبر له.
(٥) الحج: ١، وسقطت كلمة «عظيم» من (ج).
(٦) يس: ٨٢.
(٧) مريم: ٩، وسقطت كلمة «وقد» من (أ) و (ب) وكلمة «من قبل» من (ص) و (ج).
(٨) الإنسان: ١.
(٩) سقطت كلمتا (ما هو) في (ج).
(١٠) سقطت من (أ) و (ب).
(١١) في جميع النسخ: بكل، والصحيح ما أثبته.
(١٢) في (أ) و (ب): كما قدرته، وفي (ج): كمال قدرته عن.
(١٣) سقطت من (ص) و (أ) و (ب)، وأثبتها من (ج).

(لا يحتاج إلى شيء) من الأشياء، لأن الاحتياج نقص، ولأنه وصف نفسه بكمال الاستغناء، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

(ليس كمثله شيء) هذا نص محكم شامل لنفي جميع سمات المحدثين، وصفات المخلوقين عن الله[2] تعالى، رداً على المشبهة. وفي إعرابه وجوه، أوجهها كون الكاف صلة زيدت للتأكيد، ومثله خبر ليس واسمها شيء[3].

(وهو السميع البصير)[4] إثبات لصفة السمع والبصر، ورد على[5] المعطلة، وإثبات الصفات التي وصف بها نفسه في كتاب، وبينها أنبياؤه، من العلم، والحلم[6]، والسمع، والبصر، والغضب، والرضا، وغيرها[7] ليس[8] تشبيهاً كما زعم بعض النفاة لما مر من أن صفاته ليست كصفات المخلوقين.

(خلق الخلق) أي أوجد، وأبدع، وأنشأ المخلوق (بعلمه) أي عالماً بهم، لأنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده بإرادته وهي تستلزم تصور المراد، وتصوره هو العلم به، كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[9]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[10].

(وقدر لهم أقداراً) تحقيق بأن كل شيء يجري في الخلق فهو بتقدير الله تعالى، لقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾[11]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[12].

---

(١) العنكبوت: ٦، وسقط حرف (ل) من قوله تعالى: ﴿لغني﴾ في (أ) و (ب) و (ج).
(٢) في (ج): عن أمر الله.
(٣) انظر «البحر المحيط» ٧: ٥١٠.
(٤) في (ج): العليم، وهو خطأ.
(٥) سقطت من (أ) و (ب).
(٦) في (أ) و (ب) و (ج): الحكم.
(٧) في (أ) و (ب): غير، وفي (ج): غير ذلك.
(٨) سقطت من (أ) و (ب).
(٩) الملك: ١٤، وسقطت كلمة «ألا» من (ج).
(١٠) الأنعام، ٥٩، وجاء في جميع النسخ: «ولا تسقط» وهو خطأ.
(١١) القمر: ٤٩.
(١٢) الفرقان: ٢، وفي (أ) و (ب): «وقدره تقديراً» وهو خطأ.

والقدر تعيين ما يقع لكل شيء من زمان أو مكان، أو ثواب أو عقاب، أو خير أو شر، وجعل كل شيء على ما هو أليق به، وسيأتي زيادة البيان للقدر[1] إن شاء الله.

(**وضرب لهم آجالاً**) هذا تحقيق بأن الأجل المضروب لكل أحد مبرم محكم لا يحتمل التأخر[2] عنه، ولا التقدم[3] عليه، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [١٠ ـ ب] ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5]. وبهذا[6] بطل قول المعتزلة أن لكل إنسان أجلين أحدهما الموت، والآخر القتل[7]، وذلك غلط منهم لأنه يبطل ولاية ملك الموت[8] عن عموم تسليط الله على قبض أرواح العالمين[9]، وذلك تعجيز للوكالة الإلهية وهو محال، إلا أنه تعالى قدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بالحرق[10]، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك. فالمقتول ميت بأجله، أما وجوب القصاص والضمان على القاتل فلارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا قوله ـ عليه السلام[11] ـ «صلة

---

(١) في (أ) و (ب): القدر، وفي (ج): زيادة بيان.
(٢) في (ج): التأخير.
(٣) في (ج): التقديم.
(٤) الأعراف: ٣٤، وفي (ص) و (ج): «وإذا جاء أجلهم...» وهو خطأ.
(٥) آل عمران: ١٤٥.
(٦) في (أ) و (ب): هذا.
(٧) انظر مقالات الإسلاميين ١: ٢٥٦.
(٨) سقطت في (أ) و (ب).
(٩) هذه العبارة غير واضحة، حيث لا يفهم منها كيف يكون إبطال ولاية ملك الموت، وجاء في شرح ابن أبي العز: ١: ١٢٨) «وعند المعتزلة المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان. وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب...».
(١٠) في (أ) و (ب): بسبب الحرق.
(١١) تختلف عبارة الصلاة على النبي، ﷺ، في النسخ، والتزمت الأصل الذي أتى فيه غالباً: عليه السلام، وأحياناً يضع: ع س.

الرحم تزيد في العمر»[1]، أي يسبب طول العمر، وقد[2] قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا[3] ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، لكن قدر هذا السبب وقضاه.

وكذا يقدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا. يؤيده قوله ـ ﷺ ـ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[4].

(لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم)[5] يعني أنه تعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن[6] لو كان كيف يكون. فيه رد على المعتزلة والرافضة[7] الذين قالوا إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه.

---

(1) رواه أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك، ولفظه: «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما العمر، ويدفع بهما ميتة السوء، ويدفع الله بهما المكروه والمحذور». (ج: ٧، حديث رقم: ٤١٠٤).

قال في مجمع الزوائد: (٨: ١٥١) «وفيه صالح بن بشير بن وادع المري وهو ضعيف». لكن معنى الحديث صحيح، يشهد له أحاديث كثيرة، منها حديث أنس بن مالك ـ أيضاً ـ مرفوعاً: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم. انظر فتح الباري ١٣: ٢٠.

ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب رقم ٦، حديث رقم: ٢٥٥٧، صحيح مسلم ٤: ١٩٨٢.

(2) سقطت من (ج).

(3) سقطت من (أ) و (ب).

(4) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر، باب رقم: ٦، حديث رقم: ٢١٤٠، وقال: «حديث حسن غريب». وله شاهد من حديث ثوبان مرفوعاً بزيادة «وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب رقم: ٢٢، حديث رقم: ٤٠٢٢، ونقل المحقق قول البوصيري: «إسناده حسن».

والحاكم في المستدرك، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي (١: ٤٩٣). والإمام أحمد في مسنده، ٥: ٢٧٧، و ٢٨٠ و ٢٨٢.

وانظر المزيد عن هذا الحديث في تخريج الشيخ ناصر الدين في سلسلته الصحيحة، فقد توسع في تخريجه وحكم عليه بالحسن. السلسلة الصحيحة ١: ٧٦، حديث رقم: ١٥٤.

(5) سقط شرح هذا المقطع بكامله من (ج).

(6) سقطت من (أ) و (ب).

(7) الرافضة فرقة من كبار فرق الشيعة، وسموا «رافضة» لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، ويقال لهم الإمامية أيضاً. وهم مجمعون على أن النبي ـ ﷺ ـ =

(وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم)[1] تحقيق لوجوب الاعتقاد بسبق علم الله تعالى بكل كائن من خلقه قبل كونه، وإثبات لصفة العلم، فإنه من صفات[2] الكمال، فيستحيل عليه الجهل، لما فيه من التعري عن الكمال.

وقرن التخليق بالعلم لأن العلم بالمخلوق من شرط التخليق. قال تعالى[3]: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[4] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5]. وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[6].

(وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته) عقّب ذكر علمه وتخليقه بذكر أمره ونهيه ليعلم أنه تعالى خلقهم للاستعباد بالأوامر والنواهي، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7]، ولئلا يظن أن خلقه عبث، لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[8]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[9].

(وكل شيء) خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، جوهراً كان أو عرضاً، فهو[10] **(يجري بقدرته ومشيئته)** أي[11] إرادته. فيه رد على

= نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ـ ﷺ ـ ويزعمون أن القرآن قد غير عما كان، ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة. وهم فرق كثيرة.
انظر التفصيل عن فرقهم واعتقاداتهم في: «مقالات الإسلاميين» ١: ١٦ ـ ٦٥؛ «الفرق بين الفرق» ص: ٢١؛ «التبصير في الدين» ص: ٢٤؛ «الملل والنحل» ص: ١٦٢.

(١) سقطت هذه الجملة في (ج).
(٢) في (ج): من صفة.
(٣) في (ب): قال الله تعالى، وفي (ج): وقال الله تعالى.
(٤) الملك: ١٤ وفي (ج): وهو اللطيف الخبير. وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.
(٥) يس: ٨١.
(٦) يس: ٧٩.
(٧) الذاريات: ٥٦.
(٨) المؤمنون: ١١٥، وسقطت لفظة «لا» من (أ) و (ب).
(٩) ص: ٢٧.
(١٠) تكررت في (ب).
(١١) سقطت في (ب).

المعتزلة فيما زعموا أنه تعالى إنما يريد من أفعالنا ما هو حكمة وطاعة، ولا يريد ما هو[1] معصية وقبيح[2]. واختلفوا في إرادته المباح، فمنهم من زعم أنه غير مريد له.

(ومشيئته تنفذ) لأنها صفة ذاتية، فكانت نافذة في الأشياء، إذ هو الواحد القهار. قهر[3] الأشياء على مقتضى إرادته.

(لا مشيئة[4] العباد) لأن العبد اسم لمن هو موسوم بسمة التذلل، يقال طريق معبد أي مذلل. لكنهم مع كونهم عبيداً ـ مملوكين ملك إيجاد وتخليق ـ ليسوا في أفعالهم مجبورين، بل لهم قدرة اكتساب واختيار، لا قدرة تخليق. ولذا قال: **(إلا ما شاء لهم)** لأن استبداد العبد بشيء لم يرد الله كونه خروج عن محل كونه عبداً، وهو محال. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

(فما شاء لهم) كونه بكسبهم وباختيارهم **(كان، وما لم يشأ لم يكن)** لأن نفوذ[6] مشيئة الغير في شيء من الأشياء بدون إرادة الله تعالى دلالة القهر، وهو محال في حقه تعالى.

(يهدي من يشاء) أي يخلق فعل الاهتداء لمن يشاء، **(ويعصم ويعافي)** من الكفر، والعصيان، والدواهي[7]، والخذلان **(من يشاء فضلاً)** وكرماً، لا من حيث وجوب مراعاة الأصلح، كما زعمت المعتزلة، لأنه لا حاكم[8] على الله تعالى، ولأنه لو وجب شيء عليه[9] فإن استوجب الذم بتركه كان ناقصاً مستكملاً بفعله، وهو محال. وإن لم يستوجب لم يتحقق الوجوب.

---

(١) سقطت كلمتا (ما هو) من (ج).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١: ٢٤٥.

(٣) في (أ) و (ب): فهو الأشياء، وفي (ج): فهو خالق الأشياء.

(٤) في (ج): لا على مشيئة...

(٥) التكوير: ٢٩.

(٦) في (أ) و (ب): لا نفوذ، وفي (ج): لأن تنفيذ.

(٧) في (ج): النواهي.

(٨) في (ج): حكم.

(٩) في (ج): لوجب عليه الشيء.

والهدى يحتمل وجوهاً **أحدها**[1]: بيان دين الحق، كقوله تعالى لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] أي تبين طريق الحق من الباطل، ومنه سمي القرآن هدى.

والثاني: الدعاء والأمر، لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3] أي داع وآمر.

والثالث: خلق فعل الاهتداء والتوفيق.

هذا، فالهدى بالمعنيين الأولين يضاف إلى الله، وإلى رسله وأتباعهم، وأما بالمعنى الثالث فلا يجوز إضافته إلى غير الله تعالى. والمعتزلة قالوا إن الهدى هو البيان والأمر والدعاء، لا غير، ففيما يضاف إلى الله يكون بمعنى بيان[4] طريق الدين، لا تخليق فعل الاهتداء. وكذا الإضلال فيما يضاف إلى الله تعالى هو تسمية الله إياهم ضلالاً، كما يقال[5] أضله، أي سماه ضالاً، لا تخليق فعل الضلال[6]. وبطلان تأويلهم ظاهر، لقوله تعالى خطاباً لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[7] إذ يكون المعنى على[8] مذهبهم، وتأويلهم: إنك لا تبين طريق الحق، ولا تأمر، ولا تدعو إلى الحق من أحببت، وهذا يكون افتراء على الله ورسوله، بل الهداية في الآية تخليق الاهتداء والتوفيق، أي إنك لا تخلق فعل الاهتداء ولا تملك التوفيق لمن أحببت، إنما ذلك إلى الله تعالى.

(ويضل من يشاء) أي ويخلق فعل الضلال لمن يشاء، **(ويخذل ويبتلي)** بأنواع البلاء **(من يشاء**[9] **عدلاً)** إذ هو تصرف[10] في ملكه بما

---

(١) سقطت من (أ) و (ب).

(٢) الشورى: ٥٢، وسقطت «و» من جميع النسخ.

(٣) الرعد: ٧.

(٤) سقطت من (أ) و (ب) و (ج)، وفي هامش نسخة (ج): بمعنى تبيين طريق الحق، نسخة.

(٥) في (أ) و (ج): لما يقال، وفي (ب): لما قال.

(٦) انظر مقالات الإسلاميين ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٢.

(٧) القصص: ٥٦.

(٨) في (ج): في مذهبهم.

(٩) تكررت كلمات من أول (ويخذل) إلى هنا في (أ) و (ب).

(١٠) في (ج): متصرف.

سبق علمه في عباده بما يكون منهم من طاعة وعصيان، وكفر وإيمان، عن اختيار وإيثار، لا عن جبر واضطرار. وفيه إشارة إلى أن فعل الأصلح للعبد ليس بواجب على الله، كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1] وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

(وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله) بيان أن خلق فعل الاهتداء فيهم لم يكن واجباً على الله تعالى، إذ لا موجب في الحقيقة غير الله. فمن هداه فبفضله، ومن أخزاه فبعدله، وذلك كله على ما[3] سبق علمه في الأزل.

(وهو متعال عن الأضداد والأنداد) الضد المخالف، والند المثل. والمراد بنفيهما الرد على المعتزلة في زعمهم الفاسد أن[4] العبد يخلق فعله.

(لا راد لقضائه) المراد به قضاء[5] التكوين، أي لا يقدر أحد من العباد على رده. والقضاء يذكر ويراد به الحكم، يقال قضى القاضي على فلان بكذا، أي حكم عليه به. وقد يراد به الأمر، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[6] أي أمر ربك، وحتم، وألزم. وقد يراد به[7] الفراغ، يقال قضيت كذا، أي فرغت منه، وانقضى الأمر، أي صار مفروغاً منه[8]. وقد يراد به الإعلام، لقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾[9] أي أعلمناهم، وقد يراد به الفعل، كما مر **(ولا معقب لحكمه)** أي لا يؤخر حكم الله مؤخر، ولا يغلب أمر الله غالب، إذ هو الواحد القهار. ولذا قال: **(ولا غالب لأمره)** ويحتمل أن يكون المراد[10] أمر التكوين في

---

(1) المدثر: ٣١.
(2) الأنعام: ٣٩، وفي (أ) و (ب): يجعله إلى صراط مستقيم، هو خطأ.
(3) سقطت في (ج).
(4) في (ج): في زعمهم الفاسدة العبد يخلق.
(5) في (أ) و (ب): فضل، وهو خطأ.
(6) الإسراء: ٢٣.
(7) سقطت في (أ) و (ب).
(8) سقط ذكر القضاء بمعنى الفراغ من (ج).
(9) الإسراء: ٤.
(10) سقطت في (أ) و (ب) و (ج).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

(آمنا بذلك كله) إشعار بأن الإيمان بجميع ما سبق ذكره واجب.

(وأيقنا أن كلاً) أي كل كائن **(من عنده)** وأن الإيقان[2] بجميع ذلك لازم. فيه إشارة إلى أن جميع ما ذكر ثابت بالحجج السمعية، والبراهين العقلية، لأن تصديق الأخبار الصادقة المؤيدة بالمعجزات إيمان، والعلم عن الاستدلال إيقان. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[3]. والإيقان الاستقرار، من يقن الماء في الحوض إذا استقر[4].

واعلم[5] أنه لما ذكر الشيخ عقيدة فقهاء الملة في التوحيد والصفات، عقبه ببيان عقيدتهم في الرسالة، فذكر الإيمان برسالة نبينا أولاً، لأن الإيمان بها يتضمن الإيمان بنبوة جميع الأنبياء، فقال:

(وإن محمداً) بكسر إن، عطف على قوله إن الله واحد. **(عبده المصطفى)** قدم وصفه بالعبودية على وصفه بالنبوة والرسالة لمعنيين أحدهما إشعار بتحقيق عبوديته، وبكماله، وعلو درجته، إذ كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد[6] كماله، وعلت درجته[7]، وبذلك استحق التقديم على الخلق في الدنيا والآخرة، ولذا وصفه بالاصطفاء.

يشهد بذلك[8] ذكره تعالى في أشرف المقامات باسم العبد، كقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[9] وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[10]

---

(1) النحل: ، ٤٠، وجاء في جميع النسخ: إنما أمرنا لشيء، وهو خطأ.
(2) في (أ) و (ب): وأن يقان.
(3) الأنعام: ٧٥، وفي (أ) و (ج) ليكون من المؤمنين، وهو خطأ. وصححت في حاشية (ب).
(4) انظر لسان العرب ١٣: ٤٥٧.
(5) سقطت من (أ) و (ب).
(6) في (أ) و (ب) ازداد العبد كماله.
(7) جملة: «إذ كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته» سقطت من (ج).
(8) الكلمات من بداية قوله: أشعار بتحقيق عبوديته، إلى هنا مثبتة في حاشية الأصل.
(9) الإسراء: ١.
(10) النجم: ١٠. وسقطت «ف» في جميع النسخ.

وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[(١)] إلى غير ذلك.

والثاني: رد عروض الشبهة عند ظهور المعجزات الناقضات للعادات، والأمور الإلهية منه، التي تعجز عنها البشر، كشبهة النصارى في عيسى ـ عليه السلام ـ عندما ظهر[(٢)] منه من فعل إلهي، كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، حيث اعتقدوا فيه الإلهية، وأخرجوه من مقام العبودية. وقد قال حين تكلم في المهد: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(٣)] ومع هذا لم يخلصوا.

(وأمينه) وفي بعض النسخ[(٤)]: **(ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى)**. وصفه بالأمانة، والاجتباء، والارتضاء إشعاراً[(٥)] بأن الله تعالى لا يضع الرسالة، ولا يظهر الإعجاز إلا على يد الأمين الذي اصطفاه واختاره من بين عباده، بالصدق والأمانة.

والفرق بين النبي والرسول[(٦)] أن من نبأه[(٧)] الله بخبر السماء إن أمره

---

(١) البقرة: ٢٣. وسقطت «و» من جميع النسخ، أيضاً.
(٢) في (ج): عنده أظهر.
(٣) مريم: ٣٠.
(٤) سقطت من (ج).
(٥) سقطت في (أ) و (ب).
(٦) ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ التفريق المشهور بين النبي والرسول، وهذا التفريق ليس بسليم لأن كل نبي مأمور بالتبليغ كالرسول سواء بالسواء، حيث كان ترك التبليغ كتمان لوحي الله تعالى. ثم قول الرسول ـ ﷺ ـ: «عُرضت عليّ الأمم فرأيت النبيَّ ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد». (رواه البخاري) فيه دليل على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم. قال الألوسي: «الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله». (تفسير الألوسي ١٧: ١٧٢ ـ ١٧٣) وهذا التعريف لا يسلم من الاعتراض كذلك، لأنه ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف ـ عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة. لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول». (كتاب النبوات ص: ٢٥٥).
(٧) في (أ) و (ب) و (ج): من نبأ الله، و (ب): من نبأ.

أن يبلغ غيره فهو رسول، وإلا فهو نبي، وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، لأن كل رسول نبي بغير عكس، فالرسالة[1] أخص من جهة أهلها، وأعم من جهة نفسها.

(خاتم الأنبياء) وصفه أولاً بالرسالة ثم بكونه خاتم الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2] ولقوله عليه السلام: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»[3].

وفيه رد على المتنبئين والدجالين، ولذا قال مشايخنا إن ادعى أحد بعد نبينا النبوة لا يطلب منه معجزة، بل يقابل بالتكذيب، فإن كانت[4] له شبهة أعثرته كشفت، فإن أسلم وتاب وإلا وجب تطهير الأرض منه بالسيف.

(وإمام الأتقياء) لأنه بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[5] وهو أكثر الأنبياء اتباعاً بالتصديق والتقوى، فأمته المتقون، فهو إمام المتقين.

(سيد المرسلين) لقوله: «أنا سيد ولد آدم»[6] وقوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[7] يشهد ذلك تقديمه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) سقطت من (ج)، وفي (أ) و (ب): فالرسول، وهو خطأ.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الفتن والملاحم، الباب الأول فيه، حديث رقم: ٤٢٥٢ (٥: ٤٥٠) وأصل الحديث في صحيح مسلم، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب رقم ٥، حديث رقم: ٢٨٨٩، ولم يذكر فيه هذه القطعة. (٤: ٢٢١٥).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥: ٢٧٨) وسنده صحيح، كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح الطحاوية. (١: ١٥٧).

(٤) في (أ) و (ب): وإن كانت، وتكررت كلمات (فإن كانت) في (ج).

(٥) آل عمران: ٣١، وسقطت كلمة: «قل» من جميع النسخ.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب رقم: ٣، حديث رقم: ٢٢٧٨، وتمامه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». (٤: ١٧٨٢).

(٧) هذا لفظ أول حديث الشفاعة المشهور. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «ذرية من حملنا مع نوح...» (الفتح ٨: ٣٩٥).
ومسلم في كتاب الإيمان، باب رقم: ٨٤، حديث رقم: ١٩٤. (١: ١٨٤).

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1] وكذا خطابه بأسماء[2] الشرف والإجلال، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[3] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾[4] وأما سائر الأنبياء فخاطبهم بأسماء أشخاصهم، كقوله: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾[5]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾[6]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[7]، وقوله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[8]، ﴿يَٰهُودُ﴾[9]، وغير ذلك.

(وحبيب رب العالمين) وصفه به لقوله عليه السلام[10]: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[11]. فالخلة أعلى مراتب المحبة، فإنها هي المحبة التي تحت روح المحب وقلبه. فقول من قال: الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد، ليس شيء[12]. وتخصيصه باسم الحبيب لورود الأخبار بأنه حبيب الله، وعليه إجماع الأمة، ولعل تخصيصه لكماله في الخلة.

(وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي[13] وهوى) لما ثبت أن لا نبي بعده، وأنه خاتم الأنبياء[14]. والغي عبارة عن الباطل والضلال، والهوى

---

(١) الأحزاب: ٧.
(٢) سقطت من (ج).
(٣) المائدة: ٦٧.
(٤) التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩.
(٥) هود: ٤٨.
(٦) هود: ٧٦.
(٧) طه: ١٧، وسقطت «و» من (ص) و (أ) و (ب).
(٨) المائدة: ١١٠.
(٩) هود: ٥٣.
(١٠) في (أ): ﷺ.
(١١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب رقم: ٣، حديث رقم: ٥٣٢، ونصه: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل. فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً. ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. إني أنهاكم عن ذلك». (١: ٣٧٨).
(١٢) في (ج): بشيء.
(١٣) في (ج): فهوى.
(١٤) يشير إلى حديث سبق تخريجه قريباً.

عبارة عن شهوة النفس، أي تلك الدعوة تكون بسبب هوى النفس، لا عن هداية.

(وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى) أما بعثه[1] للجن فلقوله تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾[2] وكذا تدل سورة الجن على أنه أرسل إليهم أيضاً، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[4] فتعميم رسالته جميع الناس دليل على تعميمهم جميع الجن أيضاً، إذ الجن كالتبع للناس في تسخير الله تعالى العالم للبشر، وكذا قوله خطاباً للإنس والجن: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[5].

(بالحق والهدى) أي بالحق الذي لأجله خلقت السماوات والأرض، وهو الدلالة على وحدانية صانعهما، والاستعباد[6] بالأوامر والنواهي. أو بالحق الذي لله تعالى عليهم، ولبعضهم على بعض.

والهدى بيان طريق الدين[7] الحق كما مر. وفي بعض النسخ: **(وبالنور والضياء)** أي بالشرع والدين المؤيدين بالبراهين الباهرة. والضياء أكمل من النور، قال تعالى: و ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[8] ويحتمل أن يكون المراد[9] بالنور السنة وبالضياء الكتاب.

ولما ذكر رسالة نبينا[10] عقبه بذكر أعظم معجزاته الباقية إلى يوم القيامة، وهو القرآن الذي أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل سورة منه،

---

(١) في (ج): بعثته.
(٢) الأحقاف: ٣١.
(٣) الأعراف: ١٥٨.
(٤) سبأ: ٢٨، وجاء في (ص) و (أ) و (ج) وأرسلناك للناس كافة، وفي (ب) وما أرسلناك للناس كافة، وهو خطأ.
(٥) الرحمن: ١٣.
(٦) في (أ) و (ب) و (ج): والاستبعاد، وهو خطأ، وقد صحح في حاشية (ج).
(٧) سقطت من (ج)، وتكررت كلمات (ولبعضهم على بعض. . . وفي بعض النسخ) في (أ)، وكلمات (لبعضهم على بعض. والهدى) في (ب).
(٨) يونس: ٥، وسقطت (و) من جميع النسخ.
(٩) سقطت من (ب).
(١٠) في (ج): نبينا محمد ـ عليه السلام ـ.

فقال: **(وإن القرآن)** بكسر إن، عطفاً على قوله: **(وإن محمداً عبده)**. وهو في اللغة مصدر قرأ الشيء جمعه وضمه، سمي به لأنه يجمع[1] السور ويضمها[2]. غلب في العرف العام على المجموع من كلام الله[3] تعالى المقروء[4] على ألسن العباد، وهو اسم[5] للنظم والمعنى جميعاً.

(كلام الله) لإعجازه عن الإتيان بمثله لكمال بلاغته، ولقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[6] وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[7] ولأن الكفرة كانوا يطعنون بأنه كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وكان رسول الله[8] يقول لهم إنه كلام الله، ولإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله.

(منه بدأ) تقديم المفعول للتخصيص، أي منه بدأ لا من غيره من المخلوقات. فيه رد على الجهمية من المعتزلة فيما زعموا أنه تعالى خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل[9]. فقوله (منه بدأ) أي هو المتكلم به، كما قال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[10] وقال: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[11] وليس المراد منه حدوث معنى في ذاته، بل المراد أنه تعالى أظهر للسامع قولاً **(بلا كيفية)** إذ ما[12] كان محدثاً مخلوقاً لا يخلو[13] عن الكيفية.

(قولاً) بالحقيقة، لا بالمجاز، والقول والكلام ما يتناول اللفظ

---

(١) في (ج): مجمع.
(٢) انظر المفردات في غريب القرآن ص: ٤٠٢.
(٣) سقطت من (ج).
(٤) في (أ) و (ب): المعرف، وهو خطأ.
(٥) سقطت من (ج).
(٦) التوبة: ٦.
(٧) الفتح: ١٥.
(٨) في (ج): عليه السلام.
(٩) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص: ٢٨٨.
(١٠) السجدة: ١٣.
(١١) النحل: ١٠٢. وفي (ص) و (أ) و (ب): ونزله، وهو خطأ.
(١٢) سقطت من (ج)، وفي (أ) و (ب) كل ما.
(١٣) في (أ) و (ب): لا يخ.

والمعنى جميعاً، كما يتناول[1] لفظ الإنسان الروح[2] والبدنَ جميعاً. **(وأنزل على رسوله وحياً)** أي أنزله على لسان الملك، بأن سمعه جبرائيل من الله تعالى، وسمعه الرسول منه، وقرأه على الناس، لقوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3] وقوله[4]: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[5] وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[6].

(وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً) أي الصحابة الذين شهدوا نزوله، وتحققوا إعجازه، وكذا من بعدهم، صدقوا **(وأيقنوا أنه كلام الله)** أي علموا علماً جازماً أنه كلام الله **(بالحقيقة)** لا بالمجاز. فيه رد على المعتزلة، وعلى من قال أنه معنى واحد قائم بذات الله[7] لم يسمع منه، وإنما[8] هو الكلام النفسي[9]. لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفسي ولم يتكلم به أنه كلام حقيقة، بل مجازاً[10]، وأن لا يلزم أن يكون الأخرس متكلماً. ولقوله ـ عليه السلام ـ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل»[11]. وقوله: «إن صلاتنا لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»[12] فقد أخبر ـ

---

(١) سقطت من (ب).
(٢) في (ج): للروح.
(٣) الإسراء: ١٠٦. وفي (أ) و (ب): وأنزلناه، وهو خطأ.
(٤) (نزل به) سقطت من (أ) و (ب).
(٥) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥. وفي (ص) و (ج): ونزله روح الأمين، وهو خطأ، وفي (أ) و (ب): سقطت الكلمة الأولى من الآية.
(٦) الأنعام: ١٩. وجاء في جميع النسخ: وأنزل إلي، وهو خطأ.
(٧) في (ج): قائم بذاته تعالى.
(٨) في (أ) و (ب): وأنا وإنما.
(٩) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص: ٢٨٨ ـ ٢٩٣.
(١٠) «بل مجازاً» أثبتت في حاشية الأصل.
(١١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب «الطلاق في الإغلاق والكره...» (الفتح ٩: ٣٨٨) وفي كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا جاء ناسياً في الأيمان. (الفتح ١١: ٥٤٨).
ومسلم في كتاب الإيمان، باب رقم: ٥٨، حديث رقم: ١٢٧. (١: ١١٦).
(١٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب رقم: ٧، حديث رقم: =

ﷺ[1] ـ أنه تعالى عفا عن حديث النفس، وفرق بين الكلام وبين الحديث النفسي[2]، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم، والمراد حتى ينطق باللسان، باتفاق العلماء[3].

فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، إذ الشارع[4] إنما خاطب بلغة العرب، فلفظ (القول) و (الكلام) وما يتصرف منهما[5] من ماض ومضارع[6] إنما يعرف في القرآن والسنة، وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى. فلا حاجة إلى الاستدلال على معنى الكلام بقول شاعر ضل في معنى الكلام[7]، وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

على أنه نقل منه أنه قال: «إن البيان لفي الفؤاد...» وهذا أقرب إلى الصحة[8]، والكلام على ذلك مبسوط في المطولات.

(ليس بمخلوق ككلام البرية) لأن كلامه تعالى صفة أزلية، ليس من

= ٥٣٧، ونصه: «إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس. إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن». (١: ٣٨١).

(١) في (ج): عليه السلام، وفي (أ) و (ب): ﷺ، وهو اختصار الجملة، وهكذا في أكثر الأماكن التي ترد فيه لفظة «الرسول».

(٢) في (أ) و (ب): «عفا عن حديث النفس بين الكلام وفرق بين الحديث النفسي». وهو خطأ.

(٣) جاء في هذا المكان على حاشية الأصل ما يأتي: «ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر. ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول الشاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه كما (في هذا المكان سقط)... مسمى الرأس واليد ونحوهما.

(٤) في (ج): إذا تنازع.

(٥) في (أ) و (ب): منها.

(٦) في (ج): ومن مضارع.

(٧) «بقول شاعر ضل في معنى الكلام» سقطت من (أ) و (ب).

(٨) جاء في هامش الأصل: «وقيل إنه مصنوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه». لقد بحثت في ديوان الأخطل فلم أجده فيه، ووجدته في زياداته (شعر الأخطل ص: ٥١٨)، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين (١: ٢١٨) ولم يسم قائله وقد صرح بنسبته إلى الأخطل ابن هشام في شرح شذور الذهب ص: ٣٧.

جنس الحروف والأصوات لأنها أعراض حادثة، مشروطة حدوث بعضها بانقضاء البعض، لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الأول بديهي، في كلام البشر، وكلامه تعالى ليس كذلك.

ولقوله ـ عليه السلام ـ: «القرآن كلام الله غير مخلوق، و[1] من قال إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم»[2].

(فمن سمعه) أي القرآن **(وزعم أنه كلام البشر فقد كفر)** لأن فيه رداً وتكذيباً لرسول الله، وهو كفر.

(وقد ذمه الله) أي عابه **(وأوعده بسقر)** أي بعذابه، **(حيث قال تعالى)** في القرآن العظيم فيمن قال في حق القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[3]، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[4] أي سيحرقه نار سقر.

(فلما أوعد الله بسقر لمن قال) في حق القرآن **(إن هذا إلا قول البشر[5]، علمنا وأيقنا)** ـ بالتأمل والاستدلال ـ **(أنه قول خالق البشر، ولا يشبه[6] قول البشر)** لأنه أصدق وأشرف وأفصح من كلام البشر. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[7] وقال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[8].

---

(١) سقطت في (أ).

(٢) قال الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٢٣٩) «نقل إلينا عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «القرآن كلام الله غير مخلوق». وروى ذلك عن معاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ مرفوعاً، ولا يصح شيء من ذلك، أسانيده مظلمة، لا ينبغي أن يحتج بشيء منها، ولا أن يستشهد بشيء منها». وانظر الفتاوى ١٨: ١٢٦.
والأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق كثيرة، وعليه أطبق أهل السنة من السلف والخلف. وقد نقل تكفير بعض السلف لمن أنكر ذلك. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي، باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ـ رضي الله عنهم ـ في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ص: ٢٣٩؛ كذلك «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» ٢: ١٤٠ ـ ١٤٢.

(٣) المدثر: ٢٥. وفي (أ) و (ب): إن هذا القرآن قول البشر.

(٤) المدثر: ٢٦.

(٥) المدثر: ٢٥.

(٦) في (ج): يشبهه.

(٧) النساء: ٨٧.

(٨) الإسراء: ٨٨.

(ومن وصف الله تعالى بمعنى[1] **من معاني البشر فقد كفر)** لأن الكلام صفة المتكلم، والقول صفة القائل، فالقول بخلق القرآن وحدوثه يكون وصفاً لله بمعنى من معاني البشر، فيكون كفراً، لما فيه من تشبيه الرب بالخلق، فإن البشر[2] لما كان مخلوقاً محدثاً كان كلامه الذي هو صفته مخلوقاً محدثاً[3]، والله تعالى عن معاني خلقه.

(فمن أبصر) أي من نظر بعين العبرة والبصيرة، وتأمل فيما قاله من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيده المشبه، **(اعتبر)** أي حصل له العبرة[4]، يعني من[5] تأمل في هذه[6] المعاني، وبحث عنها حتى[7] فهمها حصل له الاعتبار و[8] الوقوف على معاني الأصول والفروع.

(وعن مثل قول الكفار انزجر) بهداية الله تعالى وعنايته، **(وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر)** لأنه قديم بأسمائه وصفاته، والبشر بخلافه. ولما[9] ذكر الشيخ عقيدة فقهاء الملة في التوحيد، والنبوة أردفها[10] بذكر أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهو رؤية الله تعالى، إذ بها يمتاز أهل السنة والجماعة عن الفرق الضالة[11] المنكرين الذين هم عن[12] ربهم محجوبون، فقال:

(والرؤية) أي رؤية الله تعالى بمعنى الانكشاف التام بالبصر **(حق لأهل الجنة)** تخصيصهم بالذكر يدل على نفي الرؤية عن غيرهم.

---

(١) في (ب): بمعنى البشر.
(٢) سقطت من (أ) و (ب).
(٣) «كان كلامه الذي هو صفته مخلوقاً محدثاً» سقطت من (ج).
(٤) عبارة: «حصل له العبرة» مثبتة في حاشية الأصل، وسقطت كلمة (العبرة) من (أ) و (ب).
(٥) سقطت في (ب).
(٦) في (أ) و (ب): هذا.
(٧) سقطت من (أ) و (ب).
(٨) سقطت في (ج).
(٩) جاء في حاشية الأصل: فصل.
(١٠) في (ج): أراد فيهما.
(١١) في (ج): عن الفرق الضالين، وهو خطأ.
(١٢) سقطت من (أ) و (ب).

وفيه إشارة إلى أن رؤيتهم في الجنة، كما أشار إليه الأوزجندي[(١)] في قصيدته بقوله[(٢)]: «ويَنْسَون النعيم إذا رأوه». وكذلك يرونه في المحشر قبل دخول الجنة، لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[(٣)] وقيل في[(٤)] رؤية سائر أهل المحشر اختلاف[(٥)].

(بغير إحاطة ولا كيفية) لأنه منزه عن حد ونهاية ومقابلة[(٦)] وجهة[(٧)]

---

(١) أوزجند مدينة بنواحي أصبهان بقرب فرغانة ينسب إليها جماعة من العلماء، منهم الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني، المعروف بقاضي خان فخر الدين. تفقه على أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي نصر الصفاوي، وظهير الدين المرغيناني، وغيرهما. وله الفتاوى في أربعة أسفار، وشرح الجامع الصغير، وشرح الزيادات، وأدب القاضي. توفي سنة: ٥٩٢ هـ. ترجمته في: مفتاح السعادة ٢: ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠٨؛ تاج التراجم ص ٢٢. ولم أقف على شيء من شعره.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) الأحزاب: ٤٤.

(٤) سقطت من (ج).

(٥) سقطت من (أ)، بسبب طمس في هذا المكان.

وقيل في هذه المسألة: يراه أهل الموقف، مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك. وقيل: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار. انظر شرح ابن أبي العز ١: ٢٢١.

(٦) سقطت من (أ) بسبب الطمس أيضاً.

(٧) هذه الكلمات من الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، وصارت في اصطلاح المتأخرين فيها إجمال وإبهام، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قبل، وإن كان غيره لم يقبل، لكن لا ينبغي أن يعدل عن الألفاظ الشرعية الواردة التي سلمت معانيها، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك.

فلفظ الحد «يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القائم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب، ونفي حقيقته.

وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة».

وكذلك لفظ الجهة، «فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن =

وكيفية، كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] وقوله[2]: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3] وهذا لكمال عظمته ونهاية كبريائه.

اعلم أنه قد استدل أهل الحق على إمكان الرؤية بالعقل والنقل. أما **الأول** فهو أنا نقطع برؤية الأعيان والأعراض ضرورة ـ أنا نفرق بالبصر بين جسم وجسم، وبين عرض وعرض، والعلة المشتركة هي الوجود، وهو مشترك بين الصانع وغيره فيصح أن يرى، كما بيّن في المطولات.

وأما **الثاني**: فهو ورود الأدلة السمعية في إيجاب[4] رؤية المؤمنين الله تعالى في دار الآخرة، من الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب، **فهو**[5] **(كما نطق به كتاب**[6] **ربنا)** جلّ وعلا، [١٦ ـ أ] وهو قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[7] وذلك أن[8] النظر إذا عدي بنفسه، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[9] فمعناه التوقف والانتظار. وإذا استعمل بفي، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[10] فمعناه التفكر والاعتبار. وإذا استعمل بإلى، كقوله: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾[11] فمعناه المعاينة بالبصر، فكيف إذا أسند إلى الوجه الذي هو محل البصر.

= ذلك. وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هنا إلا الله وحده. فإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه أنه فوق العالم، حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عال عليه».

ونفاة لفظ الجهة يريدون به نفي العلو لله تعالى. فكان الأولى على الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يبين هذا وإن كان مراده الرد على المشبهة. (شرح ابن أبي العز ١: ٢٦٠ ـ ٢٦٧) وانظر الفتاوى ٥: ٢٦٢ ـ ٢٦٥.

(١) الأنعام: ١٠٣.
(٢) سقطت من (أ) بسبب الطمس كذلك.
(٣) طه: ١١٠.
(٤) في (ج): إيجاد.
(٥) سقط من (ج).
(٦) سقطت كلمتا (به كتاب) في (ج).
(٧) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.
(٨) في (ب): لأن.
(٩) الحديد: ١٣.
(١٠) الأعراف: ١٨٥.
(١١) الأنعام: ٩٩.

وفي تفسيره روي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما[1] ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ في قوله: «وجوه يومئذٍ ناضرة»[2]. قال: «من البهاء والحسن». (إلى ربها ناظرة) قال: «إلى[3] وجه الله»[4] وعن ابن عباس (إلى ربها ناظرة)[5] قال: «تنظر إلى وجه ربها»[6]. وعن عكرمة[7] (وجوه يومئذٍ ناضرة) قال: «من النعيم» (إلى ربها ناظرة) قال: «تنظر إلى ربها نظراً»[8]. هذا قول جميع المفسرين من أهل السنة والجماعة.

وفي قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[9]. قال الطبري[10]: قال

---

(١) في (ج): عنه.

(٢) في (ج): قال عليه السلام في قوله: إلى ربها ناظرة.

(٣) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٤) في (ج): وجه الله تعالى. وأخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٢٩: ١٢٠) بنحوه، وسنده ضعيف جداً، لوجود ثوير بن أبي خافتة فيه، فقد وصفه سفيان الثوري بأنه من أركان الكذب، وقال الدارقطني: متروك.
انظر: ميزان الاعتدال ١: ٣٧٥، ترجمة رقم: ١٤٠٧.

(٥) في (أ) و (ب): ناضرة.

(٦) قال الإمام السيوطي في الدر المنثور: «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال: «تنظر إلى وجه ربها». (٦: ٢٩٠).

(٧) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة، القرشي المخزومي. أسلم بعد الفتح بقليل، وكان شديد العداوة لرسول الله ـ ﷺ ـ في الجاهلية، وكان فارساً مشهوراً، ولما فتح رسول الله ﷺ ـ مكة، كان عكرمة من بين الذين أمر الرسول ـ ﷺ ـ بقتلهم، فهرب إلى اليمن، ثم رجع وأسلم، وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله ـ ﷺ ـ على صدقات هوازن. وكان له في قتال أهل الردة أثر عظيم، استعمله أبو بكر على جيش سيره إلى أهل عمان، ثم إلى أهل اليمن، حتى ظهر عليهم، وسار إلى الشام مجاهداً مع الجيوش الإسلامية واستشهد في القتال مع الروم، سنة ١٣ هـ.
ترجمته في أسد الغابة ٣: ٥٦٧؛ الإصابة ٢: ٤٩٦؛ الاستيعاب ٣: ١٤٨.

(٨) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره (٢٩: ١١٩)، وكذلك الآجري في «الشريعة» ص: ٢٥٦.

(٩) ق: ٣٥.

(١٠) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في طبرستان، واستوطن بغداد. أحد أئمة الدنيا علماً وديناً، طاف الأقاليم في طلب العلم، وأخذ عن شيوخ لا يحصون، حتى صار مجتهداً مطلقاً. قيل: مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، حتى حسب تلاميذه منذ احتلم إلى أن مات، فقسموا على المدة مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. توفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ. =

علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما[1]: «هو النظر إلى وجه الله»[2].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3]. فالحسنى الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الكريم[4]. فسرها بذلك رسول الله، والصحابة من بعده[5]. أما السنة، فقوله ـ عليه السلام ـ: «سترون ربكم كما ترون ليلة البدر»[6]. وهو مشهور[7]، رواه أحد[8] وعشرون من أكابر

= وصُلي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً.

ترجمته في: البداية والنهاية ١١: ١٤٥؛ تاريخ بغداد ٢: ١٦٢؛ وفيات الأعيان ٤: ١٩١؛ تذكرة الحفاظ ٢: ٧١٠؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣: ١٢٠.

(١) في (ج): عنهم.

(٢) لم أجد هذا القول في تفسير الطبري لهذه الآية، وإنما ذكر بعض الآثار والأحاديث من طريق أنس ـ رضي الله عنه.
انظر تفسير الطبري ٢٦: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) سقطت في (ب).

(٥) كما روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب رقم ٨٠، حديث ١٨١: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». وزاد في رواية: «ثم تلا هذه الآية: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»». (صحيح مسلم ١: ١٦٣).
وروى تفسير «الزيادة» بالرؤية عدد من الصحابة، منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم.
انظر تفسير الطبري ١١: ٧٣ ـ ٧٤.

(٦) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم: ٥٥٤، ولفظه: «عن جرير قال كنا جلوساً عند النبي ـ ﷺ ـ فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا...» انظر فتح الباري ٢: ٣٣. وأخرجه البخاري في مواضع أخرى، انظر حديث رقم: ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦.
وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب رقم ٣٧، حديث رقم ٦٣٣. (صحيح مسلم ١: ٤٣٩).
وقد روى أحاديث الرؤية عدد كبير من الصحابة، انظر ما ذكر منها الآجري في كتابه «الشريعة» ص: ٢٥١ ـ ٢٧٠، و «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي ٣: ٤٧٠ ـ ٥١١.

(٧) في (أ) و (ب): مشهورة، وهو خطأ.

(٨) هكذا في جميع النسخ، والصحيح: واحد وعشرون.

الصحابة. والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي[(١)].

وأما الإجماع فهو أن الأمة كانوا متفقين على وقوع الرؤية في الآخرة، وعلى أن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها، ثم ظهرت مقالة المخالفين، كالحكماء[(٢)]، والمعتزلة، والجهمية، والإمامية[(٣)]، وغيرهم من[(٤)] الفرق الضالة، وشاعت شبههم[(٥)] وتأويلاتهم[(٦)] الفاسدة. وأقوى[(٧)] شبههم ـ من العقليات ـ أن الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكان وجهة، ومقابلة من الرائي، وثبوت مسافة، واتصال شعاع[(٨)] من الباصرة إلى المرئي، وكل ذلك محال في حق الله.

والجواب منع هذا الاشتراط، وقياس الغائب على الشاهد فاسد. ولما دلت الآيات الموجبة لنظر[(٩)] العين على الرؤية، بطلت تأويلات المعتزلة وغيرهم الرؤية بانتظار الثواب والكرامة، لأن أبا حنيفة وأصحابه هم المتبحرون[(١٠)] في علم الأصول والفروع، وهم[(١١)] أعرف بالتأويل والتنزيل، وقد صرحوا على إثبات الرؤية.

وأما استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى[(١٢)]: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[(١٣)]،

---

(١) في (أ) و (ب): لا المرعي بالمرئي، وسقطت كلمة (بالمرئي) في (ج).

(٢) «الحكماء» تطلق على الفلاسفة، وهم الذين يبحثون في أمور الغيب، ولا يتبعون في ذلك كتاباً من الكتب السماوية، بل يعتمدون في بحوثهم، على طريقة النظر والاستدلال. انظر ما كتبه عنهم التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٣٣.

(٣) الإمامية فرقة من كبار فرق الشيعة ويطلق عليهم اسم «الرافضة»، تقدم التعريف بهم.

(٤) طمست «وغيرهم» من (أ).

(٥) في (ج): شبهتهم.

(٦) في (أ) و (ب) وتأملاتهم.

(٧) طمست من (أ).

(٨) في (ب): بشعاء.

(٩) في (ج): نظر.

(١٠) في (أ) و (ب): المتبحر.

(١١) في (أ) و (ب) و (ج): وهو.

(١٢) سقطت في (أ) و (ب).

(١٣) الأعراف: ١٤٣.

وبقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] فكل منهما دليل عليهم، أما الآية الأولى فهي تدل على ثبوت جواز الرؤية، لأن موسى ـ عليه السلام ـ كليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، فلا يظن أنه[2] يسأل ما لا يجوز عليه. وأنه تعالى قال: «لن تراني»، ولم يقل إني لا[3] أرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، وهذا يدل على أنه تعالى مرئي، ولكن موسى لا يحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾[4].

وقولهم: بتأبيد[5] لن فاسد، لأنه لو كانت للتأبيد[6] لما جاز تحديد الفعل[7]، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[8].

وأما الآية الثانية فدلت[9] على جواز الرؤية، بل على تحققها[10]، لأن الإدراك عبارة عن الرؤية على[11] وجه الإحاطة بالجوانب والحدود، فيكون المعنى أنه تعالى مع كونه مرئياً لا تدركه الأبصار، لتعاليه عن التناهي والحدود، مع أن الآية مسوقة للتمدح وهو إنما يكون فيما يمكن الرؤية، ولكن لا يرى للتمتع والتعزز بحجاب الكبرياء.

(وتفسيره) أي تفسير قوله: «إلى ربها ناظرة» **(على ما أراد الله**

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) في (ج): أن.

(٣) سقطت من (أ) و (ب)، وفي (ج): لم، وهو خطأ.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) في (أ) و (ب): وقوله لتأبيد، وفي (ج): وقولهم لتأبيد.

(٦) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٧) يريد لما جاء تحديد الفعل بها.

(٨) يوسف: ٨٠. وقوله تعالى: **﴿أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾** أثبت في حاشية الأصل، وسقط من النسخ الأخرى.

(٩) في (ج): فدل.

(١٠) في (أ): تحتها.

(١١) في (أ) و (ب): بل على وجه الإحاطة، وهو خطأ.

وعلمه)[1] فيه إشارة إلى أنه من قبيل المتشابهات، فالأولى الإيمان بحقيقته وتفويض العلم[2] إلى الله[3].

(وكل ما جاء في ذلك) أي في الرؤية (من الحديث الصحيح عن رسول الله ـ عليه السلام ـ فهو كما[4] قال) حق وصدق (ومعناه على ما أراد) هذا إثبات لصحة الأحاديث المروية في الرؤية، وشهادة منهم بحقية[5] موجبها، لأن ما ثبت في الشريعة يجب الاعتقاد به، لأن شريعة الله ثابتة بالمعجزات الباهرة، والدلائل[6] الواضحة، فما ثبت كونه منها يقابل بالسمع والطاعة، ولا[7] يضرب له الأمثال، بل يجب قبوله باعتقاد[8] الحقية، والتسليم لما أراد الله ورسوله، من غير بحث وتأويل، لأن الله تعالى لا يعرف بالقياس، ولا يقاس بالناس، وإنما يعرف بهدايته[9]، ودلائل آياته.

(لا ندخل في ذلك) أي تحقيق كيفية الرؤية (متأولين بآرائنا) وأفكارنا، وأقيستنا، بل نقول إن التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاء به السنة، والتأويل الفاسد هو المخالف له[10].

(ولا متوهمين بأهوائنا) كما فعل المعتزلة وسائر أهل الأهواء بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وهو تحريف كلام الله وكلام[11] رسوله منهم.

(فإنه ما سلم في دينه) أي لم يكن سالماً[12] في دينه (إلا من سلم

---

(١) في (أ) و (ب): علّمه.
(٢) أي تفويض العلم بالكيفية.
(٣) في (أ) و (ب) و (ج): إلى الله تعالى.
(٤) في (ب): فهو ما قال.
(٥) في (ج): بحقيقة.
(٦) طمست في (أ).
(٧) «والطاعة، ولا» طمست في (أ) كذلك.
(٨) «قبوله باعتقاد» في مكانها طمس في (أ).
(٩) في (ج): بهدي الله.
(١٠) «هو المخالف له» سقطت من (ج).
(١١) في (أ) و (ب): في كلام، وهو خطأ.
(١٢) تكررت في (ب).

لله ورسوله)[1] أي سلم لنصوص الكتاب والسنة، (ورد علم ما اشتبه[2] إلى عالمه) ولم يعترض عليها[3] بالشكوك والشبه[4] والتأويلات الفاسدة كأن يقول إن العقل إذا شهد بضد[5] ما دلّ عليه النقل، قدمنا العقل، لأن العقل أصل النقل، كما قاله الحكماء، بل يجب أن يعتقد أن الرسالة من الله، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[6].

(ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم) هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا يثبت إلا[7] على ظهر شيء، أي لا يثبت إسلام من لم يسلم النصوص الوحيية ولم ينقد[8] إليها إلا بعد التسليم بترك الاعتراض عليها برأيه، ومعقوله في قياسه. والإسلام هو[9] دين الله تعالى الذي تعبد به عباده[10]، وبعث لأجله الأنبياء والرسل، وأنزل الكتب له. فالمسلم هو الذي جعل الأشياء كلها سالمة لله، فجعل تخليق الأجسام، والجواهر، والأعراض، كلها ـ خيرها وشرها ـ من الله تعالى، لا كما قالت الثنوية أن خالق الخير[11] هو الله، وخالق الشر والقبائح هو أهرمن، يعنون به الشيطان.

وأما تفسير الإيمان، فسيأتي ـ إن شاء الله.

(ومن رام علم ما حظر عنه علمه) أي طلب الوقوف على الحكمة فيما حظر ومنع عن الخلق علمه، (ولم يقنع بالتسليم فهمه) يعني أن كل من لم يستقبل[12] ما ثبت بدليل قطعي من كتاب ناطق، أو خبر متواتر،

---

(1) في (ج): لرسوله.
(2) في (أ) و (ب): ما أشبه، وفي (ج): ما اشتبه عليه، وكذلك في المطبوع ١: ٢٠٧.
(3) في (ج): عليه.
(4) في (ج): والتشبيه، وهو خطأ.
(5) في (ج): بضدها.
(6) والعقل مع النقل كالمقلد مع المجتهد. انظر شرح أبي العز ١: ٢٣٠.
(7) سقطت من (أ) و (ب).
(8) في (ج) ينعقد.
(9) سقطت من (أ) و (ب).
(10) سقطت من (أ) و (ب).
(11) سقطت من (أ) و (ب).
(12) في (ج): لم يتقبل.

أو[1] إجماع الأمة الهادية، بالتسليم لله ولرسوله، وطلب فهم الوقوف على الحكمة **(حجبه مرامه)** أي كان مرامه ذلك عدولاً عن موجب الإسلام والإيمان، فيصير برأيه محجوباً **(عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان)** فيبقى متردداً بين النقيضين[2] **(فيتذبذب)** أي يضطرب ويتردد **(بين الكفر والإيمان، والتصديق، والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً[3] تائهاً)** متحيراً[4] **(شاكاً زائغاً، لا مؤمناً صادقاً)**[5] لعدم جزمه، **(ولا جاحداً مكذباً)** لتردده[6].

فيه تحذير شديد عن أن يتكلم في أصول الدين، بل وفي غيره، بغير علم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[7] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾[8] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[9] وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وهل دخل الفساد في العالم[10] إلا من مقولة هذه المقالات الصادرة ـ غالباً ـ من ثلاث فرق، كما قال ابن المبارك[11]: «وهل أفسد

---

(١) في (ج): أو.
(٢) في (ج): نقضين.
(٣) في (أ) و (ب) و(ج): موسوماً.
(٤) في (أ) و (ب): محيراً.
(٥) في (ج): صادقاً مصدقاً.
(٦) في (ج): بالتردد.
(٧) الإسراء: ٣٦.
(٨) الحج: ٣.
(٩) القصص: ٥٠، وفي جميع النسخ: ومن أظلم، وهو خطأ.
(١٠) في (ج): العلم.
(١١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن، المجاهد التاجر، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجاً مجاهداً وتاجراً. جمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء. كان من سكان خراسان. له كتاب في الجهاد، وهو أول من صنف فيه، وفي الرقائق. توفي سنة: ١٨١ هـ.
ترجمته في: تاريخ بغداد ١: ١٥٢؛ تذكرة الحفاظ ١: ٢٧٤؛ سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٦؛ شذرات الذهب ١: ٢٩٥.

الدين إلا الملوك، وأحبار سوء»[1] . فإن الملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسة الجائرة، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار سوء هم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أباحه[2] ، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره[3] ، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما[4] أطلقه، ونحو ذلك.

والرهبان هم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق، والمواجيد، والخيالات الفاسدة، والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع، قدمنا السياسة وقال الآخرون إذا تعارض العقل والنقل، قدمنا العقل[5] وقال أصحاب الذوق إذا تعارض الذوق والكشف، وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف[6] نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، والعصمة بالله رب العالمين[7] .

(ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام)[8] هذا تصريح بأن الرؤية تكون في الجنة، إذ[9] دار السلام[10] هي الجنة، لقوله تعالى:

---

(١) جاءت في حاشية الأصل الأبيات التالية:

رأيت الذنوب تميت القلوب	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	وأحبار سوء ورهبانها

(٢) في (ج): ما أحله.
(٣) في (أ) و (ب): اعتبر.
(٤) في (ج): تقييده.
(٥) «قدمنا العقل» سقطت من (أ) و (ب).
(٦) «وظاهر الشرع، قدمنا الذوق والكشف» سقطت من (أ) و (ب).
(٧) في (أ) و (ب): يا رب العالمين.
(٨) في (ب) و (ج): الإسلام.
(٩) في (ج): إلى.
(١٠) في (ب): الإسلام.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1] أي[2] الجنة.

سُمي به إما لأنه اسم من أسماء الله[3]، كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾[4] فمعناه: دار الله، أو لأن من دخلها سلم من الآفات والعيوب، فمعناه: دار السلامة[5].

(لمن اعتبرها[6] بوهم) أي توهم[7] أن الله تعالى[8] يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً، ثم[9] بعد التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف فهو مشبه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم فهو جاحد معطل.

(أو تأولها بفهم) أي ادعى أن لها تأويلاً يخالف[10] ظاهرها، وما يعرفه كل عربي من معناها. وذلك لما صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل أنه صرف اللفظ عن ظاهره، تسلط[11] المحرفون على النصوص وقالوا: نحن نؤول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف تأويلاً ـ تزيينا له ـ ليقبل.

وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ[12] عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[13] وما عرفوا أن العبرة للمعاني لا للألفاظ. فقول الشيخ ههنا نظير قوله ـ فيما تقدم: لا ندخل [في][14] ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا.

---

(1) يونس: ٢٥، وجاءت كلمة (السلام) في هذه الفقرة في (ب) (الإسلام).
(2) في (ج): هي.
(3) في (ج): الله تعالى.
(4) الحشر: ٢٣.
(5) في (أ) و (ب): السلام.
(6) في (أ) و (ب): لمن اعتبر يوم.
(7) في (ج): يتوهم.
(8) سقطت في (أ) و (ب).
(9) في (أ) و (ب) و (ج): بهم، وهو خطأ.
(10) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(11) في (ج): سلط.
(12) في (أ) و (ب) و (ج): شيء، وهو خطأ.
(13) الأنعام: ١١٢.
(14) سقطت من (ص) و (أ) و (ب).

ثم أكد هذا[1] المعنى بقوله:

(إذ[2] كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية) كالغضب، والرضا، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة[3] **(ترك التأويل)** مراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً وهو تحريف كالتأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع، والبصر، والكلام[4]، لكن تأدب[5] وجادل بالتي هي أحسن، ائتماراً[6] بقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[7].

(ولزوم التسليم) بحقيتها[8] مع ترك طلب كيفيتها وماهيتها، لأن رؤية الله منزهة عنها، كذاته وصفاته.

(وعليه دين المرسلين) هذا بيان أن[9] الأنبياء على طريقة[10] واحدة في الهدى[11] والتوحيد. قال الله[12] تعالى لنبيه ـ عليه السلام ـ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[13] قال أهل الأصول: أمروا بما يجب اعتقاده في الأسماء والصفات أن يكونوا على دين واحد، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا

---

(١) سقطت في (ب).

(٢) في (أ) و (ب): إن، وفي (ج): إذا.

(٣) قوله: «كالغضب، والرضا، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة» مثبت في حاشية الأصل.

(٤) قوله: «كالتأويل الذي يصرفها. . .» إلى قوله: «مثل ذلك في السمع، والبصر، والكلام» مثبت في حاشية الأصل كذلك.

(٥) في (ج): ياوب.

(٦) في (ج): التماساً، وسقطت هذه الكلمة وما بعدها إلى نهاية الآية في (ب).

(٧) النحل: ١٢٥.

(٨) في (ج): بحقيقتها.

(٩) سقطت من (أ) و (ب)، وفي (ج): كون.

(١٠) في (ج): على طريق.

(١١) في (ج): في الهداية.

(١٢) في (ج): قال تعالى.

(١٣) الأنعام: ٧١، وفي (ج): وأمرنا لتسليم، وهو خطأ.

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1] .

فالأنبياء كلهم على دين واحد، وهو الإسلام، لقوله[2] ـ عليه السلام ـ: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[3] وأما في الشرائع فلكل[4] منهم شريعته[5] على حدة، كقوله[6] تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[7] **(ومن لم يتوق**[8] **النفي)** الذي هو خلاف الشرع[9]، كنفي الصفات والرؤية، **(والتشبيه)** الذي هو خلاف الشرع والعقل[10]، كتشبيهه[11] الله تعالى في الرؤية[12] والصفات بالمخلوق، **(زل)** عن طريق الدين[13] الحق **(ولم يصب التنزيه)** الذي أوجبه الشرع والعقل.

(فإن ربنا جلّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية)[14] كما وصف نفسه بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[15] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[16] .

---

(١) الشورى، ١٣، وسقطت بعض الكلمات من وسط الآية في (ج).
(٢) في (أ) و (ب) و (ج): ولقوله.
(٣) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ٤٨، حديث ٣٤٤٣، بلفظ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة العلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى. (الفتح ٦: ٤٨٩).
ومسلم في كتاب الفضائل، باب: ٤٠، حديث ٢٣٦٥. (صحيح مسلم ٤: ١٨٣٧).
(٤) في (ب): فكل.
(٥) في (ج): شريعة.
(٦) في (أ) و (ب) و (ج): لقوله.
(٧) المائدة: ٤٨.
(٨) في (ج): لم يتوقى.
(٩) في (ج): والعقل.
(١٠) سقطت كلمات (كنفي الصفات والرؤية) إلى هنا في (أ) و (ب) و (ج).
(١١) في (ج): كتشبيه الله.
(١٢) في (أ): التروية.
(١٣) سقطت من (أ) و (ب).
(١٤) في (ج): بصفات التوحيد الوحدانية.
(١٥) البقرة: ١٦٣.
(١٦) الإخلاص: ١ ـ ٢.

(منعوت بنعوت الفردانية) حيث نعت نفسه بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[1].

(ليس في معناه أحد من البرية) ولا يتوهم أحد في إثبات الرؤية المدعوة في الآخرة معاني الرؤية المعهودة في الشاهد[2] في البرية.

(تعالى الله عن الحدود والغايات) إذ الحد وصف للمحدود، والغاية عبارة عن النهاية، وهو منزه عنهما[3].

(والأركان، والأعضاء، والأدوات) لأن الأعضاء صفات الأجسام، والأدوات والآلات أجسام، والقديم متعال عن هذه الأوصاف.

(لا تحويه [١٩ ـ ب] **الجهات الست)** لأنها محدثة، ومن أوصاف العالم المحدث، والله قديم، كان ولا مكان ولا زمان، ولا فوق، ولا تحت، وغيرها.

(كسائر المبتدعات) أي لا يحويه شيء كما تحوي[4] الجهات سائر المخلوقات[5]، ولا يحيط به شيء، بل هو محيط بكل شيء، بالعلم والقدرة، والقهر والسلطان، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

(والمعراج حق)[6] المعراج من العروج، أي الآلة التي يعرج ـ أي يصعد ـ به، وهو بمنزلة السلم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات ـ نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

(وقد أسري بالنبي ـ عليه السلام ـ) لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[7] والحكمة في الإسراء

---

(١) الأنعام: ١٠١، ووقع الخطأ في هذه الآية في (أ) و (ب) و (ج).

(٢) «المدعوة في الآخرة معاني الرؤية المعهودة في الشاهد في البرية» سقطت من (أ) و (ب)، وفي (ج): الرؤية المرجوة. . . المعبود في الشاهد.

(٣) هذه الجملة من الشرح سقطت من (أ) و (ب) و (ج)، وكذلك كلمات: الأركان، والأعضاء، والأدوات، من (أ) و (ب).

(٤) سقطت كلمات (شيء كما تحوي) في (ب).

(٥) في (ج): أي لا تحويه الجهات كسائر المخلوقات، وكذلك في (أ) و (ب).

(٦) كتب في حاشية الأصل: (فصل).

(٧) الإسراء: ٢١.

إلى بيت المقدس أولاً[1] إظهار صدق دعوى الرسول المعراج[2]، حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس[3].

(**وعرج بشخصه**) هذا رد لمن قال إنما كان[4] عروجه بروحه دون شخصه وجسده، (**في اليقظة**)[5] فيه رد لمن قال[6]: كان الإسراء في المنام، (**إلى السماء**)[7] فيه رد لمن زعم أنه كان إلى المسجد الأقصى دون فوقه. وقد تواترت الأخبار بذلك عن رسول الله[8]، ويجوز العقل ذلك، بدليل قيام السماء في الهواء مع عظمها وسعتها، بغير علاقة[9] ولا عماد، وقيام السحاب الثقال الكثيف وعليها بحور الماء[10]، وهو على متن الهواء، وهو شيء لطيف لا يحتمل أن يكون مقر الشيء [الكثيف][11]، وبحور الماء شيء ثقيل من شأنه النزول والسفل، فعلم أن ذلك بقدرة ذاتية، وقوة أزلية[12] لا يعجزها شيء. فعروجه ـ عليه السلام ـ بشخصه في اليقظة إلى السماوات العلى، (**ثم إلى حيث شاء الله من العلى**) يجوز في العقل، فإذا تأيد بالنقل المتواتر عمن لا يجوز الكذب منه، وجب الإيمان به، [٢٠ ـ أ] والاعتقاد بحقيته[13]، وإنكاره إلحاد وضلال.

(**وأكرمه بما شاء**) من الدنو والتدلي، والمحبة والخلة[14]،

---

(١) سقطت من (ج).
(٢) في (ج): بالمعراج.
(٣) قوله: «والحكمة في الإسراء...» إلى قوله: «عن نعت بيت المقدس» مثبت في حاشية الأصل.
(٤) سقطت من (ج).
(٥) في (ج): يقظة.
(٦) سقطت من (أ) و (ب).
(٧) «فيه رد لمن قال كان الإسراء في المنام، (إلى السماء)» سقطت من (ج).
(٨) في (ج): عليه السلام.
(٩) في (أ) و (ب): بغير علاق.
(١٠) في (ج): بحور البحار، وهو خطأ.
(١١) في (ص) و (أ) و (ب): كثيف.
(١٢) «وقوة أزلية» سقطت من (ج).
(١٣) في (أ) و (ب): بحقيقة، وفي (ج): بحقيقته.
(١٤) في (ج): التحية والخلد، وهو خطأ.

كما ذكر في التفاسير والأحاديث[1].

(وأوحى إليه ما أوحى) مما يوجب التقرب وما يرشد به عباد الله من الأوامر والنواهي.

واختلف في المعراج أنه وقع[2] مرة، أو مرتين، أو مراراً، والأصح أنه وقع مرة واحدة بمكة، بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل بسنة وشهرين.

وفي المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق[3].

(والحوض الذي أكرمه الله به) في الموقف[4] يوم القيامة، **(غياثاً لأمته حق)** وصدق بدلالة سورة الكوثر، وكذا العقل الصحيح يجوزه، لأن إغاثة الله[5] لكافة خليقته ببحار الماء محمولاً على متن الهواء في السحب الثقال، في هذه الدنيا أمر معتاد، فلم لا يجوز في كربات[6] الموقف[7] يوم القيامة؟ وقد ورد به النقل الصريح عن النبي ـ عليه السلام ـ حيث قال: «إن قدر حوضي كما بين صنعاء[8] إلى أيلة[9]، وإن آنيته كعدد النجوم»[10] ـ وقد وردت في إثبات الحوض أخبار مشهورة يطول

(١) انظر روح المعاني ٢١٧:٥ ـ ٥٤.
(٢) سقطت من (أ) و (ب).
(٣) انظر فتح الباري ٧: ٢٠٣.
(٤) في (أ) و (ب): الوقف.
(٥) سقطت في (ب).
(٦) في (ج): كرامات.
(٧) في (أ) و (ب): الوقف.
(٨) صنعاء اليمن ـ كما جاء في بعض الروايات.
(٩) أيلة «مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام، وهي الآن خراب، يمر بها الحاج من مصر فتكون شماليهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها، فتكون أمامهم.. وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين». قاله ابن حجر في الفتح ١١: ٤٧٠.
(١٠) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم ٦٥٨٠، ولفظه: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء». فتح الباري ١١: ٤٦٣.

ذكرها[1]، فوجب الإيمان به، والاعتقاد بصحته وثبوته. ثم اختلف في أن الحوض هو الكوثر أو غيره، والأصح أن الحوض [يَشْخُبُ][2] فيه ميزابان[3] من الكوثر. وهو في العرصات في أرض مبدلة بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد.

ثم الأصح أن الحوض قبل الميزان والصراط، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فيتقدم قبل الميزان والصراط ولأنه يختلج[4] ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا[5] يجاوزون الصراط.

(والشفاعة التي أدخرها لهم) ـ أي لأهل المحشر ـ **(حق)** ثابت بالكتاب والسنة. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾[6] فهو أمر بالشفاعة، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[7] ففيه ثبوت الشفاعة بإذنه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[8].

وأما السنة فقد تواترت الأخبار في إثبات الشفاعة، منها قوله ـ عليه

= وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب رقم ٩، حديث رقم ٢٣٠٤، بنحوه، وبروايات أخرى متقاربة في الألفاظ. صحيح مسلم ٤: ١٨٠٠ ـ ١٨٠١.

(١) لقد بلغت الأحاديث الواردة في الحوض حد التواتر، حيث رواها من الصحابة أكثر من الثلاثين، وكثير منها في الصحيحين. انظر ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١١: ٤٦٧) فقد استوفى تخريجها.
وكذلك الجزء الأول من «النهاية» لابن كثير، حيث جمع طرقها: ١: ٩١ ـ ١٤٢.

(٢) في جميع النسخ: يشحب، وهو خطأ. ويشخب أي يسيل، من الشخب وهو السيلان.

(٣) في (أ) و (ب) يشحب فيه بان من الكوثر، وهو خطأ.

(٤) في (ج): لأنه يحتيج، وفي (أ) و (ب): ولأنه يحتاج، والصحيح: ولأنه يختلج، كما في الأصل، ومعناه: يمنع وينتزع منه أقوام. انظر ترتيب القاموس ٢: ٨٨؛ ولسان العرب ٢٥٦٢؛ وتاج العروس ٢: ٣٣٣.

(٥) في (ج): ولا.

(٦) النور: ٦٢.

(٧) البقرة: ٢٥٥.

(٨) الأنبياء: ٢٨، وسقطت الواو من جميع النسخ، وفي (ج): إلا من ارتضى، وهو خطأ، وأضيف في حاشية الأصل: وقوله: **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾** [طه: ١٠٩].

السلام ـ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1] وذلك لأن صاحب الكبيرة داخل تحت الارتضاء بالشفاعة، لما معه من الإيمان والتوحيد الذي هو أعظم الطاعة المؤهلة للارتضاء.

والشفاعة أنواع: منها الشفاعة الأولى[2] الخاصة لنبينا ـ عليه السلام ـ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين في يوم المحشر[3] عند تحير الخلائق، وتوجههم إلى الأنبياء.

ومنها شفاعته[4] في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

ومنها شفاعته في أقوام قد أمروا إلى النار، فيشفع فيهم[5] أن لا يدخلوها.

ومنها شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة[6] فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وهذه هي التي وافق المعتزلة فيها، وخالفوا فيما[7] عداها.

ومنها[8] في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، وهم سبعون ألفاً،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة، باب في الشفاعة، حديث رقم ٤٧٣٩. (سنن أبي داود ٥: ١٠٦).
وأخرجه الإمام الترمذي في أبواب صفة القيامة، باب رقم ١٢، حديث رقم ٢٤٣٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». (سنن الترمذي ٧: ١٥٠).
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣١٠. (سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٠).
وصححه الحاكم، انظر المستدرك ١: ٦٩، وابن حبان، انظر صحيح ابن حبان حديث رقم ٢٥٩٦.
وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجه ٢: ٣٤١، حديث رقم ٤٣١٠.
(٢) أي العظمى.
(٣) في (ج): الحشر.
(٤) في (ج): شفاعة.
(٥) سقطت هذه الجملة من (أ) و (ب).
(٦) سقطت من (ج).
(٧) في (أ) و (ب): فيها وهو خطأ.
(٨) سقطت في: (ج).

حتى استدعى عكاشة بن محصن[1] من رسول الله أن يجعله من السبعين[2] ألفاً.

ومنها شفاعته في تخفيف العذاب لمن[3] يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب[4]. فإن قيل يمنعها قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[5] فالجواب: معناه لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، يخرجون منها ويدخلون الجنة.

ومنها شفاعة أن يؤذن بجميع المؤمنين في دخول الجنة.

ومنها شفاعته[6] في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون[7]، وهي تتكرر[8] منه أربع مرات. وقد أنكرتها الخوارج[9] والمعتزلة، وكل ذلك مبسوط في كتب الأحاديث[10].

---

(١) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة الأسدي، أبو محصن. من السابقين الأولين، شهد بدراً والمشاهد بعدها، وقع ذكره في الصحيحين في حديث ابن عباس في السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. استشهد عكاشة في قتال أهل الردة، قتله طليحة بن خويلد الذي تنبأ.
ترجمته في: أسد الغابة ٣: ٥٦٤؛ تجريد أسماء الصحابة ١: ٣٨٧؛ الإصابة ٢: ٤٩٤؛ الاستيعاب ٣: ١٥٥.

(٢) في (ج): من سبعين.

(٣) في (أ) و (ب): من، وفي (ج): بمن.

(٤) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب، والد علي ـ رضي الله عنه ـ وعم النبي ـ ﷺ ـ وكافله ومربيه وناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم. نشأ النبي ـ ﷺ ـ في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه، ولما هم أهل قريش بقتله حماه وصدهم عنه، فدعاه النبي ـ ﷺ ـ إلى الإسلام فامتنع، وتوفي على ذلك بثلاث سنوات قبل الهجرة.
انظر: طبقات ابن سعد ١: ١١٩؛ البداية والنهاية ٢: ٣٠٥؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٧.

(٥) المدثر: ٤٨.

(٦) في (أ) و (ب) و (ج): شفاعة.

(٧) سقطت من (أ) و (ب).

(٨) في (ج): تكرر.

(٩) تأتي ترجمة الخوارج بعد قليل.

(١٠) يدل على هذا النوع من الشفاعة حديث الشفاعة المشهور، رواه البخاري في كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٥١٠، ولفظه: «حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن =

(والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق)[1] ثابت بالكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2][3]. وكذا[4] الأحاديث قد وردت في أخذ الذرية من صلب آدم ـ عليه السلام[5] ـ وتميزهم إلى أصحاب اليمين

= زيد، حدثنا معبد بن خلال العنزي، قال: اجتمعنا ناسٌ من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس ابن مالك، وذهبنا معنا بثابت البُناني، يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة؟ فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ـ ﷺ ـ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويُلهمني محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيُقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تُشفع، وسل تُعط، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تُشفع، وسل تُعط، فأقول: يا رب، أمتي، أمتي: فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل... ثم أعود الرابعة، أحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

(1) سقطت كلمة (حق) في (ب).

(2) في (ص) و (أ) و (ب): ذرياتهم.

(3) الأعراف: ١٧٢.

(4) في (ج): كذلك.

(5) في (ج): صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين. ومن الأحاديث الواردة في أخذ الميثاق من الذرية ما رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ونصه: «إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال نعم. قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك». انظر فتح الباري ٦: ٣٦٣، حديث رقم ٣٣٣٤، وكذلك حديث رقم ٦٥٣٨، و ٦٥٥٧.

وأصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد بأن الله[1] ربهم.

والسلف لم يتكلموا في كيفيته، فإنهم عدوا ذلك من المتشابهات، وأوجبوا الاعتقاد بحقيته[2]، لورود الكتاب، ولم يشتغلوا[3] بكيفيته لتمكن[4] وجوه الاحتمال في تأويلاته، حتى قال الشيخ أبو منصور: «يجب على المرء حفظ نفسه، وحفظ العوام عن تبليغ الأخبار التي فيها حديث الذر، وعن تأويلاته، فإنه أعظم في النفع، وأبعد عن الشبهة[5] من الاشتغال بروايتها[6].

(وقد علم الله تعالى فيما لم يزل) أي في الأزل **(عدد من يدخل الجنة)** بأنهم يؤمنون ويطيعون عن اختيار وإيثار[7]، **(وعلم عدد من يدخل النار، جملة واحدة)** بأنهم يكفرون، ويخالفون أوامره ونواهيه عند الوجود والبلوغ والعقل، عن اختيار منهم[8]، لا عن جبر واضطرار فيوجبون النار.

(فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه) هذا بيان لسعة علمه تعالى، وأن علمه لا يقدر بعلوم الخلائق. وفيه دفع لمادة الشك في القضاء والقدر من الضعفاء.

= وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب رقم ١٠، حديث رقم ٢٨٠٥. (صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٠).

وفي ذلك أحاديث أخرى كثيرة، كلها تدل على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميّز بين أهل النار وأهل الجنة.

انظر: «الدر المنثور» ٣ : ١٤١ ـ ١٤٥؛ وتفسير ابن كثير ٢ : ٢٦١ ـ ٢٦٤.

(١) في (ج): بأنه.

(٢) في (ج): بحقيقته.

(٣) في (ج): يشغلوا.

(٤) في (أ) و (ب): لتكن.

(٥) في (ج): عن التشبيه.

(٦) لم أجد قول الماتريدي هذا، وفيه نظر، حيث ليس في رواية أحاديث الذر ضير، وإذا ثبت فيها تفسير صحيح من السلف الصالح يُؤخذ به. انظر ما أورد ابن أبي العز من أقوال السلف في ذلك، وما قاله شيخ الإسلام في المجموعة الأولى من جامع الرسائل ص: ١١ ـ ١٤.

(٧) في (ج): عن اختياره وإرشاد.

(٨) في (ج): عن اختيارهم منهم.

عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد[1] فأتانا رسول الله[2] فقعد، فقعدنا[3] حوله، ومعه مِخصَرة[4] فنكس رأسه، فجعل ينكت[5] بمخصرته، ثم قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها في الجنة والنار، وإلا قد كتبت[6] شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث[7] على كتابنا ونضع العمل؟ فقال: «من كان من أهل[8] السعادة فسيصير إلى عمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل الشقاوة»[9]. ثم قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له: أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»[10] ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[11].

فهذا[12] قوله **(وكل ميسر لما خلق له)** والمعنى: جدوا في العمل

---

(١) في (ج): المرقد، وهو خطأ.
(٢) في (ج): ﷺ.
(٣) في (أ) و (ب): فقعد، وهو خطأ.
(٤) سقطت من (ج).
(٥) في (ج): ينكسه، وهو خطأ.
(٦) في (أ) و (ب): كتب.
(٧) في (ج): نتكل.
(٨) سقطت من (أ) و (ب).
(٩) في (أ) و (ب): سقط وخلط في هذه الجملة.
(١٠) جملة (فييسرون لعمل أهل الشقاوة» سقطت من (أ) و (ب).
(١١) الليل: ٥ ـ ١٠. والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، حديث رقم ١٣٦٢، مع فرق يسير في الألفاظ. انظر فتح الباري ٣: ٢٢٥.
وأخرجه البخاري كذلك في كتب التفسير، في تفسير سورة الليل، حديث رقم ٤٩٤٥، مختصراً. (فتح الباري ٨: ٧٠٨).
وأخرجه مسلم في كتاب القدر، باب رقم ١، حديث رقم ٢٦٤٧.
و (المِخصَرَة) ما أخذه الإنسان بيده، واختصره من عصا لطيفة، وعكاظ لطيف، وغيرها.
و (ينكت) أي يخط بها خطاً يسيراً، مرة بعد مرة، وهذا فعل المفكر المهموم. انظر صحيح مسلم ٤: ٢٠٣٩.
(١٢) في (أ) و (ب): فهو.

واجتهدوا، ولا تدعوا أعمالكم محتجين[1] بالقضاء والقدر، فإن الله تعالى دعاكم إلى طاعته[2]، وأمركم بالمجاهدة.

(والأعمال بالخواتيم)[3] وذلك لما ورد[4] أن الرجل قد تدركه الندامة في آخر عمره فينيب إلى ربه[5]، فيختم له بالخير، وقد يدركه العجب، وما يحبط عمله فيختم له بالشر.

(والسعيد من سعد بقضاء الله) لأنه تعالى لا يقضي بسعادة أحد[6] إلا بعد علمه بأنه يخرج من الكفر إلى الإيمان، **(والشقي من شقي بقضاء الله)**[7] فإنه تعالى لا يقضي بشقاوة أحد إلا بعد علمه[8] بأنه يخرج من الإيمان إلى الكفر، فيقضي بما سبق علمه قبل وجودهم[9]، ويطلع إلى[10] السرائر بعد وجودهم[11]. والسعيد قد يشقى، والشقي قد يسعد بقضاء الله تعالى،

---

(١) في (ج): غير مقروءة.

(٢) في (ج): طاعة.

(٣) في (أ) و (ب): خواتم.

(٤) في (أ) و (ب): للوارد.

(٥) في (أ) و (ب): فينيب الخيرية فيختم له...

(٦) في (ج): واحد.

(٧) جاءت عبارة: «والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى... والشقي من شقي بقضاء الله تعالى» دون الخط الفوقي الذي يدل على أنها من متن الطحاوي، والصحيح أنها من المتن، لوجود الخط في النسخ الأخرى، ولوجودها في جميع النسخ المطبوعة لشرح ابن أبي العز.

(٨) يقول عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية: «قال بعضهم: المراد من القدر أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. هذا هو المعلوم من الدين بقواطع البراهين، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين، قبل حدوث القدرية المخالفين... ألا ترى إلى عبارة النووي، نفعنا الله به، وهو منهم ـ حيث قال: «ومعناه أن الله قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها» (ص: ٨٦ ـ ٨٧) وتأتي عبارة الطحاوي بعد قليل في هذا المعنى، يقول فيها: «وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً». وانظر: شفاء العليل ص: ٢٦٨.

(٩) في (أ) و (ب): وجوههم.

(١٠) في (أ) و (ب): على.

(١١) «ويطلع على السرائر بعد وجودهم» سقطت من (ج).

والتغير[1] في السعادة والشقاوة، لا في[2] الإسعاد والإشقاء[3].

(وأصل القدر سر الله في خلقه) وهو كونه أوجد أو أفنى، [٢٢ ـ أ] وأفقر وأغنى، وأمات وأحيى، وأضل وهدى **(لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل)** لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[4] والقدر من الغيب الذي استأثره الله تعالى بعلمه، وجعله سراً مكتوماً[5] من خلقه، إلا ما[6] شاء إظهاره[7] من غيبه إلى بعض رسله ليكون معجزة له، وحجة على من أرسله إليهم، لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[8].

(والتعمق) وهو المبالغة في طلب الشيء **(والنظر)** أي المناظرة **(في ذلك ذريعة الخذلان)** لأن التعمق في طلب الوقوف على المكتوم ـ بعد المعرفة بكونه مكتوماً ـ ينشأ عن[9] الإنكار والارتياب، وهو من صفات أهل النفاق والإلحاد.

والمناظرة في ذلك تفضي إلى المنازعة في أحكام الربوبية.

(وسلم الحرمان) باستمراره على الخلاف **(ودرجة الطغيان)** وهي نهاية ارتقائه من التعمق في [تلك][10] الذريعة. والسلم والدرجة

---

(١) في (ج): والتغيير.

(٢) سقطت (في) من (ج).

(٣) «في الإسعاد والإشقاء» مثبت في حاشية الأصل. ولعله يقصد بعبارته: «والسعيد قد يشقى، والشقي قد يسعد...» فيما يظهر للناس، أما السعيد في علم الله تعالى فهو سعيد ابتداء، وكذا الشقي، وكأن المؤلف يشير بهذا إلى الحديث المشهور: «... إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». (البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣).

(٤) النمل: ٦٥.

(٥) في (ج): مكتوباً، وهو خطأ، وفي (أ) و (ب): مكتوناً.

(٦) تكررت في (أ).

(٧) في (ج): إلا ما شاء الله من غيبه.

(٨) الجن: ٢٦ ـ ٢٧، وفي جميع النسخ: إلا لمن ارتضى، وهو خطأ.

(٩) في (ج): عن.

(١٠) في جميع النسخ: ذلك، وهو خطأ.

متقارب[1] المعنى، وكذا الحرمان والخذلان والطغيان، لكن الخذلان في مقابلة النصر[2]، والحرمان في مقابلة الظفر، والطغيان في مقابلة الاستعانة.

(فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وذكراً[3] ووسوسة) هذا مبالغة في التحذير عن طلب ما حظر[4] عن العباد علمه[5]، **(فإن الله تعالى طوى علم القدر)** أي أخفاه وستره[6] **(عن أنامه[7]، ونهاهم عن مرامه)** إنما نهي عن الخوض في هذا الباب لأنه مما استأثره الله بعلمه دون عباده، فالقول بإحاطة علم العباد بجميع معلومات الله قول بمضاهاة علومهم بعلمه تعالى وهو محال، لأن المحدث مع القديم لا يستويان، فإن[8] علمه تعالى أزلي بذاته، وعلوم الخلق محدثة[9] مستفادة من غير، فتكون قاصرة كصفاتهم.

(كما قال تعالى في[10] كتابه: «﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لكمال حكمته وعدله ورحمته ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾»[11] عما يفعلون لحقيقة عبوديتهم، بدليل أنه تعالى سلط على عباده ملائكة يكتبون أعمالهم من خير أو شر للسؤال والحساب. ولما منع بقوله (لا يُسأل) **(فمن سأل لِمَ فعل)** الله كذا؟ **(فقد رد حكم الكتاب)** لأن مبنى العبودية الإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم السؤال عن تفاصيل الحكمة.

نقل عن ابن عبد البر[12]: من سأل مستفهماً راغباً في العلم ونفي

---

(١) في (ج): متقاربة.
(٢) في (ج): النفس.
(٣) في (ج): وفكراً.
(٤) في (أ): حضر.
(٥) في (أ) و (ب): عليه.
(٦) في (ج): وسره.
(٧) في (أ) و (ب): أمامه.
(٨) في (ج): فإنه.
(٩) سقطت من (ج).
(١٠) في (أ) و (ج): قال الله تعالى، وفي (ب): قال الله في.
(١١) الأنبياء: ٢٣.
(١٢) جاء في جميع النسخ: عبد البر، والصحيح ابن عبد البر.
وهو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، النمري الأندلسي القرطبي المالكي، أبو عمر، الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، وصاحب التصانيف الفائقة، =

الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف عليه في الديانة فلا بأس، فشفاء العي[1] السؤال، وأما من سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا[2] كثيره[3].

(ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) لأن رد ما ثبت بدليل مقطوع به يكون كفراً.

(فهذا) إشارة إلى ما تقدم مما يجب اعتقاده والعمل به، **(جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه)** أي إنما يدري هذا ويقف عليه من نور قلبه بكمال اليقين، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[4].

(من أولياء الله تعالى) وإن كان كل مكلف محتاجاً احتياج الوجوب واللزوم إليه، وهذا[5] كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[6] وإن كان هو هدى للكل، لكن من آمن به واتبعه كان له هدى ونوراً. **(وهي درجة الراسخين في العلم)** أي في علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً، ونفياً وإثباتاً. وإنما كان الأمر كذلك **(لأن العلم علمان علم في الخلق موجود)** وهو علم الشريعة، أصولها وفروعها، **(وعلم في الخلق مفقود)** وهو علم القضاء والقدر الذي طواه عن أنامه ـ كما مر ـ، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[7].

= رحل في طلب العلم، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، وسارت بتصانيفه الركبان، توفي بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ. من تصانيفه: «الاستيعاب» في تراجم الصحابة، «جامع بيان العلم وفضله» «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، «الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار».

ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨ : ١٥٣؛ دول الإسلام ١ : ٢٧٣؛ مرآة الجنان ٣ : ٨٩؛ ترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨؛ شجرة النور الزكية ١ : ١١٩؛ هدية العارفين ٢ : ٥٥٠.

(١) في (أ) و (ب) و (ج): ألفي، وهو خطأ.
(٢) سقطت في (أ) و (ب) و (ج).
(٣) نقل هذا القول عن ابن البر الإمام القرطبي في تفسيره ١ : ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٤) النور: ٣٥، وسقط لفظ الجلالة من جميع النسخ.
(٥) في (ج): وهذه.
(٦) البقرة: ٢. وقد جاء في جميع النسخ: إنه هدى للمتقين، وهو خطأ.
(٧) لقمان: ٣٤.

(**فإنكار العلم الموجود كفر**) لأنه تكذيب للرسل والكتب، (**وادعاء العلم المفقود كفر**) لأنه ادعاء المشاركة مع الله تعالى فيما استأثر به[1].

(**ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود**) بالانقياد والتسليم، (**وترك طلب العلم**[2] **المفقود**) بتفويضه إلى عالمه.

(**ونؤمن باللوح**) لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[3] ولقوله ـ عليه السلام ـ: «إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور لله فيه كل يوم ستون[4] وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق، ويميت[5] ويحيي، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاؤه»[6]. ويشبه أن يكون هذا اللوح هو العرش[7] أو[8] متصلاً به، لقوله ـ عليه السلام ـ: «ما من مخلوق إلا وصورته تحت العرش»[9].

فاللوح المذكور هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، لما روى ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي[10] أنه قال: «قدرالله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات[11] بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»[12].

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): استأثره.

(٢) في (ج): علم المفقود.

(٣) البروج: ٢١ ـ ٢٢.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): سبعون، وهو خطأ.

(٥) في (ج): ويموت.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» برقم ١٢٥١١ (١٢: ٧٢) من طريق زياد بن عبد الله البكائي، عن ليث بن أبي سليم، وكلاهما ضعيف. انظر أقوال الأئمة فيهما في ميزان الاعتدال ٢: ٩١، و ٣: ٤٢٠. وقد ضعف الحديث بسببهما الشيخ ناصر الدين الألباني في تحقيقه لشرح ابن أبي العز، ص: ٢٩٣.
ورواه في «الكبير» كذلك، برقم ١٠٦٠٥ (١٠: ٣١٦) من طريق أخرى موقوفاً على ابن عباس بنحوه. قال في مجمع الزوائد: (٧: ١٩١) «رجال هذه ثقات». وقد حسنها الألباني في المرجع والمكان السابق ذكرهما.

(٧) قوله هذا فيه نظر لورود النصوص التي تفرق بينهما، ولم أجد أحداً من السلف قال بهذا.

(٨) في (ج): و.

(٩) لم أجد هذا الحديث فيما وقع تحت يدي من المصادر.

(١٠) في (ج): صلى الله تعالى عليه وسلم.

(١١) في (ب) والأرض.

(١٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب ٢، حديث رقم ٢٦٥٣، (صحيح مسلم ٤: ٢٠٤).

وهذا تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق[1] العرش.

(والقلم) وهو الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[2] عند أكثر أهل التفسير، وهو الذي خلقه الله وكتب به المقادير في اللوح المذكور، لما روي عن[3] عبادة بن الصامت[4] أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب[5]، قال: وما أكتب؟ فقال: القدر[6]، ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[7] وفي رواية: «اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[8].

---

(١) سقطت من (ج).

(٢) القلم: ١.

(٣) سقطت في (ج).

(٤) في (ج): بن صامت. وهو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، الخزرجي، أبو الوليد، صحابي، من الموصوفين بالورع. شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدراً وسائر المشاهد، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، روى ١٨١ حديثاً، وكان من سادات الصحابة، توفي بالرملة أو ببيت المقدس سنة ٣٤ هـ.
ترجمته في أسد الغابة ٣: ٥٦؛ الإصابة ٢: ٢٦٨؛ الاستيعاب ٢: ٤٤٩؛ تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٠٦.

(٥) «قال له: اكتب» سقطت من (أ) و (ب).

(٦) في (ج): العدد.

(٧) وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم ٤٧٠٠، ولفظه: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». (سنن أبي داود ٥: ٧٦).
وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب القدر، باب رقم ١٧، حديث رقم ٢١٥٦، ولفظه: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد». وقال الترمذي: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه». (٦: ٣٢١).
وأخرجه الترمذي كذلك في كتاب التفسير، سورة ن، حديث رقم ٣٣١٦، بنحوه، وقال بعده: «هذا حديث حسن غريب صحيح...» (٥: ٥٩).
ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥: ٣١٧.

(٨) وأبو داود الطيالسي في مسنده، حديث رقم ٥٧٧، ص: ٧٩.
ويشهد له حديث أبي هريرة بلفظ: «إن أول شيء خلق الله عز وجل القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، ثم قال: اكتب...» الحديث. رواه الآجري في «الشريعة» ص: ١٧٧، وفيه الحسن بن يحيى الخشني مختلف فيه. انظر تهذيب التهذيب ٢: ٣٢٦، ت ٥٦٧. وقال في التقريب: «صدوق كثير الغلط». (١: ١٧٢).
وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في تحقيقه لشرح ابن أبي العز، ص: ٢٩٤.

واختلف العلماء في أن أول المخلوقات العرش أو[1] القلم على قولين، أصحهما أن العرش قبل القلم، لحديث [٢٣ ـ ب] ابن عمر ـ كما مر ـ ولرواية عبادة في لفظ: «أولَ ما خلق الله القلم قال له اكتب)، بنصب أول والقلم، فمعناه: عند أول خلقه قال له اكتب[2]. ويؤيده رواية: (لما خلق الله القلم قال له اكتب)[3]، وأما في لفظ آخر وهو: (أول ما خلق الله القلم) برفعهما ـ فيتعين[4] أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، لما جاء في رواية الترمذي[5] من حديث ابن عمر[6]: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»[7] وكذا في رواية غيره جاءت الأقلام بصيغة الجمع[8]. والذي علم من الأحاديث أن الأقلام أربعة:

القلم الأول: القلم الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح.

---

(١) في (ب) و (ج): والقلم.

(٢) سقط هذا السطر من الشرح بكامله في (أ) و (ب).

(٣) سقط من (ج).

(٤) في (أ) و (ب): فتعين.

(٥) محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان، والعراق، والحجاز، وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، مات بترمذ سنة ٢٧٩ هـ. من تصانيفه: «الجامع الصحيح»، «الشمائل النبوية»، «التاريخ»، «العلل».

ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٧٠؛ تهذيب التهذيب ٩: ٣٨٧؛ شذرات الذهب ٢: ١٧٤؛ الفهرست ٢٣٣.

(٦) في (ج): رضي الله تعالى عنهما.

(٧) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة، باب رقم ٦٠، حديث رقم ٢٥١٨، ولفظه: «يا غلام ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». (٧: ٢٠٣).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١: ٢٩٣ و ١: ٣٠٣.

(٨) في (ج): المجمع.

والقلم الثاني: حين[1] خلق آدم ـ عليه السلام ـ وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آثار تدل على أن الله تعالى قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم، وسعادتهم وشقاوتهم عقيب خلق أبيهم.

والقلم الثالث: حين يرسل[2] الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو[3] سعيد.

والقلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه في أيدي الكرام الكاتبين، يكتبون ما يفعله بنو آدم[4].

فنؤمن بجميع ذلك **(وبجميع ما فيه)** أي في اللوح المحفوظ **(قد رقم)** لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[5] قالوا: هو اللوح المحفوظ، فيتضمن[6] الإيمان بجميع ما كتب الله فيه، من الكتب السماوية[7]، وجميع[8] ما يكون إلى يوم القيامة.

وإذا عرفت ذلك[9] **(فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله[10] فيه أنه كائن ليجعلوه[11] غير كائن)** أي لو[12] اتفق جميع المخلوقات على دفع وقوع شيء مقدور[13] وقوعه **(لم يقدروا عليه)** أي على دفعه، فإنه[14] يكون البتة. **(ولو اجتمعوا[15] على ما لم يكتبه الله تعالى فيه**

---

(١) في (أ) و (ب): على حين خلق آدم.

(٢) في (ج): أرسل.

(٣) في (ج): وسعيد.

(٤) في (ب): عليه السلام.

(٥) يس: ١٢.

(٦) في (أ) و (ب) و (ج): فيضمن.

(٧) «بجميع ما كتب الله تعالى فيه من الكتب السماوية» سقطت من (أ) و (ب).

(٨) في (ج): وبجميع.

(٩) في (أ) و (ب) و (ج): هذا.

(١٠) في (ج): كتب الله تعالى.

(١١) في (ج): ليجعلوا أنه.

(١٢) سقطت في (ب).

(١٣) في (ج): مقدر.

(١٤) سقطت من (ج).

(١٥) في (ج): ولو اجتمعوا كلهم.

ليجعلوه كائناً)[1] أي لو اتفقوا[2] على إيجاد شيء لم يقدر[3] وجوده **(لم يقدروا عليه)** أي على[4] إيجاده.

(جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه) هذا تأكيد[5] وتحقيق لما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، وهذه[6] الألفاظ مروية ثابتة عن رسول الله بعضها بعينها وصيغتها، وبعضها[7] بالمعنى.

ويشهد العقل بصحتها لما مر من[8] البراهين على أزلية علم الله تعالى بما يكون أبداً، فوجب الاعتقاد بمضمون جميع ما ذكر.

(و) يجب **(على العبد أن يعلم)** علماً يقيناً واعتقاداً جازماً **(أن الله تعالى[9] سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً)** هذا تصريح بإثبات أزلية علم الله ومشيئته، وبإثبات القضاء بما يكون من خلقه، وبتقدير كل شيء على ما اقتضته الحكمة البالغة، من كون كل شيء على ما هو به من حسن أو قبح، أو طاعة أو معصية. فإن المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[10].

وفيه رد لغلاة المعتزلة فيما زعموا أن الله تعالى ليس[11] بعالم في الأزل، ولا يعلم أفعال العباد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) في (ج): ليجعلوه أنه كائن.
(٢) في (ج): لو اتفقوا كلهم.
(٣) في (ج): لم يقدروا، وهو خطأ.
(٤) سقطت في (أ) و (ب).
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): هذا تأكيداً.
(٦) في (ج): هذا.
(٧) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٨) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٩) في (ج): أن الله تعالى قد سبق.
(١٠) الملك: ١٤. وفي جميع النسخ أفلا يعلم، وهو خطأ.
(١١) سقطت من (ج).

(ليس فيه) أي فيما[1] قدره الله تعالى وقضاه من الأزل إلى الأبد[2] **(ناقض ولا معقب[3] ولا مزيل، ولا مغير ولا محول[4]، ولا ناقص[5] ولا زائد [من خلقه])**[6] **أي سواه (في سماواته وأرضه)** هذا إثبات الوحدانية والربوبية لله ـ عزّ وجلّ ـ في السماوات والأرض، ونفي التدبير والحكم عمن[7] سواه.

(وذلك) إشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وعلمه بالكائنات قبل خلقها[8] **(من عقد الإيمان** [٢٤ ـ ب] **وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى[9] في كتابه:** ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[10] **وقال**[11]: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[12]**)**. هذا احتجاج بأن لا خالق لشيء من العالم سوى الله تعالى، وتعميم لكل شيء يدخل تحت التخليق من أقسام العالم. ولما بالغ في إثبات القدر ووجوب الإيمان به صرح بذم من أنكره، أو نازع في نفيه، فقال:

(فويل لمن صار لله في القدر خصيماً) بإنكاره ونفيه، لقوله ـ عليه السلام ـ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات[13] منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، فهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»[14] وقوله: «لا

---

(١) في (أ) و (ب): في.
(٢) سقطت هذه الجملة بكاملها من الشرح في: (ج).
(٣) سقطت كلمتا (لا معقب) في (ب).
(٤) في (ب): ولا حول.
(٥) في (أ) و (ب): ناقض.
(٦) «من خلقه» ساقطة من (ص) و (أ) و (ب)، وأثبتها من (ج) ومن المطبوع.
(٧) في (ج): عما.
(٨) في (ب): خلقهما.
(٩) في (ج): قال الله تعالى.
(١٠) الفرقان: ٢.
(١١) سقطت من (أ) و (ب).
(١٢) الأحزاب: ٣٨.
(١٣) في (أ) و (ب): من مات، وفي (ج) ومن مات.
(١٤) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم ٤٦٩٢، وفي=

تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»[1].

(وأحضر للنظر فيه) والبحث عنه[2] طلباً للاطلاع على الغيب **(قلباً سقيماً)** سمى سقيم القلب من ارتاب فيما ثبت بالأدلة القطعية، لأن[3] مرض القلب نوعان: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردأهما مرض الشبهة، وأردأ الشبهة ما كان في أمر القدر[4].

وفي بعض النسخ: **(لمن صار قلبه في القدر قلباً[5] سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص[6] الغيب)** والبحث عنه **(سراً كتيماً)** أي طلب الوقوف على مضمون السر المكتوم، **(وعاد[7] بما قال فيه)** أي في القدر،

= سنده عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار، قال المنذري: «لا يحتج بحديثه» ورجل من الأنصار مجهول.

انظر سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي ٥: ٦٧.

وأخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة، باب في القدر، حديث رقم ٩٢، ولفظه: «إن مجوس هذه الأمة المكذبة بأقدار الله. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم». (١: ٣٥) وقال الشيخ ناصر الدين: «حسن دون جملة التسليم». (صحيح سنن ابن ماجه ١: ٢٢).

وأخرجه أحمد في مسنده ٥: ٤٠٧ بلفظه، و ٢: ٨٦ و ٢: ١٢٥ بنحوه، وكلها من طريق عمر مولى غفرة، وهو ضعيف كما سبق.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم ٣٣٨ (١: ١٤٩ - ١٥٠) من غير طريق عمر مولى غفرة، وإن كان فيه ضعف فهو يشهد لروايات عمر، فيكون الحديث حسناً لغيره بمجموع هذه الطرق.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب القدر، حديث رقم ٤٧١٠، وفي باب في ذراري المشركين، حديث رقم ٤٧٢٠. (سنن أبي داود ٥: ٨٤ و ٥: ٩١).
والإمام أحمد في مسنده ١: ٣٠.

وفي سنده حكيم بن شريك الهذلي، قال أبو حاتم: مجهول، وقواه ابن حبان. انظر ميزان الاعتدال ١: ٥٨٦، وقال ابن حجر في التقريب (١: ١٩٤): مجهول. وقال أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد إسناده صحيح، اعتماداً على ذكر حكيم هذا في ثقات ابن حبان.
وقال الشيخ ناصر الدين: إسناده ضعيف. انظر تحقيقه لشرح ابن أبي العز ص: ٣٠٤.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): فيه.

(٣) تكررت في (ج).

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): ما كان في أمر الله تعالى.

(٥) في (ج) «قلباً» ساقطة.

(٦) في (ج): في محض الغيب.

(٧) في (ج): ودعا، وهو خطأ.

من ادعاء الوقوف (**أفاكاً أثيماً**) أي كذاباً مأثوماً[1].

(**والعرش والكرسي حق**) لقوله تعالى[2]: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[3] وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[4] قيل: الكرسي هو العرش، والصحيح أنه غيره لما روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الكرسي موضع القدمين»[5] وروي أيضاً أنه قال: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة[6] من حديد بين ظهري[7] فلاة من الأرض»[8] وعن كثير من

---

(1) في (أ) و (ب): يأثوما.

(2) في (ج): «كما بيّن الله تعالى في كتابه».

(3) البروج: ١٥، وفي (ج): وهو عز وجل ذو العرش المجيد.

(4) البقرة: ٢٥٥.

(5) الصحيح في هذا الحديث أنه موقوف على ابن عباس. رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٢٧٢) وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
ورواه الطبراني في «الكبير» ١٢: ٣٩، حديث رقم ١٢٤٠٤. وقال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح. (٦: ٣٢٣).
ووهم في رفعه شجاع بن مخلد الفلاس. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١: ٥٤٩) بعد أن أورده من طريق شجاع بن مخلد أخبرنا أبو عاصم، عن سفيان، عن عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سئل النبي ـ ﷺ ـ عن قول الله عز وجل ﴿**وسع كرسيه السماوات والأرض**﴾؟ قال كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل».
كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره وهو غلط. وقد رواه وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «...» فذكره. وذكر له روايات أخرى مرفوعة لا يصح منها شيء.

(6) في (أ) و (ب): إلا لحلقة، وصححت في (أ).

(7) سقطت من (ج).

(8) ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣: ٨) من طريق يونس، قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿**وسع كرسيه السماوات والأرض**﴾ قال ابن زيد: فحدثني أبي قال: ... وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: ... الحديث.
وهذا السند ضعيف، ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، ضعفه علي بن المديني جداً، وقال أحمد والنسائي: ضعيف، وقال ابن خزيمة: هو ممن لا يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجل صناعته العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث.
انظر «التهذيب» ٦: ١١٧ ـ ١١٨، و «الميزان» ٢: ٥٦٤ ـ ٥٦٦.
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص: ٤٠٤ ـ ٤٠٥؛ من طريق الحسن ابن عرفة العبدي، عن يحيى بن سعيد السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير=

السلف أن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه .

وأما العرش، فذهب طائفة من أهل الكلام أنه مستدير من جميع جوانبه[1] ، محيط بالعالم من كل جهة، وهو الفلك التاسع المسمى بفلك[2] الأطلس، ولعل هذا ليس بصحيح لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ـ عليه السلام ـ: «فإن الناس يصعقون وأكون أول من يفيق[3]، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش»[4] .

ولأن العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، لقوله تعالى عن[5] بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[6] والقرآن إنما [نزل][7] بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، كقوله تعالى[8]: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[9] و[10] وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[11] .

= الليثي، عن أبي ذر، وقال: تفرد به يحيى. ويحيى بن سعيد السعدي قال العقيلي عنه: لا يتابع عليه. وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. انظر: «الميزان» ٤ : ٣٧٧.

ورواه عن طريق الحسن بن سفيان بن عامر، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى، كذبه أبو حاتم أبو زرعة. انظر: «الميزان» ١ : ٧٢.

(١) في (أ) و (ب) و (ج): جانبه.

(٢) سقطت في (أ) و (ب)، وفي (ج): بالفلك.

(٣) في (ج): أفيق.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى، حديث رقم ٤٣٠٨، بنحوه أثناء حديث طويل. (فتح الباري ٦: ٤٤١).

وفي باب قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ حديث رقم ٣٤١٤ بنحوه. (فتح الباري ٦ : ٤٥٠).

وفي كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، حديث رقم ٦٥١٧. (فتح الباري ١١ : ٣٦٧).

وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب رقم ٤٢، حديث رقم ٢٣٧٣، بنحوه. (صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٤).

(٥) في (ج): حكاية عن.

(٦) النمل: ٢٣.

(٧) في (ص) و (أ) و (ج): نزلت.

(٨) سقطت في (أ) و (ب).

(٩) في (ج): ويحمل.

(١٠) الحاقة: ١٧.

(١١) الزمر: ٧٥.

وأما التأويل بأن العرش عبارة[1] عن الملك فغير صحيح أيضاً، لما لا يوافق بقوله: «ويحمل عرش ربك» وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[2] وقوله: (آخذ بقائمة من قوائم العرش)، كما لا يخفى.

فالأولى ترك التأويل والاشتغال بكيفيتهما[3]، بل الواجب الاعتقاد بحقيتهما[4]، فإنما المفهوم من الكتاب والسنة أنهما من أعظم مخلوقات الله تعالى، لا يعلم حقيقتهما[5] إلا الله.

(وهو مستغن عن العرش وما دونه) غير محتاج إلى شيء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] هذا بيان أن الله خلق العرش ليس لحاجته إليه، بل له[7] في ذلك حكمة اقتضته.

(محيط بكل شيء) بالعلم والغلبة والقدرة والعظمة، لا كإحاطة الحُقة[8] باللؤلؤ لما فيه من الجوف والمكان والحلول، وكل ذلك محال في حقه[9].

(وفوقه) أي فوق كل شيء، يعني أن كل شيء تحت علمه وقدرته[10]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[11]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[12]، فيه إثبات الفوقية لله تعالى.

(وقد أعجز[13] عن الإحاطة خلقه) أي لا يقدرون بأن يحيطوا[14] به

---

(1) سقطت من (ج).
(2) هود: ٧. وسقطت كلمة «كان» في جميع النسخ.
(3) في (ب) و (ج): بكيفيتها.
(4) في (ب): بحقيتها، وفي (ج): بحقيقتهما.
(5) في (ب) و (ج): حقيقتها.
(6) العنكبوت: ٦، وجاء في جميع النسخ: إن الله غني، وهو خطأ.
(7) سقطت من (ج).
(8) الحقة وعاء صغير.
(9) «في حقه» سقطت من (ج).
(10) لو قال: يعني أنه عال على كل شيء، وكل شيء تحت علمه وقدرته، لكان أحسن.
(11) الأنعام: ١٨.
(12) النحل: ٥٠.
(13) في (ج): عجز.
(14) في (ج): يحيطون.

علماً ولا رؤية، ولا غير ذلك، بل هو محيط بكل شيء.

(واتخذ الله إبراهيم خليلاً) هذا رد للجهمية حيث أنكروا حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم أن المحبة[1] لا تكون إلا لمناسبة بين المحب[2] والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة. والجواب أن محبة الله وخلته[3] كما تليق به كسائر صفاته، وذلك أنه تعالى لما[4] اتخذ[5] إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل[6] ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فوهب[7] إسماعيل، فأخذ هذا[8] الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديم محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه وعزم على[9] فعله، ظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبة ولده نسخ الله ذلك عنه، وفداه بذبح عظيم، فصار الذبح والقربان من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة[10].

وكذا أنكر المعتزلة والجهمية حقيقة التكليم[11]، حتى روي أن بعضهم قال لأبي عمرو بن العلاء[12] أحد القراء السبعة:

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (أ) و (ب): المحبة.

(٣) في (أ) و (ب) و (ج): وخلقه، وهو خطأ.

(٤) سقطت في (ج).

(٥) في (أ) و (ب): اتخذ الله.

(٦) جملة اتخذ إبراهيم خليلاً... أثبتت في حاشية (ج).

(٧) في (ج): فوهب له.

(٨) سقطت في: (أ) و (ب) و (ج).

(٩) سقطت من (ج).

(١٠) في (ج): إلى يوم الدين.

(١١) في (ج): حقيقة كلام الله تعالى.

(١٢) أبو عمرو بن العلاء هو زبان بن العلاء التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ٦٨ هـ، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة، كان أعلم الناس بالأدب والعربية، والقرآن، والشعر. كانت دفاتره ملء بيت إلى السقف. توفي سنة ١٥٤ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣: ٤٦٦ ـ ٤٧٠؛ شذرات الذهب ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

«أريد[1] أن تقرأ: وكلم اللهَ موسى، بنصب الله ليكون موسى هو المتكلم، لا الله، فقال أبو[2] عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[3] فبهت المعتزلي[4].

فلهذا قال الشيخ:

(وكلم الله[5] موسى تكليماً) أكده بالمصدر، كما ورد في قوله تعالى مؤكداً به ليعلم أن الكلام صفة الله[6] تعالى حقيقة لا مجازاً، لأن ما يراد به المجاز لا يؤكد.

(إيماناً وتصديقاً وتسليماً) أي نؤمن إيماناً[7].

(ونؤمن بالملائكة) بأنهم أشخاص روحانية لطيفة في تركيب الحيوان[8]، ينزلون ويصعدون[9] بإذن الله، وليسوا بنجوم مسخرة، ولا بأنفس كما ذهب إليه طائفة من أهل الزيغ، وذلك لما تواترت الأخبار على هذا الوجه، ولاستجازة[10] العقل تركيب كل جوهر بأي تركيب كان، ويخلق الحياة فيه.

وهم أشخاص مكرمون، أوجدهم لحجته لا لحاجته[11]، وأوقفهم بخدمته لا لمعونته، يسبحون الليل[12] والنهار لا يفترون. بعضهم امتحن

---

(1) في (ج): أتريد.
(2) سقطت في (أ) و (ب).
(3) الأعراف: ٤٣.
(4) في (أ) و (ب) و (ج): فبهت المعتزلة.
(5) سقطت من (أ) و (ب).
(6) في (ب): صفة الله.
(7) جاءت عبارة الطحاوي في جميع النسخ: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً» وجاءت هذه العبارة في المطبوع (٢: ٣٩٤) على النحو التالي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً...» فتستقيم العبارة.
(8) في (ج): في تركيب الجواهر.
(9) في (أ) و (ب): ويصدون، وهو خطأ.
(10) في (ج): ولاستحالة العقل، وهو خطأ.
(11) في (ج): لحجة لا لحاجة.
(12) في (ج): بالليل.

بالرسالة إلى البشر، وبعضاً بالقطر والمطر، وبعضاً بكتب أعمال بني آدم، وبعضاً يقبض الأرواح، وغير ذلك.

(والنبيين) بأن الله تعالى ارتضاهم بالنبوة، واصطفاهم لتبليغ رسالته، وأكرمهم بالسفارة بينه وبين عباده بما يوحي إليهم، يدركون ذلك بما ركب الله فيهم من القوة على ذلك[1].

وليست النبوة مكتسبة، بل كانت عطية وموهبة جعلها الله فيمن شاء من عباده، كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]. وهم معصومون عن التحريف والتبديل، والفسق والضلال، وعن جميع ما يوجب العزل والاختلال.

(والكتب المنزلة على المرسلين) بأنها خطابات من الله، إما[3] سماعاً منه بلا كيف[4]، أو بلاغاً من الملك المنزل للتبليغ.

(ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين) في كل ما جاؤوا به من رب العالمين، بشهادة المعجزات الخارجة عن وسع الخلائق التي قامت على أيديهم، الثابتة بالنقل على ألسنة قوم لا يتصور منهم التواطؤ على الكذب، وبشهادة الكتاب المعجز[5] بنظمه عن الإتيان بمثل سورة منه، ولصدق إخبارهم عما كان وعما سيكون. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾[6]

وإنما وجب الإيمان بما ذكر لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[7] ولقوله ـ عليه السلام ـ في الجواب عند سؤال جبرائيل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه[8]، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره

---

(١) في (ج): فيهم على القوة على ذلك.
(٢) الأنعام: ١٢٤، وسقط لفظ الجلالة من هذه الآية في (أ) و (ب) و (ج).
(٣) في (ج): وإما.
(٤) في (ج): بلا كيفية.
(٥) في (ج): الكتب المعجزة.
(٦) الصافات: ١٧١ ـ ١٧٢، وفي (أ) و (ب) و (ج): وقد سبقت، وهو خطأ.
(٧) البقرة: ٢٨٥.
(٨) «وكتبه» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

وشره»[1]. فهذه هي الأصول التي[2] اتفقت عليها الأنبياء والرسل، فلم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباعهم.

(ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين) فيه إشارة إلى أن الإسلام والإيمان[3] واحد. والمراد بأهل القبلة من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة[4]، ولم يكذب بشيء مما جاء به الرسول[5]، وإن كان من أهل الأهواء[6]، أو من أهل المعاصي. يؤيده قوله: **(ما داموا بما جاء به النبي معترفين، وبكل ما قال وأخبر مصدقين)** لأنا نعرف منهم الاعتراف بما جاء به النبي ـ عليه السلام ـ من الدلائل والشرع، ونسمع أنهم[7] يعتقدون التوحيد والدين الحق، ونشاهدهم متمسكين بكتاب الله وشرائعه[8]، فنراعي ظواهرهم[9] ونكل إلى الله ضمائرهم، كما قال ـ عليه السلام ـ: «بعثت أتولى الظواهر، والله يتولى السرائر»[10]. وقال ـ عليه السلام ـ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم»[11].

وفي قول الشيخ إشارة إلى أن مجرد التوجه إلى قبلتنا لا يدل على حقيقة الإيمان، فإن كثيراً من الناس يتوجهون إلى قبلتنا وليسوا على[12]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب رقم ٣٧، حديث رقم ٥٠، بنحوه (فتح الباري ١: ١١٤).
وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب رقم ١، حديث رقم ١، بلفظه. (صحيح مسلم ١: ٣٦).

(٢) سقطت في (ج).

(٣) سقطت (والإيمان) من (ج).

(٤) في (ج): القبلة.

(٥) في (ج): الرسل.

(٦) في (أ) و (ب): الهواء.

(٧) سقطت من (ج).

(٨) في (ج): شريعته.

(٩) في (ج): ظاهرهم.

(١٠) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وقد أورد الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديثاً بلفظ: «نحن نحكم بالظواهر» وقال: «ـ يحتج به أهل الأصول، ولا أصل له». (الفوائد المجموعة ص: ٢٠٠).

(١١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة، باب رقم ٢٨، حديث رقم ٣٩١، مع زيادة في آخره. (فتح الباري ١: ٤٩٦).

(١٢) في (ج): في.

ديننا، كالغلاة الذين يدعون نبوة علي ـ رضي الله عنه ـ وكمن يدعي منهم أنه إله[1]، وكالقدرية، يزعمون وجود كثير من الأشياء[2] من غير مشيئة الله. وكمن يدعي الخالقية لكل فاعل مختار[3]، وكمن يزعم أن صانع العالم جسم[4] على صورة البشر. وكمن يدعي أن المحبة تزيل التكليف، وكمن يقول أن لله حلولاً واتحاداً[5] بالأنفس، ونحو ذلك من أقاويل أهل الضلالة[6] والإلحاد.

(ولا نخوض[7] في الله) أي لا نتكلم في ذات الله وصفاته من غير بصيرة، بل نتبع في ذلك ما دعانا إليه الكتاب والسنة المتواترة والمشهورة التي اعتمد عليها العلماء من غير اختلاف، ولا نذهب في ذلك إلى المقاييس[8] الناشئة من هوى[9] النفس من غير برهان من الله ورسوله وأصحابه الذين هم خلفاء الرسول ونقلة شريعته[10]، لاستحالة دخول القديم تحت القياس والمقادير. ولا تبنى[11] العقائد على أخبار الآحاد لأنها

---

(١) يقصد السبئية، أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، وغلا في علي ـ رضي الله عنه ـ فزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غلاة الكوفة، فنفاه علي إلى المدائن. فلما قتل علي زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم. وزعم بعض السبئية أن علياً في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع منهم صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين.

انظر مقالات الإسلاميين ١ : ٨٦؛ الفرق بين الفرق ص: ٢٣٣؛ التبصير في الدين ص: ٧١؛ تاريخ المذاهب الإسلامية ١ : ٣٨.

(٢) «من الأشياء» سقطت من (ج).

(٣) تكررت هذه الجملة في: (أ) و (ب)، وأضيفت عبارة: وكمن يدعي الأشياء من غير مشيئة الله.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): صانع الغير إلى جسم.

(٥) في (ج): حلول واتحاد.

(٦) في (أ) و (ب): أهل الضلال.

(٧) في (أ) و (ب): لا نحود، وهو خطأ.

(٨) في (ج): إلى القياس.

(٩) في (ج): هو.

(١٠) في (ج): شريعة.

(١١) في (ج): نبتني.

لا توجب العلم يقيناً[1]، والأصل في أسماء الله تعالى وصفاته التوقيف.

(ولا نماري في الدين) أي لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء[2] عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم[3]، لأنه في معنى الدعاء إلى

---

(1) اختلف العلماء في إفادة حديث الآحاد الصحيح العلم واليقين فبعضهم ذهب إلى أنه يفيد الظن الراجح كالإمام النووي في التقريب (تدريب الراوي ١: ١٣٢) وذهب آخرون إلى أن ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من الأحاديث المسندة يفيد العلم والقطع. ولكنا نجد أن السلف الصالح كانوا يأخذون بحديث الآحاد ـ سواء في العقيدة أو في الأحكام ـ إذا صح سنده عندهم. وشبهة الذين لا يرون الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ـ مع اتفاق الجميع على الأخذ بها في الأحكام ـ زعمهم أن أدلة العقائد لا بد أن تفيد اليقين، وأحاديث الآحاد لا تفيد اليقين بل هي ظنية، والظن لا يجوز أن يحتج به في هذا المجال، لقوله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾ [النجم: ٢٣]، ولقوله: ﴿**إن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ [يونس: ٣٦]، ونحو ذلك من الآيات التي يذم الله فيها المشركين لاتباعهم الظن. واحتجاجهم بهذه الآيات وأمثالها مردود، لأن الظن في الآيات ليس هو الظن الذي عنوه، فإن النصوص التي ردوها، ورفضوا الاحتجاج بها في مسائل العقائد تفيد الظن الراجح، والظن في الآيات المذكورة هو الشك الذي هو الخرص والتخمين، بدليل قول الله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون**﴾ [الأنعام: ١١٦]، فجعل الظن هو الخرص الذي هو مجرد التخمين، إذ لو كان الظن المنعي به على المشركين هو الظن الغالب فإنه لا يجوز الأخذ به في الأحكام أيضاً. لأن الله أنكر على المشركين الأخذ بالظن إنكاراً مطلقاً، ولم يخصه بالعقيدة دون الأحكام.

فالحق في هذه المسألة ـ والله أعلم ـ أن كل حديث آحادي صحيح تلقته الأمة بالقبول من غير نكير منها عليه، أو طعن فيه، فإنه يفيد العلم واليقين، سواء كان في أحد الصحيحين أو في غيرهما، وقد جزم بهذا البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه (١: ٩٦ ـ ١٠٤)، والإمام الشافعي في الرسالة (٣٦٩ ـ ٤٦١)، وابن حزم في الإحكام (١: ١١٩ ـ ١٣٧)، وقد توسع ابن القيم في بيان هذه المسألة وأورد الأقوال كلها وقرر المذهب الحق. انظر مختصر الصواعق المرسلة (٣٥٩ ـ ٤٤٦)، وكذلك الإمام السفاريني في لوامع الأنوار البهية (١٧ ـ ٢٠). وقد نقل عن ابن عبد البر الإجماع على الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد، كما ذكر عن ابن كثير قوله: «ثم وقفت على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات... وقال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة». (لوامع الأنوار البهية ص: ١٩).

والأدلة التي تثبت ذلك كثيرة تراجع في المصادر المذكورة. وقد أجمعت الأمة على إثبات عذاب القبر، والحوض، والميزان، وأمثال ذلك من الأمور الاعتقادية التي نقلت إلينا بخبر الآحاد.

(2) في (أ) و (ب): الهواء.

(3) في (ج) و (ب): وعلمهم.

الباطل[1]، وتلبيس الحق[2]، وإفساد الدين، وقد صح عن رسول الله[3] أنه خرج على أصحابه وهم يتمارون فقال: «أنهاكم عن هذا، إنما هلك من قبلكم المتنطعون[4] ـ أي المتعمقون ـ في الكلام»[5].

(ولا نجادل في القرآن) قيل المعنى: لا نشتغل في القراءة بتأويل أهل الزيغ ابتغاء الفتنة، حملاً على التشبيه والتمثيل والقول بالجارحة[6]، وغير ذلك. وقيل المعنى لا نجادل في وجوه القراءات[7] الثابتة، بل نقرأه[8] بكل ما ثبت وصح. وكل من المعنيين حق.

(ونشهد أنه كلام رب العالمين) ـ كما تقدم عند قوله (وأن القرآن كلام الله) ـ **(نزل به الروح الأمين)** وهو جبرائيل. سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي هو حياة القلوب، إلى الرسل من البشر، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[9]. فيه رد وقطع لفساد قول القرامطة[10] أن القرآن وجد بإلهام غريزي طبعي، وإبطال لقول

---

(١) في (ج): البطل.

(٢) في (ج): وتلبيس الحق إسناداً، وهو خطأ.

(٣) في (ج): عليه السلام.

(٤) حرفت هذه الكلمة في: أ) و (ب) و (ج).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم، باب رقم ٤، حديث رقم ٢٦٧٠، بلفظ: «هلك المتنطعون»، وقال محمد فؤاد عبد الباقي في شرح هذه العبارة: «أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم». (صحيح مسلم ٤: ٢٠٥٥).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند بلفظ مسلم. (١: ٣٨٦).

(٦) في (أ) و (ب): بالحارجة.

(٧) في (أ) و (ب) و (ج): القراءة.

(٨) في (ج): بل نقرأ.

(٩) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥. وفي جميع النسخ نزل به روح الأمين، وهو خطأ.

(١٠) هم المنتسبون إلى حمدان بن الأشع المعروف بقرمط (كان يقرمط ـ يقرب بين خطواته ـ إذا مشى في سيره) أصله من خوزستان وعرف في الكوفة سنة ٢٥٨، وأظهر بها دعوته، قتله المكتفي بالله العباسي. وهو من مؤسسي حركة الباطنية، من أشهر معتقداتهم أنهم جعلوا لكل آية من كتاب الله تفسيراً باطناً، ولكل حديث تأويلاً باطلاً. تشبه أصولهم أصول المجوس. وأباحوا لأتباعهم جملة اللذات والشهوات، فأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات، وتأولوا أركان الشريعة. فقالوا معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم، ومعنى المحرمات تحريم=

الملاحدة أن النبي كان يصوره في نفسه، فنظمه قرآناً.

(فعلمه سيد المرسلين) لأنه قد تواترت الأخبار أن جبرائيل كان يتصور في صورة إنسان[1] فيكلمه بالقرآن ويبلغه إليه.

(وهو كلام الله) تأكيد وتحقيق لما تقدم من أنه كلام الله أزلي قائم بذاته[2]، **(لا يساويه شيء من كلام المخلوقين)** لأن كلامهم محدث، ولا مساواة بين الأزلي والمحدث، **(ولا نقول بخلقه)** لما مر من أنه[3] أزلي قائم بذاته، والقول بحدوثه كفر[4].

(ولا نخالف جماعة المسلمين) لأنهم أجمعوا على أنه كلام الله غير مخلوق، وخلاف إجماع المسلمين باطل وضلال[5]. وفيه إشارة إلى[6] أن من خالف المسلمين فيما يجب اعتقاده لا يكون في الحقيقة مسلماً، [إذ][7] الإسلام هو الانقياد والتسليم في كل ما جاء الدليل وإجماع المسلمين حجة موجبة[8].

(ولا نكفر أحداً من أهل القبلة) اللام فيه للعهد، إشارة إلى ما تقدم من بيان أهل القبلة، فيكون المعنى لا نكفر أحداً من أهل الإيمان والإسلام، **(بذنب، ما لم يستحله)**[9] أي يعتقده أو يدعيه حلالاً. وإنما شرط استحلال الذنب دون ارتكابه من غير استحلال، لأنه إذا

= موالاة أبي بكر وعمر، وكل من خالف مذهب الباطنية.
انظر التبصير في الدين ص: ٨٣، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص: ٣١ ـ ٣٤.

(١) في (ج): صورة الإنسان.

(٢) «وهو كلام الله» وشرحها سقطت في (ج) وأثبتت في الحاشية. ويقول عن اعتقاد السلف في كلام الله تعالى، صاحب كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص ٦٣) «يعتقد السلف أن لله تعالى صفة الكلام، وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداء لاتصافه بها ولا انتهاء، يتكلم بمشيئته واختياره...».

(٣) سقطت من (ج).

(٤) سقطت في: (ج).

(٥) في (ج): وظلال.

(٦) في (ج): إلى ما تقدم من بيان.

(٧) في (ص) و (أ) و (ب): إذا.

(٨) في (ج): توجبه.

(٩) في (أ) و (ب) و (ج): إلا بذنب يستحله.

استحل صار راداً لحكم[1] الله، فإن التحليل والتحريم في الأصل من صفات الله، فإذا استحل ما حرمه ـ أو عكس ـ يكون منازعاً فيما تفرد به الله[2]، والمنازعة في الربوبية كفر. ولأن حرمة الذنب [تثبت][3] بدليل العقل والنقل والحكمة، فاستحلاله ينتظم الرد والتخطئة[4]، ككفر إبليس.

وأما من لم يستحل[5] فإنه يتمسك بالإيمان، ومحله القلب وباشر المعصية بجوارحه[6]، والمعصية ضد الطاعة لا ضد الإيمان، وإنما ضد الإيمان هو[7] الكفر، ومحلهما القلب، فإذا وجد أحدهما بطل الآخر، لاستحالة اجتماع الضدين في محل واحد في وقت واحد، ولا تتعدى المعصية عن[8] المحل المباشر[9] لها إلى[10] محل الإيمان بدون اعتقاد الحل[11].

وفيه رد للخوارج[12] حيث قالوا: المسلم يكفر بكل ذنب، وللمعتزلة في زعمهم أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان[13].

---

(١) في (أ) و (ب): بحكم الله.

(٢) سقطت من (ج).

(٣) في جميع النسخ: ثبت.

(٤) في (ج): والتخطئة، وهو كفر.

(٥) في (ج): وأما من كفره، وصححت في الحاشية.

(٦) في (ج): ومباشرة المعصية، والمعصية.

(٧) سقطت في: (ج).

(٨) في (أ) و (ب) و (ج): من المحل.

(٩) في (ج): المباشرة.

(١٠) في (أ) و (ب) و (ج): في.

(١١) في (أ) و (ب): اعتقاد المحبل، وفي (ج): بدون الاعتقاد المحل.

(١٢) الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ثم صاروا عشرين فرقة، يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ويقدمون ذلك على طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام ـ إذا خالف السنة ـ حقاً واجباً.

انظر المقالات ١: ٨٦ ـ ١٣١؛ الفرق بين الفرق ٧٢ ـ ١١٤؛ الملل والنحل ١١٤ ـ ١٣٧؛ التبصير في الدين ٢٦ ـ ٣٧؛ خطط المقريزي ٢: ٣٥٤.

(١٣) «من الإيمان» سقطت من (أ) و (ب).

(ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب[1] لمن عمله) هذا[2] رد على المرجئة[3] الخبيثة فيما زعموا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا[4] ينفع مع الكفر طاعة[5]، فإن زعمهم خلاف النصوص السمعية، لما ورد الكتاب والسنة بوعيد أصحاب الكبائر وتعذيبهم وشفاعتهم وعلى ذلك إجماع[6] أهل السنة والجماعة.

(ونرجو للمحسنين من المؤمنين) أي الذين غلبت حسناتهم على سيئاتهم **(أن يعفو عنهم)** سيئاتهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[7] ويقبل حسناتهم، **(ويدخلهم الجنة)** بفضله وكرمه ـ لا بإيجاب[8] حسناتهم، إذ لا يجب على الله شيء. ولذا قال[9]: (نرجو) بل لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[11]، وهو المجازاة على الإحسان بالإحسان، وعلى الإساءة بالإساءة[12].

(ولا نأمن عليهم) أن يبدو من أحدهم منهم ما يحبط عمله من كفر

---

(١) سقطت في (أ) و (ب).
(٢) في (أ) و (ب): هذه.
(٣) المرجئة هم الذين كانوا يرجئون العمل عن الإيمان، بمعنى أنهم كانوا يجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحدانيته، ولا يجعلون هذا الإيمان متوقفاً على العمل. وهم فرق مختلفة، أكثرها يرى أن الإيمان لا يتبعض، وبعضهم يقول إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي.
انظر: المقالات ١: ١٣٢ ـ ١٥٤؛ الفرق بين الفرق ١٠٢ ـ ٢٠٥؛ الملل والنحل ١٣٩ ـ ١٤٦؛ التبصير في الدين ٥٩ ـ ٦١.
(٤) سقطت من (أ) و (ب).
(٥) سقطت من (ج).
(٦) في (ج): اجتماع.
(٧) هود: ١١٤.
(٨) في (ب): إيجاب.
(٩) سقطت من (ج).
(١٠) الرحمن: ٦٠.
(١١) النبأ: ٢٦.
(١٢) من أول كلمة بل لقوله... إلى هنا أثبتت في حاشية الأصل.

أو نفاق، أو ما يحبط ثوابه من عجب[1] أو منٍ أو كبيرة[2]، فيعاقب عليها.

وفي بعض النسخ **(ولا نشهد لهم بالجنة)** أي لا نقطع لأحد معين منهم بالجنة، وكذا لأحد معين مسيء بالنار، لأن العبرة بالخاتمة وهي من عالم الغيب. ولكن نشهد بأن المؤمنين من أهل الجنة، والكافرين من أهل النار.

(ونستغفر لمسيئهم) لأن المسلمين أمروا بالاستغفار بعضهم لبعض، وكذا الملائكة والأنبياء أمروا بالاستغفار للمؤمنين، فوجب الاقتداء بهم.

(ونخاف عليهم) كما نخاف على أنفسنا، فنستغفر لهم كما نستغفر لأنفسنا، إذ المؤمنون كالجسد الواحد، بحكم الإيمان والتوحيد، قال تعالى[3] ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[4] وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[5] ولأنه مدح أهل[6] الخوف بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[7].

عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها: قالت: قلت يا رسول الله، (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)[8] أهو الذي يزني، ويشرب الخمر، ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، لكنه الرجل يصوم

---

(١) تكررت كلمة من عجب في (أ) و (ب).
(٢) في (ج): من عُجب، أو من كبيرة.
(٣) في (ب): قال الله تعالى.
(٤) الإسراء: ٥٧. وأضيفت زيادة «ربهم خوفاً وطمعاً» بعد قوله «يدعون» في (ص)، وفي النسخ الأخرى كذلك، وهو خطأ.
(٥) آل عمران: ١٧٥. وجاء في جميع النسخ: ولا تخافوهم، وهو خطأ.
(٦) سقطت من (ج).
(٧) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١، ووقعت أخطاء في الآية في جميع النسخ.
(٨) المؤمنون: ٦٠، وجاء في جميع النسخ: بما آتوا وهو خطأ.

ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»[1]. (ولا نقنطهم)[2] لأنهم على التوحيد والهدى، والقنوط من[3] أوصاف الضالين، قال تعالى[4]: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[5].

(والأمن والإياس[6] ينقلان[7] عن الملة) أي ملة الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[8]، و ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[9]، ولأنه تعالى وعد وأوعد وهو قادر عليهما، ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة، وفي الإياس عن الرحمة ظن العجز عن العفو والمغفرة[10]، وكل واحد منهما كفر.

(وسبيل الحق بينهما) المراد منه[11] الوقوف بين الخوف والرجاء إذ هو حقيقة العبودية، ثابت (لأهل القبلة) أي الذين[12] مر ذكرهم، قال تعالى[13]: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[14] وقال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[15] وقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[16]، فيه[17] دليل على أن[18]

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة المؤمنون، حديث رقم ٣٢٢٥، بلفظه. (تحفة الأحوذي ٩: ١٩).
والإمام أحمد في المسند ٦: ١٥٩ و ٢٠٥.
وابن ماجه في كتاب الزهد باب رقم ٢٠، حديث رقم ٤١٩٨. (سنن ابن ماجه ٢: ١٤٠٤)
وقد حكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالحسن. (صحيح سنن ابن ماجه ٢: ٤٠٩).
(٢) في (ج): يقنطهم.
(٣) تكررت في (ص).
(٤) في (ب): قال الله تعالى.
(٥) الحجر: ٥٦. وفي (ج): إلا الضالين، وهو خطأ.
(٦) في (أ) و (ب): اليأس.
(٧) سقطت في (أ) و (ب).
(٨) يوسف: ٨٧. وسقطت كلمة «إنه» من جميع النسخ.
(٩) الأعراف: ٩٩. وجاء في جميع النسخ: ولا يأمن، وهو خطأ.
(١٠) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(١١) في (ب): بينه.
(١٢) سقطت من (ب).
(١٣) في (أ) و (ب): قال الله تعالى.
(١٤) السجدة: ١٦.
(١٥) الإسراء: ٥٧، وسقطت (و) في جميع النسخ.
(١٦) الأنبياء: ٩٠.
(١٧) سقطت من (أ) و (ب).
(١٨) في (ج): أنه.

سبيل الحق بين الخوف والرجاء، فإنهما بمنزلة الجناحين للعبد[1] في سيره إلى الله والدار الآخرة.

(ولا يُخرج العبدَ من الإيمان إلا جحودُ[2] ما أدخله فيه) [٢٩ ـ أ] يعني أن العبد يدخل في الإيمان بالتصديق والقبول، فالخروج ـ نعوذ بالله ـ إنما يكون بالرد[3] والتكذيب. والأصل في هذا أن الدخول في الإسلام يكون بإيمان الجملة[4]، وهو التصديق بوحدانية الله وما جاء النبي به من عند الله، وجميع ما يجب اعتقاده، فلا يخرج منه إلا بجحود كله عند الإجمال، أو بجحود بعضه عند التفصيل، إذ رد بعضه كرد كله. وفيه رد على الخوارج والمعتزلة في زعمهم بخروجه من[5] الإيمان بارتكاب الكبيرة.

ثم ذكر الشيخ[6] قول فقهاء الملة في إيمان الجملة فقال: **(والإيمان)** أي الذي توقف عليه وتعلق به أحكام الإيمان[7] **(هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان)** أي الإيمان على الإجمال هو الإقرار والتصديق **(بأن جميع ما)** أنزل **(في القرآن، وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان كله حق)** اعلم أن العلماء اختلفوا فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك[8]

---

(١) في (ج): للعباد.

(٢) في (أ) و (ب): الجحود، وفي (ج): إلا بجحود.

(٣) في (ج): بالإنكار.

(٤) في (ج): بالجملة.

(٥) في (أ) و (ب) و (ج): عن.

(٦) في (أ) و (ب): التسبيح، وكتب في حاشية الأصل بخط مغاير: مطلب الإيمان.

(٧) «والإيمان» وشرحها سقطت من (ج).

(٨) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، كان يقال في زمنه لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب. وكان شديد الورع حتى قال عن نفسه ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعاً لذلك... لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه. ومسانيده أشهر من أن تذكر، وهو النجم الثاقب في أهل النقل. ولد سنة ٩٥ للهجرة وقد حمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة ١٧٩ هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤: ١٣٥ ـ ١٣٩؛ تهذيب التهذيب ١٠: ٥ ـ ٩؛ صفة الصفوة ٢) ٩٩ ـ ١٠١؛ شذرات الذهب ١: ٢٨٩.

والشافعي[1] وأحمد[2] والأوزاعي[3] وجميع المحدثين والفقهاء، وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهب كثير من الحنفية إلى ما ذكره الشيخ بقوله (هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان).

وأما ما هو الأصح[4] فهو ما ذهب إليه إمامنا الأعظم، وتبعه أبو

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، الإمام أبو عبد الله الشافعي، يجتمع مع الرسول ـ ﷺ ـ في عبد مناف وباقي النسب إلى عدنان، لقي جده شافع رسول الله ـ ﷺ ـ وهو مترعرع. ولد بغزة من بلاد الشام، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وقدم بغداد مرتين وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزل فيها إلى حين وفاته. وكان الشافعي كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين، اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وكلام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب، واللغة العربية والشعر ما لم يجتمع لغيره. ولد سنة ١٥٠ هـ. وقيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، توفي سنة ٢٠٤ هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤: ١٦٣ ـ ١٦٩؛ تاريخ بغداد ٥٦٢؛ تذكرة الحفاظ ١: ٣٦١؛ تهذيب التهذيب ٩: ٢٥ ـ ٣١؛ صفة الصفوة ٢: ١٤ ـ ١٤٧.

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام أبو عبد الله الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ. وكان إمام المحدثين، قيل إنه كان يحفظ ألف ألف حديث. وجمع في مسنده من الأحاديث ما لم يجمعها غيره، وكان من أصحاب الشافعي، وقد قال فيه خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل. ودعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم فلم يجب، فضرب و حبس. قال علي بن المديني إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة. توفي ببغداد سنة ٢٤١ هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١: ٦٣ ـ ٦٥؛ تذكرة الحفاظ ٢: ٤٣١؛ تهذيب التهذيب ١: ٧٢ ـ ٧٦؛ صفة الصفوة ٢: ١٩٠ ـ ٢٠٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو، إمام أهل الشام، ولد سنة ٨٨ وقيل ٩٣ هـ. فقيه مشهور، قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة. كان كثير الورع والتقى، وكان إذا وعظ في الميعاد لم يبق أحد من الحاضرين إلا وبكى. توفي سنة ١٥٧ هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣: ١٢٧ ـ ١٢٨؛ تذكرة الحفاظ ١٧٨ ـ ١٨٣؛ تهذيب التهذيب ٦: ٢٣٨؛ شذرات الذهب ١: ٢٤١.

(٤) هل العمل جزء من الإيمان أم لا؟

منصور الماتريدي هو أن حقيقة الإيمان تصديق قلبي بوجود الله وبكل ما جاء به الرسول من عنده. أما الإقرار فهو ركن زائد ـ وليس بركن أصلي ـ لكن أوجبه الله تعالى لإظهار ما في[1] قلبه إلى غيره من المسلمين، فجعل علامة وشرطاً لإجراء الأحكام الإسلامية عليه، إذ التصديق أمر باطن لا بد له من علامة، ثم صار خلفاً عن التصديق في أحكام الدنيا وجد التصديق أو[2] لم يوجد. فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله، وإن

= في هذه المسألة ثلاثة مذاهب رئيسية:
ـ الأول: مذهب الخوارج والمعتزلة أن الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك للعمل خارج عن الإيمان عندهما، ثم اختلفوا في خلوده في النار.
ـ الثاني: مذهب المرجئة أنه لا حاجة إلى العمل، ومدار النجاة هو التصديق.
ـ الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة، وقالوا إن الأعمال أيضاً لا بد منها، لكن تاركها مفسق ولا مكفر، فلم يشددوا فيها كالخوارج والمعتزلة، ولم يهونوا أمرها كالمرجئة.
ثم هؤلاء افترقوا فرقتين: فالجمهور على أن الإيمان مركب من الأعمال، والإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ ومن تبعه من الفقهاء والمتكلمين على أن الأعمال غير داخلة في الإيمان، مع اتفاقهم أن فاقد التصديق كافر، وفاقد العمل فاسق، فلم يبق الخلاف إلا في التعبير. فإن الجمهور وإن جعلوا الأعمال من أجزاء الإيمان، لكن لا بحيث ينعدم الكل بانعدامها، بل يبقى الإيمان مع انتفائها. وأبو حنيفة وإن لم يجعل الأعمال جزءاً للإيمان، لكنه اهتم بها وحرص عليها وجعلها أسباباً سارية في نماء الإيمان، فلم يهدرها هدر المرجئة. وقد نقل صاحب فيض الباري (١ : ٥٩) اختيار الشاه ولي الله ـ رحمه الله ـ أن للإيمان إطلاقين: الأول الإيمان الذي هو مدار الأحكام في الدنيا، ولا ريب أنه عبارة عن الاعتقاد فقط. والثاني ما هو مدار للأحكام في الآخرة وهي النجاة السرمدية والفوز بالجنات بدون عذاب، ولا ريب أنه عبارة عن مجموع الأعمال والأخلاق. ثم قال: «وهذا الذي عناه الغزالي ـ رحمه الله ـ في الإحياء، أن الإيمان المبحوث عنه في علم الكلام لا يزيد ولا ينقص».
لكننا نجد أن السلف كانوا يقصدون بالإيمان الاعتقاد والقول والعمل، كما قرر ذلك عنهم اللالكائي وغيره، فالأولى اتباعهم في ذلك، لا سيما وقد يصير مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى انتشار الفسق والمعاصي، بأن يقول أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان، ولا يبالي بما يكون منه من المعاصي.
راجع هذه المسألة في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ : ٨٣٠ ـ ٨٥١؛ الإيمان لابن تيمية ص: ٢٨١؛ عمدة القاري ١ : ١٠٢ وما بعدها؛ فيض الباري ١ : ٥٣ ـ ٥٩؛ شرح ابن أبي العز ٢ : ٤٥٩ ـ ٤٧٨.

(١) سقطت من (ص).
(٢) في (أ) و (ب): ولم يوجد.

لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا، ومن عكس فبالعكس.

وكذا العمل لا مدخل له في حقيقته أيضاً، لأنه شرط العمل والشرط خارج عن المشروط، وقد استقصينا ذلك في كتابنا ـ روضات الجنات[(١)] ـ، والشيخ ـ رحمه الله[(٢)] ـ كأنه أشار إلى هذا بقوله **(والإيمان واحد)** أي في أصله[(٣)] أي إيمان أهل السماء وأهل الأرض، وكذا إيمان[(٤)] الأولين والآخرين واحد في أصله[(٥)]، وهو التصديق بوحدانية الله، وبكل ما يجب الاعتقاد به جملة.

(وأهله في أصله) وحقيقته **(سواء)** فإن أصله لا يزيد ولا ينقص، لأنه التصديق الذي بلغ حد الجزم والإذعان، وذا[(٦)] لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان[(٧)].

---

(١) في (أ) و (ب): روضات.
وهو كتاب مختصر للمؤلف في أصول الاعتقادات، اختصر فيه أشهر المتون المنتشرة في مدارس المنطقة في علم التوحيد، وحاول أن يؤيد كل قول فيه بالأدلة، الأمر الذي دفعه إلى تأليفه حيث كانت هذه المتون المشهورة (الفقه الأكبر، عقائد الطحاوي، عقائد النسفي والسنوسي، وعقائد نقاية السيوطي) خالية من الأدلة النقلية، كما ذكر في مقدمة الكتاب. والكتاب مكتوب بالعربية وما زال مخطوطاً، إلا أن ترجمته باللغة اليوغسلافية قد طبعت وهي متداولة بين الناس هناك.

(٢) سقطت في (ج).

(٣) «أي في أصله» سقطت من (أ) و (ب)، وفي حاشية الأصل: مطلب أن الإيمان واحد.

(٤) في (ب): للإيمان.

(٥) في (ج): في أصله.

(٦) في (ب): وذلك.

(٧) هذه المسألة مبنية على الخلاف في مسمى الإيمان وقد سبق أن الخلاف بين الجمهور والإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ لفظي لا يترتب عليه فساد في الاعتقاد، حيث تكون الزيادة والنقصان عند أبي حنيفة بحسب متعلقات الإيمان، كما قال الطحاوي وإنما التفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى. وقد نقل عن السلف: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، إلا أن القرآن يدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان حيث قال تعالى: **﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾** [الأنفال: ٢] وقال: **﴿فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾** [التوبة: ١٢٤] وقال: **﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾** [التوبة: ١٢٤] وقال: **﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾** [آل عمران: ١٧٣] وقال: **﴿وصدق الله**=

وأما ما فُهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1] وأمثاله فباعتبار[2] متعلقاته عند نزول الوحي، أو[3] باعتبار ثمراته وضيائه، أو[4] قوته وضعفه، وإلى هذا أشار بقوله: (و[5] **التفاضل بينهم**) أي بين أهل الإيمان، والمراد التفاوت في أوصاف الإيمان من الثقل، والاستنارة[6] والضياء كما ورد عن النبي ـ عليه السلام ـ: «لو وزن إيمان أبي بكر وإيمان أمتي لرجح عليهم»[7]. وكما ورد: «يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان»[8]. ففيه بيان لثبوت

= **ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾** [الأحزاب: ٢٢].
وقد نقل إلينا الكثير من أقوال الصحابة والسلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه، مثل قول أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص. . . وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً»، فيذكرون الله عز وجل. وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً» (شرح ابن أبي العز ٢: ٤٨١ ـ ٤٨٢) فينبغي علينا اتباعهم في ذلك وعدم الخوض في المسألة أكثر مما نقل عنهم، والله أعلم.

(١) الأنفال: ٢، وسقطت كلمة (عليهم) في جميع النسخ.

(٢) سقطت من (ج)، وأضيفت الآيتان في هذا الخصوص في حاشية الأصل.

(٣) في (ج): وباعتبار.

(٤) في (ج): و.

(٥) في (ج): وإنما.

(٦) في (أ) و (ب) و (ج): الاستفادة.

(٧) في (أ) و (ب) و (ج): لترجح عليهم.
والحديث أورده صاحب الإحياء، وقال العراقي: «رواه ابن عدي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح». (إحياء علوم الدين ١: ٥٢).
وأورده الشوكاني في الفوائد وقال: «وسنده موقوفاً على عمر صحيح، ومرفوعاً ضعيف». (الفوائد المجموعة ص: ٣٣٥).
وانظر ما كتبه الزبيدي عن هذا الحديث في إتحاف السادة المتقين ١: ٣٢٣. وقد ذكر صاحب المقاصد الحسنة (ص: ٣٤٩) وكذلك العجلوني أن له شاهداً في السنن عن أبي بكر مرفوعاً، أن رجلاً قال يا رسول الله كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت، ثم وُزن أبو بكر، فرجح أبو بكر. . .» الحديث. فلا يصح شاهداً له. (سنن أبي داود ٥: ٣٠) وروى هذا الحديث الترمذي في كتاب الرؤيا، باب ١٠، حديث رقم ٢٢٨٨، بلفظ أبي داود كذلك، فلا يصح شاهداً لحديث المؤلف. (سنن الترمذي ٧: ٥٤).

(٨) في (أ) و (ب): زن وكذا من الإيمان، وفي (ج): ذرة من الإيمان.
والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، باب رقم ٣٣، حديث رقم ٤٤، =

التفاوت[1] في ثواب الإيمان، وذلك (**بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى**) ومِن تساوي أهله في أصله لا يلزم[2] التساوي من كل وجه، كما قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ في كتابه «العالم والمتعلم»[3] «إن إيماننا مثل إيمان الملائكة، لأنا آمنا بوحدانية الله تعالى وربوبيته، وبما جاء من عند الله، وصدقت[4] به الأنبياء والرسل. وكذا آمنا بكل شيء آمنت به الأنبياء والرسل، ولهم بعد ذلك فضائل في ثواب الإيمان وجميع العبادات، لأن الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس، كذلك فضل كلامهم وصلاتهم، وجميع أمورهم، لأنهم القادة وأمناء الرحمن، ولا يدانيهم أحد من الناس في عبادتهم وخوفهم وخشوعهم»[5] اهـ.

وعلى هذا القياس التفاضل بين عباده المؤمنين في الدرجات إنما يكون بالتقوى. (**والمؤمنون**[6] **كلهم أولياء الرحمن**) لقوله[7] تعالى: ﴿اللَّهُ

= ولفظه: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير». وفي رواية «من إيمان» بدل «من خير». (فتح الباري ١: ١٠٣).

(١) سقطت من (أ) و (ب).

(٢) في (ج): ثم لا يلزم.

(٣) كتاب «العالم والمتعلم» منسوب إلى أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وقد ذكره أكثر الذين كتبوا عن مصنفات الإمام، وهو كتاب مشهور، وله قيمة علمية، حيث تناول مسائل العقيدة المختلفة كانت تُثار في ذلك العصر. ولكن مدار الأسانيد التي روي بها الكتاب على أبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي، وقد كذبه ابن مهدي، ووهاه قتيبة شديداً، حتى قال عنه السليماني كان في عداد من يضع الحديث.

انظر: ميزان الاعتدال ١: ٥٥٧. وقد جزم صاحب فيض الباري بأنه ليس من تأليف الإمام. انظر فيض الباري ١: ٥٩.

وانظر ما كتبه المحققان ـ قلعجي والندوي ـ في مقدمة تحقيقهما لهذا الكتاب، طبعة مكتبة الهدى الأولى بحلب سنة ١٣٩٢ هـ.

(٤) في (ج): صدق.

(٥) هذا النص مركب من عدة مواضع في الكتاب، ووجدته في الصفحات التالية ص: ٥٨ و ٦٠ و ٦٥ من الكتاب بتحقيق قلعجي والندوي.

(٦) في (ج): والمؤمنين.

(٧) في (ج): كقوله تعالى.

﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2].

والولي من الولاية بفتح الواو، وهي ضد العداوة، وقيل بالكسر، هما لغتان، وقيل بالفتح النصر[3]، وبالكسر الإمارة.

فالمؤمنون[4] أولياء الله، والله وليهم، **(وأكرمهم عند الله أطوعهم[5] وأتبعهم للقرآن)**[6] أي أكرم المؤمنين هو الأطوع لله والأتبع[7] للقرآن وهو الأتقى، والأتقى[8] هو الأكرم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[9] ولقوله ـ عليه السلام ـ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب»[10].

وفي الحديث دلالة على ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر.

(وإن الإيمان) أي[11] بالتفصيل[12] **(هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر ـ خيره وشره، حلوه ومره ـ من**

---

(1) البقرة: ٢٥٧.
(2) محمد: ١١. وفي (أ) و (ب): سقط في بداية الآية.
(3) في (ب): النفس.
(4) في (أ) و (ب): والمؤمنون.
(5) في (ج): أطوعهم لله.
(6) في (أ) و (ب) و (ج): القرآن.
(7) في (ج): وأتبع.
(8) «والأتقى» سقطت من (ج).
(9) الحجرات: ١٣.
(10) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥: ٤١١، ولفظه: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. . .» وقد قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في هذا الحديث: «رجاله ثقات، وإسناده صحيح» انظر شرح ابن أبي العز ٢: ٥١٠.
(11) سقطت من (أ) و (ب).
(12) في (أ) و (ب): بالتفضيل.

الله تعالى) أعاد[1] حرف الجر في القدر اهتماماً بشأنه.

(ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من[2] رسله) في كونهم رسل الله إلى عباده، أي لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن [بهم][3]، **(ونصدق كلهم على ما جاؤوا به)** فإن من آمن ببعض وكفر ببعض كافر بالكل، لقوله[4] تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[5]. ثم ذكر قولهم في أصحاب الكبائر فقال:

(وأهل الكبائر من أمة محمد ـ عليه السلام ـ) في تخصيصهم بأمته إشعار بأن الحكم في الأمم السابقة[6] غير حكمهم.

(في النار) متعلق بقوله: **(لا يخلدون)** قدم للسجع، **(إذا ماتوا وهم موحدون)** أي على الإيمان **(وإن لم يكونوا تائبين)** لأن التوبة لا خلاف في أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب. فيه رد على الخوارج حيث زعم بعضهم أن الذنوب كلها[7] إشراك بالله، وبعضهم أن الكبائر كفر دون الصغائر. وفيه رد على المعتزلة أيضاً في زعمهم أن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان[8]. **(إذا لقوا الله عارفين)** أي مؤمنين بدلالة قوله **(إذا ماتوا وهم موحدون)**، فالمراد بالمعرفة هي المستلزمة للإيمان، فيكون تأكيداً لما قبله، ولا يبعد أن يكون المعنى عارفين بأنهم المؤمنون العاصون.

(وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم)[9]، كما

---

(١) في (ج): على، وهو خطأ.
(٢) سقطت في (ب).
(٣) في (ص) و (ج): لهم.
(٤) في (ج): ثم لقوله تعالى.
(٥) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١، وسقطت كلمة (ويقولون) في (ب).
(٦) في (ج): السالفة.
(٧) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٨) أثبتت هذه الجملة في حاشية الأصل.
(٩) في (ج): وعفا عنهم بفضله لما ذكر، وكذلك في الشرح المطبوع ص: ٥٢٤. وسقطت كلمة عنهم في: (أ) و (ب).

ذكر عزّ وجلّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]. فالغفران المعلق[2] بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله، **(وإن شاء عذبهم في النار)** بقدر جنايتهم **(بعدله)** لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء. هذا رد على المرجئة الخبيثة حيث زعموا أن المؤمن لا يدخل[3] النار.

(ثم يخرجهم منها برحمته) وفضله **(وشفاعة الشافعين من أهل طاعته)** كالرسل والأنبياء، والعلماء والصلحاء، بدلالة نصوص الشفاعة، كما مر. وفيه خروج صاحب الكبيرة من النار، فيكون رداً على المعتزلة في زعمهم التخليد.

(ويبعثهم[4] إلى جنته. وذلك) أي التعذيب بالنار، ثم الإخراج والبعث إلى الجنة، **(بأن الله مولى أهل معرفته)** المستلزمة للإيمان. فالمعنى: مولى أهل الإيمان، مطيعين كانوا أو عاصين.

(ولم[5] يجعلهم في الدارين كأهل نكرته)[6] المستلزمة للكفر. فالمعنى كأهل الكفر **(الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته)** لما دلت الدلائل على انتفاء التسوية بين المؤمن والكافر. منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[7]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[8]، وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[9]، وقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[10].

---

(١) النساء: ٤٨، وسقطت كلمة (به) في (أ) و (ب).
(٢) في (ج): المتعلق.
(٣) في (ج): لا يدخل في النار.
(٤) في (ج): ثم يبعثهم إلى الجنة.
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): فلم.
(٦) في (ج): نكرة.
(٧) محمد: ١١.
(٨) الجاثية: ٢١، وجاء في (أ) و (ب): (أم حسر... أن نخلقهم)، وهو خطأ.
(٩) القلم: ٣٥.
(١٠) ص: ٢٨. وأثبتت بعض هذه الآيات في حاشية الأصل.

(اللهم يا ولي الإسلام وأهله مكنا)[1] وفي بعض النسخ: (ثبتنا بالإسلام حتى نلقاك به) دعا به اقتداء بما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان من دعاء رسول الله: «يا ولي الإسلام وأهله مكني بالإسلام حتى ألقاك عليه»[2]. وكذا قد كان دعا[3] يوسف ـ عليه السلام ـ بمثله، حيث[4] قال: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5].

ثم شرع في بيان قول الفقهاء في معاملة أهل القبلة فقال[6]: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة) لأن الامتناع من الصلاة خلفهم يورث تهمة البدعة، والقول بإكفار[7] أهل الكبائر، وهو فاسد، حتى قيل: من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء. والصحيح أن يصليها ولا يعيدها، لأن الصحابة[8] كانوا يصلون الجمعة بالجماعة[9] خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون.

(وعلى من مات منهم) أي أهل القبلة، لأنا أمرنا بالاستغفار لأهل القبلة، والصلاة على الميت استغفار له وشفاعة. وقد أمر رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالصلاة على ماعز حين[10] زنى ورجم. وأما عدم الصلاة على قطاع الطريق وأهل البغي ـ إذا قتلوا حال المحاربة ـ فلأنهم من أهل اللعن، والصلاة ضد[11] اللعن. وأما الساعي بالفساد

---

(1) «مكّنا» هكذا في جميع النسخ، وجاء في المطبوع «مسكنا».
انظر شرح ابن أبي العز ٢: ٥٢٤.

(2) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ١٧٦، ولفظه: «يا ولي الإسلام وأهله ثبتني به حتى ألقاك». وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

(3) في (ج): دعاء.

(4) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(5) يوسف: ١٠١.

(6) سقطت من (ج).

(7) سقطت من (أ) و (ب).

(8) في (أ) و (ب): في هذا المكان طمس، وفي (ج): السلف.

(9) سقطت في (ج).

(10) سقطت من (ج).

(11) في (أ) و (ب): عند، وهو خطأ.

في الأرض فهـو[1] كقطاع الطريق، فألحق بهم في ترك الصلاة عليه.

(**ولا ننزل أحداً منهم**) معيناً باسمه أو شخصه (**جنة ولا ناراً**) أي لا نقول إن الفلان بعينه في الجنة أو في النار، لأن ذلك [٣١ ـ ب] إخبار عن الغيب وهو لا يكون إلا بطريق الوحي، ولا وحي بعد الرسول، ولأن العبرة بالخاتمة.

(**ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك**) أو من أماراته (**ونذر سرائرهم إلى الله تعالى**)، لقوله ـ عليه السلام ـ: «نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر»[2].

ولأنا نهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[4].

(**ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ـ عليه السلام ـ إلا من وجب عليه السيف**) أي بحق الإسلام، كالقصاص والردة والبغي الموجب للقتل بمقتضى الشرع.

ثم[5] ذكر قولهم في طاعة الإمام بقوله: (**ولا نرى الخروج على**[6] **أئمتنا وولاة أمورنا**) لا المتغلبين الذين لا تنعقد البيعة لهم من أهل الحل والعقد (**وإن جاروا**) لقوله ـ عليه السلام ـ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية»[7] وفي

---

(١) سقطت من (ج).

(٢) حديث «نحن نحكم بالظواهر» أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال: «يحتج به أهل الأصول ولا أصل له». (الفوائد المجموعة ص: ٢٠٠).

(٣) الحجرات: ١٢. و «إن بعض الظن» سقطت من (أ) و (ب).

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) سقطت من (ج).

(٦) في (أ) و (ب): عن.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن، باب ٢، حديث ٧٠٥٣، و ٧٠٥٤، وفي كتاب الأحكام، باب ٤، حديث ٧١٤٣. (فتح الباري ١٣ : ٥ و ١٢١) ومسلم في كتاب الإمارة، باب ١٣، حديث ١٨٤٩، (صحيح مسلم ٣: ١٤٧٧).

رواية: «فقد خلع[1] ربقة الإسلام من عنقه»[2].

ولأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد[3] أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد[4] أعمالنا، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[5]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[6]. فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة، وإصلاح العمل، فإذا أراد الرعية[7] أن يُخلّصوا من ظلم الإمام الظالم فليتركوا الظلم[8] فيما بينهم، كما روي عن مالك بن دينار[9] أنه جاء في بعض كتب الله: «أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك[10] بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، [٣٢ ـ أ] ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم»[11].

---

(١) في (أ) و (ب): خلف.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ٣٠، حديث ٤٧٥٨، ولفظه: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». (سنن أبي داود ٥: ١١٨).
وقال صاحب عون المعبود في نهاية شرح هذا الحديث: «والحديث سكت عنه المنذري». (عون المعبود ١٣: ١٠٢).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥: ١٨٠.

(٣) في (أ) و (ب): الفاسد.

(٤) في (ج): بفساد.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) الأنعام: ١٢٩.

(٧) سقطت من (أ) و (ب).

(٨) في (أ) و (ب): الظالم، وهو خطأ.

(٩) هو مالك بن دينار أبو يحيى البصري، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، ولد أيام ابن عباس، وسمع أنس بن مالك، عُرف بزهده وورعه، نقل عنه قوله: «وددت أن رزقي في حصاة امتصها لا ألتمس غيرها حتى أموت». وقال سليمان التيمي: «ما أدركت أحداً أزهد من مالك بن دينار». توفي سنة ١٢٧ هـ. وقيل سنة ١٣٠ هـ.

(١٠) سقطت من (أ) و (ب).

(١١) نسب هذا القول إلى النبي ـ ﷺ ـ ولا يصح. أورده الهيثمي وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن راشد وهو متروك». (مجمع الزوائد ٥: ٢٤٩).

(ولا ندعو عليهم) لما في الدعاء عليهم لا نعرف مصلحة[1]، وقد روي عن أنس بن مالك أنهم شكوا إليه من الحجاج بن يوسف[2] وقالوا: ألا تدعو الله لنا؟ فقال: اصبروا فوالذي نفسي بيده للذي[3] بعده شر منه، سمعته من نبيكم[4]. وكان كما قال، لأن الحجاج وإن كان ظالماً مفسداً، لكن كان يحج[5] بالناس، ويقتدي في إتيان المناسك بالصحابة، ويخطب بنفسه في الجمع، ويصلي بالناس، ثم بعده كثر الجهل في الولاة كالتزيي بزي الأعاجم، من لبس الحرير والذهب، والتلهي بلهو الأكاسرة، وترك

= وفي حاشية الأصل: وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام. فكثرة الظلم خير في الدين كالمصائب، يكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه، ويرجعون فيه إلى الله ويستغفرونه، ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو. ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الطاغية (الطغاة).

(1) في (أ) و (ب) و (ج): لا تُعرف، ولو قال لما لا تعرف المصلحة في الدعاء عليهم، لكان أحسن.

(2) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، ثم انتقل إلى الشام وما زال يظهر أمره بين الجند حتى قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف. ثم قمع الثورة في العراق وثبتت له الإمارة عشرين سنة.
وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). كان سفاكاً باتفاق المؤرخين، وكثرت الأخبار عنه في ذلك حتى قال صاحب سير أعلام النبلاء: «وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء». وقال ياقوت: «ذكر الحجاج عبد الوهاب الثقفي بسيء، فغضب وقال إنما تذكرون المساوي أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من اتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت يا حجاجاه فاتصل به ذلك فجعل يقول لبيك لبيك وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند واستنقذ المرأة...». توفي سنة ٩٥ هـ.
انظر ترجمته في: معجم البلدان ٨: ٣٨٢؛ وفيات الأعيان ٢: ٢٩ ـ ٥٤؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤٣؛ تهذيب التهذيب ٢: ٢١٠ ـ ٢١٣.

(3) في (ج): الذي.

(4) في (ب): بينكم، وهو خطأ. وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن، باب ٦، حديث ٧٠٦٨، ولفظه: «عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ». (فتح الباري ١٣: ٢٢).

(5) في (أ) و (ب): صح، وهو خطأ.

الخطب والوعظ بعرفات وأيام الجمع ونحوها.

(ولا ننزع[1] يداً من طاعتهم) لأن ذلك يفضي إلى نزع الكل عن الطاعة، فيؤدي إلى فساد عريض، من كسر شوكة المسلمين، وأطماع العدو فيهم، **(ونرى طاعتهم من طاعة الله[2] فريضة)** لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]، ولقوله ـ عليه السلام ـ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[4].

(وندعو لهم بالصلاح) لأن فيه من المصالح المتنوعة، من رجاء الإجابة، فيعم الصلاح الوالي والرعية، والتألف لقلوبهم، والتسكين لما بهم من الفساد.

(والمعافاة)[5] لما تعم بمصالح الدين والبدن، ففي صلاح دينهم صلاح دين الرعية، لأنهم حملوا الرعية على أوامر الشرع، فحازوا جزيل الثواب [٣٢ ـ ب] وجميل الذكر. وفي صلاح بدنهم قدرة على القيام بما حملوا من أمانة الله فيما استرعاهم، كقوله ـ عليه السلام ـ: «السلطان راع على الناس وهو مسؤول عنهم»[6].

(ونتبع السنة والجماعة) لأن اتباعهم هدى وخلافهم ضلال، **(ونجتنب[7] الشذوذ والخلاف والفرقة)** لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[8]، وقوله ـ عليه السلام ـ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[9].

---

(١) في (أ) و (ب): تنزع.
(٢) سقطت من (ج).
(٣) النساء: ٥٩، وجاء في (أ) و (ب): و إلى الأمر منكم، وهو خطأ.
(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام، باب ١، حديث ٧١٣٧. (فتح الباري ١٣: ١١١).
ومسلم في كتاب الإمارة، باب ٨، حديث ١٨٣٥. (صحيح مسلم ٣: ١٤٦٦).
(٥) في هذا المكان حاشية في الأصل لم أر لها علاقة بالنص.
(٦) لم أجد هذا الحديث فيما وقع تحت يدي من المصادر.
(٧) في (ج): نجتنب.
(٨) النساء: ١١٥.
(٩) تقدم تخريجه.

وعنه ـ عليه السلام ـ: «يد الله مع الجماعة، فمن شذ شذ في النار»[1]. وذلك لأن[2] سبيلهم حجة من حجج الله موجبة للعلم قطعاً، لقوله ـ عليه السلام ـ: «لا تجتمع أمتي على ضلال أبداً»[3]، فخلاف السنة والجماعة بدعة وضلال.

(ونحب أهل العدل والأمانة) وهم أهل السنة والجماعة، ومن سلك مسلكهم من المسلمين، والمتمسكون بالعدل من ولاة أمور الدين، فمحبتهم[4] من كمال الإيمان وتمام العبودية، لأنها تتضمن[5] محبة الله ومحبة رسوله، لأن[6] الله يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين. ومن كمال محبة الله أن يحب العبد من

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ٧، حديث ٢٢٥٥، ولفظه: «إن الله لا يجمع أمتي أو قال: أمة محمد ـ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار». وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال صاحب تحفة الأحوذي: «هو حديث ضعيف، لكن له شواهد». (تحفة الأحوذي ٦: ٣٨٦) وانظر في شواهده كتاب السنة لابن أبي عاصم ١: ٤٠ ـ ٤٣.

(٢) سقطت من (أ) و (ب).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ٨، حديث ٣٩٥٠، ولفظه: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم». وقال المعلق بعده: «وفي الزوائد: في إسناده أبو خلف الأعمى، واسمه حازم بن عطاء، وهو ضعيف. وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر. قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي».
(سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٣).
والحاكم في كتاب الفتن والملاحم من قول ابن مسعود، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد كتبناه مسنداً من وجه لا يصح على هذا الكتاب». ثم ذكره مسنداً في حديث أطول، وقال بعده: «هذا حديث لم نكتب بهذا الإسناد إلا حديثاً واحداً». (المستدرك ٤: ٥٠٧).
وقال العجلوني: «وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة في المرفوع وغيره...». (كشف الخفاء ٢: ٤٨٨).
ورواه ابن أبي عاصم في السنة بمعناه من أكثر من طريق، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين بالحسن، لمجموع تلك الطرق.
(كتاب السنة ١: ٤١ ـ ٤٤).

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): محبتهم.

(٥) في (ج): لأنه متضمن.

(٦) «لأن» سقطت من (ج).

أحبه[1] الله، فإن المحب يحب ما يحب[2] محبوبه، ويبغض ما يبغضه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه فهو موافق لمحبوبه في كل حال.

(ونبغض أهل الجور والخيانة) وهم أهل[3] الخلاف والعصيان، والجايرون من الولاة، والله تعالى لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين[4]، ولا يحب المستكبرين، فنحن لا نحبهم، ونبغضهم[5] موافقة لله تعالى. والحب والبغض بحسب[6] ما فيهم من خصال الخير والشر. فإن العبد [٣٣ ـ أ] قد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، وسبب الحب وسبب البغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب. وكذلك حكم العبد، فإن الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر، كما قال ـ عليه السلام ـ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: «وما ترددت في شيء أنا [فاعله][7] ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه»[8].

(ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه) هذا تحقيق وتأكيد لما تقدم من أنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله[9] ولرسوله، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، لأن من تكلم بغير علم فإنما[10] يتبع[11] هواه. وقد قال تعالى[12]: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[13]. وقال

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): من يحب الله.
(٢) «ما يحب» سقطت من (أ) و (ب).
(٣) سقطت من (ج).
(٤) «ولا يحب المفسدين» سقطت من (أ) و (ب).
(٥) سقطت من (ج).
(٦) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٧) في جميع النسخ أنا فاعل، والتصحيح من نص الحديث.
(٨) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق، باب ٣٨، حديث ٦٥٠٢، في آخر حديث طويل. (فتح الباري ١١: ٣٤٠).
(٩) في (ج): من سلم الله، وهو خطأ.
(١٠) سقطت من (ج).
(١١) سقطت من (أ) و (ب).
(١٢) في (ب): قال الله تعالى.
(١٣) القصص: ٥٠.

تعالى[1] لنبيه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾[2]، وقال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾[3]، وذلك لأن حل جميع المشكلات غير ممكن، فيجب التفويض إلى الله، ويعتقد الحقيقة في كل ما ثبت عن الله ورسوله، ويعرف يقيناً أن عقول الخلق قاصرة عن جميع الحكم البشرية، فكيف تدرك جميع الحكم الربوبية.

ثم ذكر الشيخ قول فقهاء الملة في شدة الاعتماد على ما ثبت بالنقل ـ إذا كان متواتراً أو مشهوراً[4] ـ حتى ألحقوه[5] بالعقائد، فقال **(ونرى المسح على الخفين في الحضر)** يوماً وليلة **(والسفر)**[6] ثلاثة أيام ولياليها **(كما جاء في الأثر)** فيه رد للرافضة، لما تواتر الأخبار بذلك، ولعمل الصحابة والتابعين، حتى روي عن الحسن[7] أنه قال: «أخبرني سبعون رجلاً من البدريين أنهم رأوا رسول الله[8] يمسح على خفيه»[9]. وعن أبي حسن الكرخي[10] أنه قال:

---

(1) في (أ) و (ج): وقد قال تعالى، وفي (ب): وقد قال الله تعالى.

(2) الكهف: ٢٦.

(3) الكهف: ٢٢.

(4) «أو مشهوراً» سقطت من (ج).

(5) في (ج): القوه.

(6) في (ج): وللسفر.

(7) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب، وعظمت هيبته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم، حتى قيل عنه كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً لكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وله مع الحجاج مواقف.

وقد سلم من أذاه. توفي سنة ١١٠ هـ.

انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ٦٩ ـ ٧٣؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٥٦٣ ـ ٥٨٨؛ تهذيب التهذيب ٢: ٢٦٣؛ شذرات الذهب ١: ١٣٦.

(8) في (ج): ﷺ.

(9) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار بلفظ: «أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يمسحون على الخفين». (الاستذكار ١: ٢٧٣).

(10) هو عبيد الله بن الحسين الكرخي، أبو الحسن، فقيه، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، وكان كثير الصوم والصلاة، صبوراً على الفقر والحاجة. ذكر السمعاني أن الكرخي نسبة إلى كرخ... ومنها إلى كرخ بغداد، وهي محلة بالجانب الغربي منها، =

«لأخشى الكفر على من لا يرى المسح على الخفين»[1].

وقد قرىء قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[2] بقراءتين بنصب اللام عطفاً على المغسول، وبخفضها عطفاً على [٣٣ ـ ب] الممسوح. فلما تواترت الأخبار بأن رسول الله ـ عليه السلام ـ داوم على مسح خفيه حالة التخفف حتى قبض، وداوم على غسل رجليه حالة عدم التخفف، زال[3] الإشكال، وتبين حكم القراءتين.

والمسح كما[4] يطلق ويراد به الإصابة، كذلك[5] يطلق ويراد به الإسالة، يقال تمسحت للصلاة[6]. وفي ذكر المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجل، فإن السرف معتاد فيهما.

ولما كان الحج والجهاد أمران معظمان[7] من شعائر الإسلام ـ وقد أنكرهما بعض الضالة[8] ـ ألحقوهما بالعقائد رداً[9] على المنكرين، فقال: **(والحج والجهاد)**[10] وهما عبادتان معهودتان، موضعهما الفقه، **(ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين ـ بارهم وفاجرهم ـ إلى قيام الساعة)**[11] فيه رد للرافضة حيث شرطوا العصمة للإمام، وقالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا[12] من آل محمد، وينادي مناد من السماء

= اشتهر بالنسبة إليها عبيد الله بن الحسين. مولده في كرخ ووفاته في بغداد سنة ٣٤٠ هـ. انظر ترجمته في الفوائد البهية ص: ١٠٨ ـ ١٠٩؛ الجواهر المضية ٢: ٤٩٣؛ تاريخ بغداد ١٠: ٣٥٣ ـ ٣٥٥؛ الأنساب ٤٧٩.

(١) لم أجد هذا القول للكرخي.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) في (أ) و (ب): «فالإشكال، وتبين حالة عدم التخفيف زال الإشكال».

(٤) في (أ) و (ب): لما.

(٥) في (أ) و (ب): لذلك.

(٦) في (أ) و (ب): الصلاة.

(٧) في (أ) و (ب): عظمان، وفي (ج): عظيمان.

(٨) يقصد الرافضة الذين يقولون لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد ـ ﷺ ـ وينادي مناد من السماء اتبعوه.

(٩) سقطت من (أ) و (ب).

(١٠) في (أ) و (ب) و (ج): والحج والجهاد.

(١١) في (ج): الشفاعة، وهو خطأ.

(١٢) يقصدون به إمامهم المنتظر محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب ـ في =

اتبعوه، وهو باطل. ولكونهما فرضين متعلقين[1] بالسفر لا بد من سائس يسوس الناس فيهما[2]، ويقاوم العدو. وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

(لا يبطلهما شيء) من كثرة المؤونة، والخوف الناشىء من الأراجيف[3]. **(ولا ينقضهما)** فيه رد لما ذكر عن بعض المتأخرين[4] في الحج من أنه يسقط بالخوف من قطاع الطريق، ونحوه[5].

(ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله تعالى جعلهم علينا حافظين) لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[6]، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[7] [٣٤ ـ أ] وقوله ـ عليه السلام ـ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح[8] وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم[9] ـ وهو أعلم بهم[10] ـ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم[11] وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون»[12]. وفي الحديث

= زعمهم ـ سنة ٢٦٠ هـ، أو قريباً من ذلك بسامراء ولم يخرج منه، والشيعة ينتظرون ظهوره في آخر الزمان. (عقائد الإمامية ص: ٧٦ ـ ٨٠).

(١) وفي جميع النسخ: فرضان متعلقان.

(٢) في (ج): فيها.

(٣) الأراجيف الأخبار الكاذبة المثيرة للفتن والاضطراب. (المعجم الوسيط ١: ٣٣٢).

(٤) في (أ) و (ب): المتأخر.

(٥) سقطت في (أ) و (ب).

(٦) الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

(٧) الزخرف: ٨٠.

(٨) سقطت في: (أ) و (ب).

(٩) في (ج): فسألهم.

(١٠) في جميع النسخ «بكم»، والمثبت من الصحيحين.

(١١) في (ج): أتيناهم.

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب ١٦، حديث ٥٥٥ (فتح الباري ٢: ٣٣)، وفي كتاب بدء الخلق، باب ٦، حديث ٣٢٢٣ (فتح الباري ٦: ٣٠٦)، وفي كتاب التوحيد باب ٢٣، حديث ٧٤٢٩، وفي باب ٣٣، حديث ٤٧٨٦ (فتح الباري ١٣: ٤١٥ و ٤٦١).
ومسلم في كتاب المساجد باب ٣٧، حديث ٦٣٢ (صحيح مسلم ١: ٤٣٩).

الآخر: «إن فيكم من لا يفارقكم إلا عند الجماع والخلاء، فاستحيوهم وأكرموهم»[1].

وأما وضع الحفظة فيما يرجع إلى العباد فمن الحكمة، وهي الزيادة في ترغيبهم إلى الخيرات، وتحذيرهم عن ارتكاب السيئات، ولأن في الشاهد[2] من علم أن عليه رقيباً وحافظاً يحفظ عليه أفعاله، ويراقب أحواله كان أحذر في التنبه والتيقظ[3].

(ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين) لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4]، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[5][6]. وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[7].

فإن ملك[8] الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله[9] وقضائه وقدره وحكمه، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه[10].

والأخبار في كون ملك الموت موكلاً بقبض الأرواح، وله

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب، باب ٤٢، حديث ٢٨٠١، بلفظ: «إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم». وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. (سنن الترمذي ٨: ٣٢).

في سنده ليث بن أبي سليم وهو سيء الحفظ، اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك. (تهذيب التهذيب ٨: ٣٦٥، وتقريب التهذيب ٢: ١٣٨).

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): ولأن تحذيرهم في الشاهد، وهو خطأ.

(٣) في (أ) و (ب): واليقظة.

(٤) السجدة: ١١.

(٥) جاء في (ج): جاءكم الموت.

(٦) الأنعام: ٦١.

(٧) الزمر: ٤٢.

(٨) في (ج): الملك.

(٩) في (ج): بإذن الله تعالى.

(١٠) في (أ) و (ب): بجنسه.

أعوان[1]، فمتواترة يطول ذكرها[2].

(وبعذاب القبر) ـ أي نؤمن بعذاب القبر ـ تخصيص القبر بالذكر بناء على الأغلب، وإلا من كان مستحقاً له ناله[3] نصيبه منه قبر أو لا، غرق أو صلب، أو أكله حيوان، أو احترق[4].

(ونعيمه لمن كان له) أي للعذاب أو النعيم **(أهلاً)** أي مستعداً ومستحقاً. قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[6].

وقد تواترت الأحاديث في عذاب القبر ونعيمه[7]، ويجوزه العقل أيضاً. فإن قضيات[8] العقول منقسمة إلى ثلاثة أقسام: واجب، وممتنع، وجائز. أما الواجب فذات الله وصفاته، وأما الممتنع فشريكه والولد والمثل لله، ووجود الكذب والسفه منه تعالى عن ذلك، وأما الجائز فما يكون تقدير وجوده وعدمه في العقل سواء، ويسمى هذا القسم ممكناً، فسبيل العقل فيه التوقف على ورود السمع، فإذا ورد الدليل القطعي بوجوده وجب الاعتقاد، ولزم تصديق الله ورسوله فيما أخبره، فمن هذا القبيل عذاب القبر، والبعث بعد الموت[9]، وحشر الأجساد، ووزن الأعمال، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار وما فيهما[10]، ونحوها.

(وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه[11] ونبيه على ما جاءت

---

(1) في (ج): عوان.

(2) انظر المستدرك ١: ٣٧ ـ ٣٨.

(3) في (أ) و (ب): ذاله.

(4) في (ج): احتراق.

(5) غافر: ٤٦.

(6) الطور: ٤٧، وسقطت (و) في جميع النسخ، وفي (أ) و (ب): إن الذين.

(7) في (ج): نعميه.

(8) أي قضايا العقول.

(9) سقطت كلمتا (بعد الموت) في (ج).

(10) في (أ) و (ب): فيها.

(11) سقطت من (أ) و (ب).

به[1] الأخبار عن رسول الله ـ ﷺ ـ وعن الصحابة[2] ـ رضوان الله عليهم أجمعين) منها ما ذكر[3] البخاري[4] عن سعيد[5] عن قتادة[6] عن أنس ـ رضي الله عنهم ـ أن رسول الله قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه[7]، وأنه يسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيُقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل ـ محمد ﷺ ـ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له[8]: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله مقعداً من[9] الجنة، فيراهما جميعاً...» الحديث[10]

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ

---

(1) سقطت من (ج).

(2) في (ج): وعن أصحابه.

(3) في (أ) و (ب): منها ذكره.

(4) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ـ ﷺ ـ صاحب ـ الجامع الصحيح ـ المعروف بصحيح البخاري. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. توفي سنة ٢٥٦ هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤: ١٨٨ ـ ١٩١؛ تاريخ بغداد ٢: ٤ ـ ٣٤؛ تذكرة الحفاظ ٢: ٥٥٥؛ تهذيب التهذيب ٩) ٤٧ ـ ٥٥؛ هدي الساري مقدمة فتح الباري ص: ٤٧٧ ـ ٤٩٣.

(5) سعيد بن أبي عروبة، مهران اليشكري، مولاهم، أبو النضر البصري، حافظ للحديث، قال الذهبي: «إمام أهل بصرة في زمانه». توفي سنة ١٥٦ هـ.
انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ٢: ١٥١ ـ ١٥٣؛ تهذيب التهذيب ٤: ٦٣ ـ ٦٦.

(6) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، مفسر، حافظ، ضرير، أكمه، كان تابعياً وعالماً كبيراً، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة، وأيام العرب والنسب. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤: ٨٥؛ طبقات ابن سعد ٧: ٢٢٩ ـ ٢٣١؛ ميزان الاعتدال ٣: ٣٨٥؛ تهذيب التهذيب ٨: ٣٥١ ـ ٣٥٦.

(7) سقطت في (ج).

(8) سقطت في (أ) و (ب).

(9) سقطت من (ج).

(10) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ٦٧، حديث ١٣٣٨، مع زيادة في آخره، وفي باب ٨٦، حديث ١٣٧٤ (فتح الباري ٣: ٢٠٥ و ٢٣٢).
ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ١٧، حديث ٢٨٧٠. (صحيح مسلم ٤: ٢٢٠٠).

﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1] [٣٥ ـ أ]، أن هذا في سؤال منكر ونكير[2]، وهذا من باب الخبر[3]، فإذا تواتر عمن يخبر عن الوحي وجب قبوله والاعتقاد به.

ولا تكلم في كيفيتها، إذ ليس للعقل وقوف على كيفية[4] التعذيب والنعيم، وكيفية السؤال للميت في هذه[5] الدار، لأن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل[6] تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فلا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

وذلك لأن الدور ثلاثة[7]: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، فجعل الله تعالى لكل دار أحكاماً تخصها. فأحكام الدنيا على الأبدان وإنما الأرواح تبع لها، وأحكام البرزخ كأحوال القبر على الأرواح، وإنما الأبدان تبع لها، وإذا كان يوم حشر الأجساد صار الحكم ـ من النعيم والعذاب ـ على الأرواح والأجسام جميعاً. وتعلق الأرواح بالأبدان في كل دار على وجه مخصوص[8]، وأكمل تعلقها[9] بها يوم بعث الأجساد، إذ بعده لا يقبل البدن نوماً ولا موتاً ولا فساداً. فإذا تأملت هذا المعنى ـ حق التأمل ـ ظهر لك أن قوله ـ عليه السلام[10]: **(والقبر روضة من**

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) ذكر تفسير هذه الآية ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، وقال: «ذكر بعض الفقهاء أن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير، وأن اسم اللذين يسألان المطيع مبشر وبشير» (فتح الباري ٤: ٢٣ ـ ٢٣٧). وجاء ذكر منكر ونكير في رواية الترمذي لهذا الحديث في كتاب الجنائز، باب ٧١، حديث ١٠٧٧، وقال بعده: «حديث حسن غريب». (تحفة الأحوذي ٤: ١٨١ ـ ١٨٤).
وكذلك ابن أبي عاصم في السنة ٢: ٤١٦، وحسن إسناده الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٣) في (أ) و (ب): الخير.

(٤) «إذا ليس للعقل وقوف على كيفية» تكررت في (ب).

(٥) في (أ) و (ب) و (ج): هذا.

(٦) سقطت من (ج).

(٧) كتب في هذا المكان في حاشية الأصل: مطلب: الدور ثلاثة.

(٨) في (ج): على وجهه المخصوص.

(٩) في (أ) و (ب): تعلقاتها بها، وفي (ج): تعلقتها.

(١٠) في (ج): ﷺ.

رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران)[1] مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية[2] فيه، وبذلك يتميز المؤمنون[3] بالغيب من غيرهم.

ثم يجب أن يعلم أن النار في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله[4] يحمي عليه[5] التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتى تكون أعظم [حراً][6] من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى[7] جنب صاحبه، وهذا في حفرة [٣٥ ـ ب] من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه[8].

وقدرة الله أوسع من ذلك لكن[9] لا يطّلع على ذلك[10] إلا من شاء من عباده، إذ لو اطلع العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن[11] الناس. كما رُوي عن رسول الله ـ عليه السلام ـ أنه قال: «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[12]، ولانتفاء هذه الحكمة في البهائم تسمعه.

---

(1) في (ص): النار، ورواه الترمذي في أبواب صفة القيامة، حديث ٢٥٧٨، وقال بعده: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال الشارح: قال المنذري: رواه الترمذي والبيهقي كلاهما من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي وهو واه». (تحفة الأحوذي ٧: ١٥٧ ـ ١٦٠).

(2) في (ج): وأنه حق لأمر الله فيه، وهو خطأ.

(3) في (ج): المؤمن، وهو خطأ.

(4) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(5) سقطت في (أ) و (ب).

(6) سقطت من (ص) و (أ) و (ب).

(7) في (ج): في.

(8) في (ج): من لذة تنعمه.

(9) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(10) «لكن لا يطلع على ذلك» سقطت من (ج).

(11) في (أ) و (ب) و (ج): ولا تدافن.

(12) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ١٧، حديث ٢٨٦٧. (صحيح مسلم ٤: ٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠).

ثم سؤال القبر هل هو مختص بهذه الأمة أم لا؟ فيه ثلاثة أقوال، الثالث التوقف[1]. وكذا في سؤال الأطفال.

ثم عذاب القبر نوعان[2]: منه ما هو دائم، لقوله تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[3]، ولحديث البراء بن عازب[4] في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»[5].

ومنه ما يكون زماناً ثم ينقطع، وهو عذاب بعض عصاة المؤمنين الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه.

ثم هو للبدن والروح جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة.

واختلفوا في مقر الأرواح بعد الموت إلى قيام الساعة[6] اختلافاً كثيراً يطول ذكرها، لكن ما يتلخص من أدلتهم أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت. منها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وهم متفاوتون في منازلهم أيضاً.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء ـ لا كلهم ـ بل من الشهداء[7] من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه[8].

---

(1) في (ج): المتوقف. وانظر هذه المسألة في كتاب الروح لابن القيم ص: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(2) كتب في هذا المكان في حاشية الأصل: مطلب عذاب القبر.

(3) غافر: ٤٦.

(4) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي، أبو عمارة، المدني الصحابي، ابن الصحابي. نزل الكوفة ومات بها زمن مصعب بن الزبير سنة ٧٢ هـ. وهو الذي استصغره النبي ـ ﷺ ـ يوم بدر. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٤٢٥؛ شذرات الذهب ١: ٧٧.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ٢٧، حديث ٤٧٥٣. (سنن أبي داود ٥: ١١٤ ـ ١١٦).
وصححه الحاكم. (المستدرك ١: ٣٧ ـ ٤٠).

(6) كتب في حاشية الأصل بخط مغاير: مطلب الأرواح بعد الموت. وانظر هذه المسألة في «كتاب الروح» ص: ١٣٤ ـ ١٧٣.

(7) «بل من الشهداء» سقطت من (أ) و (ب).

(8) في (ج): عليها.

ومنها من يكون محبوساً على باب الجنة، ومنها من يكون محبوساً في قبره، ومنها من يكون محبوساً في الأرض. ومنها أرواح تكون في[1] تنور[2] الزناة والزواني. ومنها أرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك ثبت بالحديث[3].

(ونؤمن بالبعث) بعد الموت، لاتفاق الرسل والأنبياء كلهم على البعث بعد الموت. فإن الكتب السماوية كلها ناطقة بقيام الساعة وبعث أهلها بعد موتهم وفنائهم.

ولدلالة الحكمة على ذلك، وهو أنه لولا البعث لكان خلق السماوات والأرض عبثاً، إذ الإيجاد والإعدام، والبناء والهدم بلا عاقبة سفه، وتعالى الصانع الذي ملأ كل شيء دلالة وحكمة عن[4] أن يكون صنعه سفهاً، لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[5]. ثم نزه ذاته القديم عن أن يكون صنعه عبثاً بقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[6]. ولأنه ممكن عند العقل أيضاً، فإن البعث ليس إلا إعادة الهيئة الأولى في الجسم، بجميع صفاته بعد تفرق الأجزاء، وتغيير الهيئة. ومن قدر على إنشاء شيء بعد إن لم يكن شيئاً، كان قادراً على إعادته إلى تلك الحالة بالطريق الأولى، وذلك بأن يجمع الأجزاء المتفرقة، ويخلق فيها الحياة.

وقد تأيد هذا بالقواطع السمعية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[7]، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن

---

(١) سقطت من (ج).
(٢) هذه الكلمة محرفة في (أ) و (ب).
(٣) يشير إلى الحديث المشهور، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ٩٣، حديث ١٣٨٦. انظر فتح الباري ٣: ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(٤) سقطت في (أ) و (ب) و (ج).
(٥) المؤمنون: ١١٥، وسقطت (لا) في (أ) و (ب).
(٦) المؤمنون: ١١٦.
(٧) يس: ٧٩، وجاء في جميع النسخ: قيل يحيي الذي...

﴿يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[1]، وقوله[2]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[3] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[4]. وقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5][6]، إلى غير ذلك.

(وجزاء الأعمال يوم القيامة) أي نؤمن بجزاء الأعمال، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[7]، وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[8]. وذلك لأن الدنيا لا تصلح أن تكون دار الجزاء، لأنها جعلت دار المحنة[9]. والأصل في محنة أهلها بالأوامر والنواهي هو الإيمان بالغيب بشهادة الآيات والدلائل، والانتهاء عن الكفر والخلاف، عن اختيار في الإتيان والترك.

فخلق الحياة والموت ليبلوهم أيهم[10] أحسن عملا[11]، لإظهار ما في الأزل من وجود مؤمن وكافر، كما قال: ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[12]، وقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[13].

والإيمان واجب على التأبيد، والكفر حرام على التأبيد، فجعل جزاءهما على التأبيد، لقوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[14]. فلو كان وقوع ابتداء

---

(1) يس: ٨١. وقد جاء في جميع النسخ: «بقادر على أن يحيي الموتى»، وهو خطأ. ولعله أراد قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [الأحقاف: ٣٣].

(2) في (ج): وقوله تعالى.

(3) زاد في (ج): ثم من علقة. الحج: ٥.

(4) الحج: ٧.

(5) في (أ) و (ب) و (ج): لم، وهو خطأ.

(6) التغابن: ٧، وجاء في (أ) و (ب): بما علمتم.

(7) الطور: ١٦، وجاء في جميع النسخ: بما كنتم.

(8) السجدة: ١٧.

(9) في (ب): دار محبة.

(10) في (ج): ليبلوكم أيكم.

(11) لقوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك: ٢].

(12) التغابن: ٢. وبدايتها: هو الذي خلقكم.

(13) الإنسان: ٣.

(14) النبأ: ٢٦.

الجزاء المؤبد في الدنيا بطلت المحنة عن اختيار، وكان الإيمان اضطرارياً[1] بمعاينة العذاب، وقد قام الدليل القطعي على أن الإيمان لا ينفع عند معاينة البأس، فجعل في دار البقاء. ولذلك يوم القيامة يوم الجزاء. قال تعالى[2]: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3] أي يوم الجزاء، وقال[4]: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[5].

(والعرض والحساب) لقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾[6]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[7]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[8]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[9]، وقوله: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[10].

(وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب) لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[11]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[12].

(والصراط) وهو جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر[13]، أي ونؤمن بالصراط، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا

---

(1) في (ج): اضطراري.
(2) في (ب): قال الله تعالى.
(3) الفاتحة: ٤.
(4) سقطت من (ج).
(5) الشورى: ١٨.
(6) الكهف: ٤٨.
(7) الحاقة: ١٨.
(8) الأنبياء: ٤٧.
(9) إبراهيم: ٤١.
(10) الرعد: ٤١.
(11) الكهف: ٤٩.
(12) الانشقاق: ٧ ـ ٨.
(13) كما جاء في حديث طويل أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، وفيه: «... ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، =

وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

(والميزان) لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[3]، وكل ذلك معلوم والكيف مجهول، لكن من تأمل بعقله حق التأمل في خلقته من ماء مهين[4]، وفي كون السماء في الهواء، والسحاب الثقال بين السماء والأرض، وعليه بحور الماء، بلا علاقة من فوق، وعمد من تحت، عرف أن الله تعالى قادر على الإمشاء على الصراط المذكور، وعلى غير ذلك من الوزن والحساب، ونحوها، وأنه[5] لا يعجزه شيء. فوجب الإيمان بكل ما جاء به الكتاب والسنة المتواترة، والاعتقاد بحقيه[6] المراد، لا الاشتغال بكيفية ذلك.

(والجنة والنار مخلوقتان)[7] أي موجودتان الآن. فيه رد للمعتزلة[8]، والقدرية في زعمهما أنهما غير موجودتين، بل يُنشئهما الله يوم القيامة[9]، وهو باطل، لقصة آدم وحوى، و[10] لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[11]، وقوله عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[12]، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ

= ومنهم من يمر كشد الرجل، ويرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم...». وقال بعده: «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ». (المستدرك ٢: ٣٧٦ ـ ٣٧٧، و ٤: ٤٩٠ ـ ٥٩١).

وقال في مجمع الزوائد (١٠: ٣٤٠ ـ ٣٤٣): «رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة».

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢. وانظر المراد بالورود في هذه الآية درء تعارض العقل والنقل ٧: ٤٩ ـ ٥١.
(٢) الأنبياء: ٤٧.
(٣) الأعراف: ٨.
(٤) سقطت من (أ) و (ب).
(٥) سقطت كلمتا (وأنه) في (ب).
(٦) في (ج): بحقيقة.
(٧) في (ج): مخلوقان.
(٨) في (ج): فيه رد على المعتزلة.
(٩) انظر حادي الأرواح ص ١١ ـ ١٩.
(١٠) سقطت في (أ) و (ب) و (ج).
(١١) النجم: ١٤.
(١٢) آل عمران: ١٣٣.

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[1]، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، و[3] قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[4]، ولقوله ـ عليه السلام[5] ـ: «لما خلق الله[6] الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة وقال: اذهب وانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحُفّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال: ثم أرسله إلى النار وقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي تركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر، فرجع فقال: «وعزتك[7] خشيت أن لا ينجو أحد إلا دخلها»[8]. ونظائر ذلك كثيرة[9] في السنة.

(لا تفنيان ولا تبيدان أبداً)[10] وكذا أهلهما[11]، لقوله تعالى:

(١) الحديد: ٢١.
(٢) آل عمران: ١٣١.
(٣) سقطت في (أ) و (ب).
(٤) النبأ: ٢١ ـ ٢٢. وسقطت كلمة «مآبا» من (ص) و (أ) و (ب).
(٥) في (ج): وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم.
(٦) سقطت من (ج).
(٧) في (أ) و (ب): تكرار لجمل الحديث.
(٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ٢٥، حديث ٤٧٤٤، نحوه. (سنن أبي داود ٥: ١٠٨).
والترمذي في أبواب صفة الجنة، باب ٢١، حديث ٢٥٦٣، بلفظه، وقال بعده: «هذا حديث حسن صحيح». (سنن الترمذي ٧: ٢٣٧ ـ ٢٣٨).
والنسائي في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بغير الله تعالى، بلفظه. (سنن النسائي ٧: ٣ ـ ٤).
والإمام أحمد في المسند ٢: ٣٣٢ ـ ٣٣٣؛ و ٣٥٤ و ٣٧٣.
(٩) في (ج): كثير.
(١٠) سقطت من (ج).
(١١) في (أ) و (ب) و (ج): أهلها.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾[1]، ولقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾[2] ولأن الجنة أعدت للمؤمنين لإيمانهم على التأبيد فجعلها جزاء على التأبيد، كما مر لقوله: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾[3].

وكذا النار، لقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ [٣٨-أ] هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾[5] وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ [وَهُمۡ][6] فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾[7]، وقوله ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾[8] وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾[9]، ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[10]، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[11][12].

ولما ورد[13] في الحديث ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»[14]. والأدلة من السنة على أبديتهما ودوامهما أكثر من أن تُحصى.

وبقاؤهما[15] ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله تعالى لهما[16]، وعلى هذا قول[17] جمهور الأئمة من السلف والخلف.

---

(١) البينة: ٨، وسقطت كلمة عدن من جميع النسخ.
(٢) الرعد: ٣٥.
(٣) النبأ: ٢٦.
(٤) البقرة: ٨١.
(٥) المائدة: ٣٧.
(٦) سقطت من جميع النسخ.
(٧) الزخرف: ٧٥.
(٨) النبأ: ٣٠.
(٩) النساء: ١٦٩.
(١٠) الحجر: ٤٨.
(١١) في (ج): وما هم.
(١٢) البقرة: ١٦٧.
(١٣) في (ج): ولما روي.
(١٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «وأنذرهم يوم الحسرة»، حديث ٤٧٣٠. (فتح الباري ٨: ٤٢٨).
ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ١٣، حديث ٢٨٤٩. (صحيح مسلم ٤: ٢١٨٨).
(١٥) في (ج): ويقال وهماً، وهو خطأ.
(١٦) سقطت من (ج).
(١٧) سقطت من (ج).

وأما القول ببقاء الجنة وفناء النار[1] فقول بعض السلف[2] والخلف.

وأما القول بفنائهما جميعاً فقول جهم بن صفوان[3] ـ رئيس[4] المعطلة ـ وليس له سلف قط، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من[5] أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، ولا خلف، بل أنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به[6].

(فإن الله خلق الجنة والنار قبل الخلق)[7] هذا تصريح[8] منهم بأنهما[9] مخلوقتان موجودتان الآن، وقد مرت[10] الأدلة القطعية.

(وخلق لهما أهلاً) لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[11]. ولقوله ـ عليه السلام ـ: «يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً،

---

(١) في (ج): النيران.

(٢) ما يُروى عن بعض السلف من القول بفناء النار ـ إن صح ـ فقول ضعيف مرجوح مخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار أبد الآباد، كما مر.

(٣) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب. قال الذهبي: «الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً».

من معتقداته: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، دون سائر الطاعات، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله، وأن الإنسان مجبر على أفعاله. قبض عليه نصر بن سيار وأمر بقتله، فقتل سنة ١٢٨ هـ.

انظر ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٥: ٣٤٤؛ ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦؛ خطط المقريزي ٢: ٣٤٩؛ لسان الميزان ٢: ١٤٢؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول، الجزء الرابع، الصفحة ٢١.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): رأس.

(٥) سقطت من (ج).

(٦) في (ب): وكفروا به.

(٧) في (ج): قبل خلق الخلق.

(٨) في (أ) و (ب): صريح.

(٩) في (ج): فإنهما.

(١٠) في (ج): مر.

(١١) الأعراف: ١٧٩.

خلقهم لها وهم في أصلاب[1] آبائهم، وخلق أهل النار وهم[2] في أصلاب آبائهم»[3]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4].

(فمن شاء منهم للجنة ـ فضلاً منه ـ ومن شاء للنار ـ عدلاً منه ـ)

كقوله[5] تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[6]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[7]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8]. ولقوله ـ عليه السلام[9] ـ: «لا يدخل أحد[10] الجنة إلا برحمة الله. قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني[11] الله برحمته»[12]، ولأن ما سواه عباده وملكه حقيقة ـ ملك تخليق وإيجاد. وفي الشاهد لا يجب للعبد على سيده جزاء بما عمله، لأن منافعه على ملكه، ومعلوم أن العبد في الشاهد ملك لسيده مجازاً لا[13] حقيقة.

وأما قوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[14]، ونحوه، فبأنه تعالى جعل

---

(١) في (أ) و (ب): أصحاب.
(٢) «وهم» سقطت من (أ) و (ب).
(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر، باب ٦، حديث ٢٦٦٢. بلفظه مع قصة في أوله. (صحيح مسلم ٤: ٢٠٥٠).
(٤) الإنسان: ٣.
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): لقوله.
(٦) الحديد: ٢١.
(٧) البقرة: ١٠٥.
(٨) البقرة: ٢٥١. وجاء في جميع النسخ: والله ذو الفضل على العالمين، وهو خطأ.
(٩) في (ج): ﷺ.
(١٠) سقطت من (ج).
(١١) في (ج): يتعهدني، وهو خطأ.
(١٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ١٩، حديث ٥٦٧٣، بنحوه. (فتح الباري ١٠: ١٢٧) وفي كتاب الرقاب باب ١٨، حديث ٦٤٦٣، و ٦٤٦٧. (فتح الباري ١١: ٢٩٤).
ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ١٧، حديث ٢٨١٦، بنحوه. (صحيح مسلم ٤: ٢١٦٩ ـ ٢١٧١).
(١٣) سقطت من (أ) و (ب).
(١٤) السجدة: ١٧.

الثواب بإزاء العمل، كرماً وفضلاً وجوداً ورحمة، فبطل قول المعتزلة أنه يجب على الله أن يفعل بالعباد ما هو الأصلح لهم في الدين[١].

وأما كون جعله النار[٢] عدلاً، فلأنه تصرف في ملكه بما سبق في علمه الأزلي بمن يكفر ويخالف أمره، إذاً[٣] وجد وبلغ التكليف، عن اختيار، لا مضطراً، فخلقه لما علم، وحكم له بالنار، وتعذيبه على ترك الأمر وارتكاب المنهي، فكان فعله عدلاً وحكمة.

(وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى[٤] ما خلق له) هو[٥] مضمون قوله: **(كل ميسر لما خلق له)**[٦].

(والخير والشر مقدوران على العباد) قد مر هذا بالتفصيل، وإنما أعاده تأكيداً ومبالغة في إثبات القضاء والقدر.

أما في تخليق الشر فوجوه من الحكمة. منها: كمال القدرة، إذ القادر على إيجاد الضدين يكون موصوفاً بكمال القدرة، وهو شرط الألوهية.

ومنها الدلالة على أنه تعالى ما أوجد العالم للانتفاع، فإنه لو لم يوجد إلا[٧] الخير لكان ربما يتوهم[٨] متوهم أنه[٩] خلق العالم لمنافعه. ومنها أنه لا يتضرر بالأشرار والعصاة، لأن من علم أن مفعوله يضره لا يفعله فكان في خلقه[١٠] الشر دلالة أنه لا يتضرر بالعصاة ولا ينتفع بالأولياء.

(والاستطاعة) [٣٩ ـ أ] والقدرة، والطاقة، والوسع، ألفاظ متقاربة.

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ص: ٢٤٩ ـ ٢٥١.
(٢) في (أ) و (ب) و (ج): للنار.
(٣) في (ج): إذ.
(٤) في (ج): صاير ما خلق له.
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): وهو.
(٦) إشارة إلى حديث تقدم تخريجه.
(٧) سقطت من (ج).
(٨) في (ج): فيوهم.
(٩) في (أ) و (ب) و في (ج): سقطت جملة «أنه خلق العالم».
(١٠) سقطت في (أ) و (ب).

(ضربان) عند عامة أهل السنة، وهو القول الوسط.

(أحدهما) استطاعة وقدرة باطنة، وهي **(الاستطاعة التي يوجد بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به)** لأنه تعالى يُحدثها مقرونة بالفعل. فمع الطاعات[1] تُسمى توفيقاً ـ كما صرح به ـ وفي المعاصي تُسمى خذلاناً.

(فهي) أي هذه الاستطاعة الباطنة **(مع الفعل)** باتفاق أهل السنة والجماعة، بها يظهر حقيقة العبودية، لافتقار العبد إلى الله تعالى في كل[2] لمحة ولحظة.

(ولا يتعلق بها أحكام الشرع) لأنها باطنة، قبل وجودها معدومة، وبعد وجودها خفية، لا يقف العبد عليها، ولا يبقى زمانين، لأنها عرض[3]، فالقول[4] بتعلق الأحكام بها قول بما ليس في وسع العبد. فقول المعتزلة، والقدرية بتقديم هذه القدرة على الفعل[5] قول فاسد، لأنه قول باستغناء العبد عن الله تعالى، وذلك محال.

وفيه أيضاً إهدار أحكام الشرع، لأن الأمر إن ورد قبل وجود هذه القدرة يكون تكليفاً قبل وجود القدرة، والقول به فاسد، لأنه تكليف العاجز. وإن ورد حالة وجودها ـ وهي لا تبقى زمانين ـ فيبقى الحكم متعلقاً[6] بغير قدرة، وهو كالأول. أو ورد بعد وجودها فيصير وارداً حيث لا قدرة، وهو فاسد، فيبقى الحكم هدراً.

(وأما) ثانيهما **(الاستطاعة من جهة الصحة، والوسع، والتمكين، وصحة الآلات)** وهي قدرة واستطاعة ظاهرة **(فهي [٣٩ ـ ب] قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب)** بتكليف أحكام الشرع، وهي تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها ـ عند من يقول ببقاء الأعراض ـ وإما بتجدد

---

(١) في (أ) و (ب): في الطاعات.
(٢) في (ج): في كل حين ولمحة.
(٣) في (أ) و (ب): عوض، وهو خطأ.
(٤) في (ج): ثم فالقول.
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): على فعل، وانظر مقالات الإسلاميين ص: ٢٣٠ ـ ٢٣٨.
(٦) في (ج): ففي الحكم متكلفاً، وهو خطأ.

أمثالها[1] عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين.

وأوامر الله مشروطة بهذه القدرة، ولذا احتج[2] بقوله: كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] وإنما ذكر الشيخ الاستطاعة بقسميها رداً[4] على المعتزلة والقدرية، كما مر.

ثم ذكر أفعال العباد فقال: **(وأفعال العباد)** أي الاختيارية التي يثابون بها، ويعاقبون عليها، يعني أن[5] إضافة الفعل إلى العباد حقيقة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[7]. لكنها كلها **(خلق الله)** أي مخلوقة لأنه منفرد[8] بالخالقية، لا خالق سواه، لقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[9]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[10]. فيه رد على المعتزلة في زعمهم أن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات مخلوقة[11] لفاعلها[12]، يعني جعلوا كل فاعل مختار خالقاً لأفعاله، وهو إثبات خالق غير الله.

وكذا القدرية ـ من نفاة القدر ـ جعلوا العباد خالقين، ولذا كانوا مجوس هذه الأمة ـ كما مر ـ بل هم أردأ من المجوس، فإن المجوس أثبتت خالقين[13]، وهم أثبتوا خالقين كثيرين. واستدلالهم بقوله[14]

---

(1) هذا السطر قدم في (أ) و (ب) قبل نص المتن، فوقع في غير محله.
(2) في (أ) و (ب): أصح، وهو خطأ.
(3) البقرة: ٢٨٦.
(4) في (ج): رد.
(5) سقطت من (ج).
(6) هود: ٣٦. ووقع الخطأ في الآية في جميع النسخ.
(7) البقرة: ٩٧.
(8) في (أ) و (ب) و (ج): مفرد.
(9) الزمر: ٦٢.
(10) الصافات: ٩٦.
(11) في (ج): مخلوقاً.
(12) انظر «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.
(13) في (ج): أثبت الخالقين.
(14) في (أ) و (ب) و (ج): قوله.

تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2].
وقالوا: الجزاء[3] مرتب على الأعمال ترتب عوض.

والجواب عن[4] الأول: قد يُذكر «الخلق»[5] ويراد التصوير والتقدير، فمعنى الآية: أحسن المصورين والمقدرين، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ[6] كُلِّ شَيۡءٖ﴾[7] أي كل شيء مخلوق[8]، فدخلت[9] أفعال العباد في عموم «كل». وعن الثاني: الباء فيه باء السبب، أي بسبب عملكم، والله خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

(وكسب من العباد) باختيارهم الجزئي، ولذا يثابون بها ويعاقبون عليها، لأن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله من[10] نفع أو ضرر، لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾[11] يعني كلما أرادوا فعلاً وباشروا باختيارهم خلقه الله، فكان كسباً لهم، ومخلوقاً لله[12].

---

(١) المؤمنون: ١٤.
(٢) السجدة: ١٧.
(٣) في (ج): جزاء.
(٤) في (ب): على.
(٥) في (أ) و (ب): الخالق.
(٦) سقطت من (ج).
(٧) الزمر: ٦٢، وجاء في جميع النسخ: (والله).
(٨) في (أ) و (ب): أي كل العباد مخلوق. وسقطت كلمة «شيء» من (ج).
(٩) في (ج): قد خلت.
(١٠) سقطت من (ج)، وفي (أ) و (ب): مع.
(١١) البقرة: ٢٨٦.
(١٢) لفظ الكسب في مسألة أفعال العباد مشهور عن الأشعرية الذين حاولوا الجمع بين قول الجبرية والقدرية، فقالوا: قدرة العبد وإن لم تؤثر في وجود الفعل فهي مؤثرة في صفة من صفاته، وتلك الصفة تسمى كسباً، وهي متعلق الأمر والنهي، والثواب والعقاب. فإن الحركة التي هي من طاعته، والحركة التي هي من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة، وامتازت أحدها من الأخرى بالطاعة والمعصية، فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله وإيجاده، وكونها طاعة ومعصية واقع بقدرة العبد وتأثيره. فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمراً معقولاً. ولهذا قيل: محالات الكلام ثلاثة كسب الأشعري، وأحوال أبي هشام، وطفرة النظام.
ومذهب أهل السنة أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة كما قال تعالى: ﴿وما=

فيه رد على الجبرية[1] في زعمهم أن لا فعل للعباد على الحقيقة، وإنما يضاف إليهم مجازاً، والأفعال كلها لله تعالى، وهي من العباد اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، فنفوا صنع العبد وكسبه بالكلية. ودليلهم قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، فنفيُ الرمي عن النبي وإثباته لنفسه دل على أنه لا صنع للعبد. وقالوا: الجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ـ عليه السلام ـ: «لن[3] يدخل أحد[4] الجنة بعمله...» الحديث[5].

وجواب الآية أنها دليل عليهم، لأنه أثبت لرسوله رمياً، بقوله **(إذ رميت)** فعُلم أن المنفي غير المثبت، وذلك[6] أن للرمي ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما[7] يسمى رمياً. فالمعنى وما أصبت إذ حذفت، ولكن الله أصاب.

ويرد عليهم وما صليت إذ صليت، ولكن الله صلى، وما صمت إذ

= **تفعلون من خير يعلمه الله﴾** [البقرة: ١٩٧]، وقال: **﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾** [هود: ٣٦].
لا ينفي ذلك كون أفعال العباد مخلوقة لله ـ سبحانه وتعالى ـ كسائر المخلوقات، لأنه ـ سبحانه ـ هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له.
انظر: منهاج السنة ١: ٤٥٩؛ شفاء العليل ص: ٤٩ ـ ٥٠؛ شرح ابن أبي العز ٢: ٦٥٠.

(١) الجبر إسناد فعل العبد إلى الله تعالى. والجبرية هم الذين نفوا فعل العبد واختياره في كل ما يجرى عليه. وقالوا: إنما تُنسب الأفعال إليه على سبيل المجاز، مثل قول القائل: سقط الجدار، جرى الماء، انخسفت الشمس، ونحو ذلك. وفي مقدمة هؤلاء الجهمية. وبعضهم وصف الأشعرية بالجبر كذلك لأنهم لم ينسبوا أفعال العبد إليه حقيقة، بل سموها كسباً.
انظر: كتاب التعريفات ص: ١٠١؛ التبصير في الدين ص: ٦٣؛ الفرق بين الفرق ص: ٢١١؛ شفاء العليل ص: ٤٩.
(٢) الأنفال: ١٧.
(٣) في (أ) و (ب): أن، وهو خطأ.
(٤) سقطت من (ج).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) في (ج): وكما ذلك أن للرمي.
(٧) سقطت من (أ) و (ب)، وفي (ج): منها.

صمت، وما زنيت إذ زنيت[1]، ونحوها، وفساده ظاهر.

وجواب الحديث: الباء فيه باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة، لا كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، وليس كذلك[2]، بل برحمة الله وفضله وكرمه، كما مر.

(ولا يكلفهم[3] إلا ما يطيقون) لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، ولقوله ﴿يُرِيدُ [اللَّهُ][5] بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[7].

(ولا يطيقون إلا ما كلفهم)[8] أي ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق، لا التي من جهة الوسع والتمكين وسلامة الأسباب. قيل: فيه إشكال، فإن التكليف لا يُستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يُستعمل بمعنى الأمر[9] والنهي. أقول: يمكن أن يجاب عنه بأن هذا من باب المشاكلة[10].

(وهو) أي مضمون هذا القول **(تفسير «لا حول ولا قوة إلا بالله»)** أي

---

(1) سقطت في: (أ) و (ب) و (ج).

(2) انظر جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ١٤٥ - ٥٢.

(3) في (ج): لا يكلفهم الله.

(4) البقرة: ٢٨٦.

(5) سقطت من جميع النسخ.

(6) البقرة: ١٨٥.

(7) الحج: ٧٨.

(8) في (ج): إلا ما يكلفهم.

(9) تكررت كلمات (إنما يستعمل بمعنى الأمر) في (ب).

(10) في عبارة الطحاوي (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) قلق، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: **﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾** [النساء: ٢٨]. وقال تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾** [الحج: ٧٨]. فلو زاد فيما كلفنا به، لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، (شرح ابن أبي العز ٢: ٦٥٦).
وأجاب المؤلف - رحمه الله تعالى - عن هذا الإشكال بأن المراد بهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات.

(نقول لا حيلة لأحد، ولا تحول لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله تعالى، ولا قوة لأحد[1] **على إقامة طاعة الله**[2]**، إلا بتوفيق الله)**[3] لكون العبد مفتقراً إلى الله تعالى في كل لحظة، في العصمة عن المعاصي، والتوفيق للطاعات.

(وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره) على ما سبق في الأزل **(وغلبت مشيئته المشيئات كلها)** هذا رد على المعتزلة في زعمهم الفاسد، وهو أن الله تعالى شاء عن كل كافر الإيمان، وشاء الكافر من نفسه الكفر. فكان ما شاء الكافر، ولم يكن ما شاء الله، فنفذت مشيئة الكافر، ولم تنفذ مشيئة الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[4].

(غلب قضاؤه الحيل كلها) هذا إثبات للتوحيد[5]، ونفاذ الإرادة لله تعالى، مأخوذ من قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[6]، ومن قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[7][8]، وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[9].

[٤١ ـ أ] **(يفعل الله**[10] **ما يشاء)** أي لعباده **(وهو غير ظالم أبداً)** لما رُوي عن النبي ـ عليه السلام ـ: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم...»[11] الحديث.

وذلك أن حقه على الخلق أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر. وأن يكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية

---

(١) سقطت في (ب).
(٢) سقطت من (ج) وجاء بعدها: والثبات عليها.
(٣) سقطت في (ب)، وفي (ج): بتوفيق الله تعالى.
(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ص: ٤٣١.
(٥) في (ج): التوحيد.
(٦) الأنبياء: ٢٢.
(٧) «إذاً لذهب» سقطت من (ج).
(٨) المؤمنون: ٩١.
(٩) البروج: ١٦.
(١٠) سقطت في: (ب).
(١١) سقطت من جميع النسخ، وأثبتها من سنن أبي داود.

والمراقبة والخوف والرجاء، جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عالقاً على محبته، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته. ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له؟

فلو وضع الرب عدله على الخلق لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً. وغاية[1][2] ما يقدر العبد عليه هو توبته واعترافه لتقصيره، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، حيث أوجب[3] على نفسه ـ بمقتضى فضله ورحمته ـ أن لا يعذب من تاب، فلا يسع[4] الخلق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يَدخل به الجنة، كما مر في الحديث.

(لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) أعاد هذا تأكيداً لما سبق من كلماتهم فيما مضى.

ثم ذكر قولهم في دعاء الأحياء للأموات فقال:

(وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ[5] يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[6] فالله تعالى أثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

ولأن النبي ـ عليه السلام ـ إذا فرغ من دفن الميت كان وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا [له][7] التثبيت، فإنه الآن يُسأل»[8].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ١٧، حديث ٤٦٩٩. (سنن أبي داود ٥: ٧٥) وابن ماجه في مقدمة سننه، باب في القدر. (سنن ابن ماجه ١: ٧٧).
والإمام أحمد في المسند ٥: ١٨٢ ـ ١٨٣، و ١٨٥ ـ ١٨٩.
وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر الدين. انظر السنة ١: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) في (ج): ويعتذر العبد عليه.

(٣) في (أ) و (ب): وجب.

(٤) في (ج): فلا يسمع، وهو خطأ.

(٥) في (ج): بعد.

(٦) الحشر: ١٠.

(٧) سقطت من جميع النسخ، وأثبتها من سنن أبي داود.

(٨) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب ٧٣، حديث ٣٢٢١. (سنن=

ولإجماع الأمة على الدعاء للميت في صلاة الجنازة.

ولقوله ـ عليه السلام ـ: [٤١ ـ ب] «تصدقوا عن موتاكم»[١]، ولما روي عنه أنه حضر بين يديه جنازة فسأل: هل عليه دين؟ فقيل: نعم، فقال: هل ترك وفاء؟ فقيل: لا، فقال: صلوا عليه، فقال أبو قتادة[٢] صلّ عليه يا رسول الله، وعليّ دينُه[٣]، فصلى عليه، ثم سأله مرتين هل قضى عنه، فقال: نعم، فقال ـ عليه السلام ـ: «الآن برد[٤] مضجعه»[٥]. فهذا نص[٦] في وصول[٧] منفعة صدقة الحي إلى الميت. وفيه رد على بعض أهل البدع من أهل الكلام، فيما ذهبوا[٨] إلى عدم وصول شيء

أبي داود ٣: ٥٥٠)؛ والبيهقي في كتاب الجنائز، باب ما يقال بعد الدفن. (السنن الكبرى ٤: ٥٦).

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. (المستدرك ١: ٣٧٠).

(١) لم أجده فيما تيسر لي الرجوع إليه من المراجع.

(٢) هو الحارث (أو النعمان، أو عمرو) ابن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو قتادة، صحابي من الأبطال الولاة، وكان يقال له: «فارس رسول الله». شهد الوقائع مع النبي ـ ﷺ ـ ابتداء من وقعة أحد، ولما صارت الخلافة إلى علي ولاه مكة، وشهد الصفين معه، ومات بالمدينة سنة ٥٤ هـ.

انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ١٥؛ سير أعلام النبلاء ٢: ٤٤٩ ـ ٤٥٦؛ أسد الغابة ٥: ٢٥٠؛ الإصابة ٤: ١٥٨؛ الاستيعاب (على هاشم الإصابة ٤: ١٦١).

(٣) في (ج): ذنب.

(٤) جاء في جميع النسخ بردت مضجعه، وهو خطأ.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحوالة، باب ٣، حديث ٢٢٨٩، أثناء حديث طويل بنحوه. (فتح الباري ٤: ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

والإمام أحمد في المسند (٣: ٣٣٠) ولفظه: «توفي رجل فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطا خطى، ثم قال: أعليه دين؟ قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملها أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أحق الغريم وبرىء منهما الميت؟ قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: ما فعل الديناران؟ فقال: إنما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد، فقال: قضيتهما، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: الآن بردت عليه جلده». ورواه مختصراً كذلك (٥: ٢٩٧).

(٦) في (أ) و (ب): نصر.

(٧) في (ج): وصوله.

(٨) في (أ) و (ب) و (ج): زعموا.

إليه، لا الدعاء، ولا غيره[1].

وكذا ذهب قوم من المتفلسفة، وغالية[2] الصوفية إلى أن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه، فلا فائدة في الدعاء[3]. وقولهم مردود بالكتاب والسنة. و[4] يؤيده قوله: (والله يستجيب الدعوات، ويقضي[5] **الحاجات**) لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[6]، ولقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي[7] قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[8]، ولقوله ـ عليه السلام ـ: «ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن[9] يُعجل له[10] دعوته، أو يدخر [له][11] من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها»[12]. ولقوله عليه ـ السلام ـ: «ينزل

(1) انظر هذه المسألة في مجموع الفتاوى ٢٤: ٣٠٦ ـ ٣١٣، و ٣٢٥، و ٣٦٦. وفي كتاب الروح ص: ١٧٤ ـ ٢١٣.
(2) في (ج): المفلسفة وخالية.
(3) انظر مدارج السالكين ٢: ١١٨ ـ ١٢٠.
(4) سقطت في (أ) و (ب) و (ج).
(5) في (ب): ويعض.
(6) غافر: ٦٠.
(7) سقطت في: (أ) و (ب) وفي (ج): فإن.
(8) البقرة: ١٦٨.
(9) سقطت في (أ) و (ب).
(10) في (ج): إمان يُعجل دعوة.
(11) سقطت من جميع النسخ، وأثبتها من مسند الإمام أحمد.
(12) رواه الإمام أحمد في المسند (٣: ١٨).
والإمام البخاري في الأدب المفرد حديث ٧١٠، ص: ١٨٤.
والطحاوي في مشكل الآثار ١: ٣٧٥.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (المستدرك ١: ٤٩٣).
وقال في مجمع الزوائد (: ١٤٨): «رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح، غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة».
وفي الباب عند مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب ٢٥، حديث ٢٧٣٥: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل». (صحيح مسلم ٤: ٢٠٩٦).

ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفر لي فأغفر له»[1]، ولقوله: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[2] ونظم البعض هذا المعنى فقال:

«الرب يغضب إن تركت سؤاله وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب»[3]

ثم في الدعاء معان[4]:

الأول: دلالة الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدعى.

والثاني: الغنى، فإن الفقير لا يُدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يُدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يُدعى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ١٤، حديث ١١٤٥ (فتح الباري ٣: ٢٩)، وفي كتاب الدعوات، باب ١٤، حديث ٦٣٢١ (فتح الباري ١١: ١٢٩)، وفي كتاب التوحيد، باب ٣٥، حديث ٧٤٩٤ (فتح الباري ١٣: ٤٦٤).
ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ٢٤، حديث ٧٥٨. (صحيح مسلم ١: ٥٢١ ـ ٥٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ١، حديث ٣٧٢٧. (سنن ابن ماجه ٢: ١٢٥٨)
والإمام أحمد في المسند ٢: ٤٧٧.
وابن أبي شيبة، حديث ٩٢١٨. (١٠: ٢٠٠).
والبغوي، حديث ١٣٨٩. (٥: ١٨٨).
كلهم بلفظ: «من لم يدع الله ـ سبحانه ـ غضب عليه».
وقد حسنه الشيخ ناصر الدين. انظر صحيح سنن ابن ماجه ٢: ٣٢٤.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢: ٤٤٢) بلفظ: «من لا يسأله يغضب عليه». وهو في المستدرك (١: ٤٩١) بلفظ: «من لا يدع الله يغضب عليه» وسكت عنه الحاكم والذهبي.
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١: ٩٥) ـ أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه، والبزار، والحاكم، كلهم من رواية أبي صالح الخوري، وهذا الخوري مختلف فيه، ضعفه ابن معين وقواه أبو زرعة...» ثم ذكر أحاديث تشهد له.

(٣) قال المحققان لشرح ابن أبي العز الحنفي في التعليق على هذا البيت: «أورده السيوطي في «الأزهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» لوحة ٤٣، نقلاً عن البيهقي في «شعب الإيمان» ولم ينسبه أحد». انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز، بتحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط ٢: ٦٧٧.

(٤) هذا قول علي بن عقيل بن محمد البغدادي، من شيوخ الحنابلة المشهورين، توفي سنة ٥١٣ هـ. عزاه إليه ابن أبي العز في شرحه. انظر شرح ابن أبي العز. ٢: ٦٧٨.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي[1] لا يُدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يُدعى.

والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين ـ وسائر أهل الملل ـ أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار. ولا يلتفت إلى ما قيل إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يعقل[2] من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل[3] قد أثر في المسؤول حتى أعطاه، لأنا نقول: إن الله يقذف في قلب العبد[4] حركة الدعاء ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب. فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[5] فأخبر بأنه يبتدىء بالتدبير ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره.

(ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحَيْن) كلام حق، تأكيد وتحقيق لمنفعة الدعاء، وحث عليه. والحين بفتح الحاء ـ الهلاك[6].

(والله عز وجلّ يغضب ويرضى) لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[7]، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[8]، وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[9]، وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[10]، وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[11]، إلى غير ذلك.

---

(١) في (ج): العاصي، وهو خطأ.
(٢) في (ج): يفعل، وهو خطأ.
(٣) «كان السائل» سقطت من (ج).
(٤) سقطت في (أ) و (ب).
(٥) السجدة: ٥.
(٦) في (ج): بفتح الهاء. وانظر لسان العرب ١٣: ١٣٦؛ والمعجم الوسيط ١: ٢١٣.
(٧) المائدة: ١١٩.
(٨) الفتح: ١٨.
(٩) المائدة: ٦٠.
(١٠) النساء: ٩٣، ووقع الخطأ في الآية في جميع النسخ.
(١١) آل عمران: ١١٢.

وقال في وصف نفسه بالمحبة: ﴿يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1]، وقال: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

ولاتفاق السلف من الأئمة على إثبات صفة الغضب والرضا، ونحوها التي ورد بها الكتاب والسنة.

وقد منعوا التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، فلا يقال أن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، لأن هذا نفي للصفة[3].

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه[4]، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب[5] على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، لكن **(لا كأحد من**[6] **الورى)** أي غضب الله ورضاه ليس كصفات المخلوق، فإن الغضب في الخلق عبارة عن حمى القلب وتوقده، فيحمر[7] عنده الوجه، وتنفتح الأوداج[8]. والرضا يظهر عنده نضارة الوجه وسرور النفس. والمحبة ميلان الطبع، وغليان القلب، فيكون على التغيير، والله ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عن التغيير فصفاته[9] ليست كصفات الخلق، كما مر.

(ونحب أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ) لما أحبهم الله ورسوله، بدلالة الثناء عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[10] ولقوله عليه السلام:

---

(1) المائدة: ٥٤.
(2) البقرة: ٢٢٢.
(3) في (ج): نفي الصفة.
(4) أي يأمر بما يحبه ويرضاه ويريده إرادة شرعية، وإن لم يقع ذلك الشيء المأمور به فما وقع لأنه تعالى لم يرده بإرادته الكونية. وانظر هذا النص في شرح ابن أبي العز ٢: ٦٨٥.
(5) سقطت كلمتا (ويغضب) في (ج).
(6) سقطت في (ج).
(7) في (ج): فيحمى.
(8) في (أ) و (ب) و (ج): وتنفتح الأرواح.
(9) في (أ) و (ب): وصفاته الخلق، وفي (ج): وصفاته ليست.
(10) التوبة: ١٠٠.

«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم. . .»[1].

ولقد صدق عبد الله بن مسعود[2] في وصفهم قال: «إن الله تعالى نظر في[3] قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه [لنفسه][4] وابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد. فجعلهم وزراء [نبيه][5]، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما [رأوه] سيئاً فهو عند الله[6] سيىء»[7]. ولأنهم جاهدوا بين يدي رسول الله، وقاتلوا جميع الأعداء، لذات الله وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، وجاهدوا القبائل المرتدة[8] حتى أدخلوهم في الإسلام بعدما خرجوا منه. ثم جاهدوا كفرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ٩، حديث ٢٦٥١، ولفظه: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. . . إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». (فتح الباري ٥: ٢٥٨) وكذلك حديث رقم ٢٦٥٢، و ٣٦٥٠، و ٣٦٥١، ٦٤٢٨، و ٦٤٢٩، و ٦٦٥٨ و ٦٦٩٥. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ٥٢، حديث ٢٥٣٣، و ٢٥٣٤، و ٢٥٣٥. (صحيح مسلم ٤: ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤).

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب شمخ بن مخزوم، أبو عبد الرحمن الهذلي، أسلم بمكة قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد بعدها. لازم النبي ـ ﷺ ـ وقال عن نفسه: «أخذت من في رسول الله ـ ﷺ سبعين سورة» ـ. مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ.

انظر ترجمته في أسد الغابة ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨٦؛ الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٦٨ ـ ٣٧٠؛ الاستيعاب (على هامش الإصابة) ٢: ٣١٦ ـ ٣٢٤؛ تهذيب التهذيب ٦: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) سقطت من (أ) و (ب).

(٤) سقطت من جميع النسخ، وأثبتها من المسند.

(٥) جاء في جميع النسخ «الدينه»، وفي هامش النسخة الأصلية «وزراء لدين نبيه»، والمثبت من المسند.

(٦) في (ص): وما رأوهم سيئاً، وسقطت «عند الله» في: (أ) و (ب) و (ج).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١: ٣٧٩، والبغوي في شرح السنة (١: ٢١٤) رقم ١٠٥، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١: ١٦٦ ـ ١٦٧، وصححه الحاكم وأقره الذهبي (المستدرك ٣: ٧٨)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله موثوقون». (مجمع الزوائد ١: ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٨) تكررت كلمة «المرتدة» في: (أ) و (ب).

أهل الكتاب حتى أبطلوا عبادة الصلبان، ثم جاهدوا[1] الأعاجم حتى أبطلوا عبادة النيران. وأجمعوا كلهم على نقل القرآن[2]، وظهرت نصيحتهم لله تعالى فقاموا[3] مقام رسول الله في تبليغ شريعته، فوجب محبتهم[4] ومتابعتهم. فمن أضل ممن يكون في قلبه غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين.

وأما ما جرى بينهم من الوقائع يُحمل على اجتهادهم، والمجتهد لا يؤاخذ باجتهاده وإن كان خطأ، لكن من خاصم مع واحد من الخلفاء الأربعة ـ من غيرهم ـ فهو على خطأ في اجتهاده[5].

(ولا نفرط في حب أحد منهم) أي لا نتجاوز الحد في أحد[6] منهم كما فعله الشيعة[7]، فكانوا من المعتدين[8]، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[9]. والإفراط في حب أحدهم غلو، لقوله عليه السلام لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «يهلك فيك اثنان، مبغض[10] مفرط ومحب مفرط»[11]. ولأن الإفراط يوجب الفساد، كإفراط النصارى

---

(١) سقطت في: (أ) و (ب).

(٢) في (ج): الكتاب.

(٣) في (ج): فقام.

(٤) سقطت في: (أ) و (ب).

(٥) في (أ) و (ب): اجتهاد.

(٦) في (ج): في حب واحد.

(٧) يقول التهانوي: «الشيعة فرقة من كبار الفرق الإسلامية، وهم الذين شايعوا علياً وقالوا أنه الإمام بعد رسول الله ـ ﷺ ـ بالنص الجلي أو الخفي، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده، وإن خرجت فبظلم أو تقية منه أو من أولاده، وهم اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضاً، أصولهم ثلاث فرق: غلاة وزيدية وإمامية» كشاف اصطلاحات الفنون ٤: ٧٦٤.

(٨) في (أ) و (ب): المهتدين.

(٩) المائدة: ٧٧.

(١٠) في (ج): يبغض مفرط ولأن الإفراط.

(١١) رواه الإمام في المسند (١: ١٦٠) ولفظه: «فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به ـ، ثم قال: يهلك فيَّ رجلان: محب مفرط، يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني».

في حب عيسى[1] ابن مريم، حتى ادعى بعضهم فيه الألوهية، وبعضهم الشركة، وبعضهم البنوة[2] والولدية.

وكذا بعض الرافضة[3] في حب علي ـ رضي الله عنه ـ.

(ولا نتبرأ من أحد منهم)، كما فعله الرافضة، لقوله ـ عليه السلام ـ: «اللّهَ اللّه في أصحابي[4]، لا تتخذوهم غرضاً[5] بعدي، فمن أحبهم فبحبي[6] أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فكأنما آذاني، ومن آذاني فكأنما آذى الله، ومن آذى الله كان النار به أولى»[7].

(ونبغض من يبغضهم وبغير الخير[8] يذكرهم) لأن بغضهم بغض الدين[9]، لأنهم بذلوا مهجهم[10] وأموالهم حباً لله تعالى

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١: ٢٢٣ ـ ٢٢٤) وقال بعده: «هذا حديث لا يصح، قال يحيى بن معين: الحكم بن عبد الملك ليس بثقة وليس بشيء. وقال أبو داود: منكر الحديث. قال أحمد بن حنبل: وخالد بن مخلد له أحاديث مناكير. وأما سفيان بن وكيع فقال النسائي: ليس بشيء، وقال ابن عدي: كان إذا لقن تلقن، وقال أبو زرعة: كان يُتهم بالكذب».

ورواه عبد الرزاق مختصراً (١١: ٣١٨) حديث ٢٠٦٤٧.

(١) في (ج): عيسى عليه السلام.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): النبوة، وهو خطأ.

(٣) في (أ) و (ب) و (ج): رافضية، وجاء في حاشية الأصل: أي من المعتزلة.

(٤) في (ب): أصحابه.

(٥) في (أ) و (ب): عرضاً.

(٦) سقطت من (أ) و (ب)

(٧) هكذا في جميع النسخ، وجاء في حاشية الأصل: أي من الجنة والدرجات فيها.
وفي روايات الترمذي: «ومن آذى الله يوشك أن يأخذه». أخرجه الترمذي في أبواب المناقب حديث ٣٨٦١، وقال بعده: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» (سنن الترمذي ٩: ٣٨٣). والإمام أحمد في المسند ٤: ٨٧، و ٥: ٥٤ و ٥٧. وابن أبي عاصم في السنة ٢: ٤٧٩، حديث ٩٩٢، وقال الشيخ ناصر الدين: «إسناده ضعيف لجهالة عبد الله بن عبد الرحمن، ويُقال عبد الرحمن بن زيد...».

(٨) في (ج): الحق.

(٩) سقطت من (أ) وسقطت كلمتا (بغض الدين) في (ب).

(١٠) في (ج): مهجتهم. والمهجة من كل شيء خالصه، ويقال بذلت له مهجتي أي نفسي، وخالص ما أقدر عليه. انظر لسان العرب ٢: ٣٧٠؛ تاج العروس ٢: ١٠٣؛ المعجم الوسيط ٢: ٨٨٩.

ورسوله[1] ونصرة لدينه[2].

(ولا نذكرهم إلا بخير) لأنهم خيار [الأمة][3] وأئمة الدين[4].

(وحبهم دين وإيمان[5] وإحسان) لأنه امتثال لأمر الله واعتقاد بما جاء به الرسول من عند الله.

(وبغضهم[6] كفر ونفاق وطغيان) لأن بغضهم نتيجة النفاق وخبث[7] الاعتقاد، فتكون عداوتهم عداوة الدين، وذلك كفر وطغيان.

(ونثبت الخلافة بعد رسول الله أولاً لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة) لقوله ـ عليه السلام ـ: «والله ما طلعت الشمس على أفضل من[8] أبي بكر»[9].

ولما رُوي عنه أنه قال: «اقتدوا[10] بالذين من بعدي، أبي بكر

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): لرسوله.

(٢) في (ج): دينه.

(٣) في (أ) و (ب) و (ص): خيار الأمم.

(٤) جاء في حاشية الأصل: وهم العلماء والفقهاء.

(٥) في (ب): وإحسان وإحسان.

(٦) جاء في حاشية الأصل: أي الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان.

(٧) في (أ) و (ب) و (ج): وحيث.

(٨) سقطت في (ج).

(٩) لم أجد الحديث بهذا المعنى في فضل أبي بكر، بل روى الترمذي في كتاب المناقب، باب ٤٧، حديث ٣٦٨٥ حديثاً في فضل عمر ـ رضي الله عنه ـ ولفظه: «قال عمر لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول الله ـ ﷺ ـ فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذاك، فلقد سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر». وقال بعده: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بذاك». (سنن الترمذي ٩: ٢٨١). وأخرجه الحاكم وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، لكن الذهبي لم يوافقه، بل قال: «عبد الله ضعفوه، وعبد الرحمن متكلم فيه، والحديث شبه موضوع». (المستدرك ٣: ٩٠).
ورواه ابن الجوزي وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ـ ﷺ» ولا يتابع عبد الرحمن عليه، ولا يعرف إلا به، وأما عبد الله بن داود فقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير، لا يجوز الاحتجاج بروايته». (العلل المتناهية ١: ١٩٠ ـ ١٩١).

(١٠) جاء في حاشية الأصل: أمر لأصحابه ولجميع الأمة.

وعمر»[1]. وعن عائشة أنه ـ عليه السلام ـ قال في مرضه: «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي[2] بكر كتاباً لا يختلف عليه، ثم قال[3] معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»[4] يعني ترك الكتابة اعتماداً على أن الله تعالى يختاره، والمؤمنون يجمعون على إمامته بعده. وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة[5]، ولإجماع الصحابة على متابعته.

(ثم لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ) لما رُوي عنه ـ عليه السلام ـ أنه قال «لو كان بعدي نبي لكان عمر»[6]، و[7] لتفويض أبي بكر

---

(1) جاء في حاشية الأصل: ولقوله ـ عليه السلام ـ: ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد من النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر. ولقوله لأبي بكر وعمر: هما سيدا كهول أهل الجنة، مباهياً النبيين والمرسلين.

ورواه الترمذي في أبواب المناقب، باب ٣١، حديث ٣٦٦٣، بلفظه وقال: «هذا حديث حسن». (سنن الترمذي ٩) ٢٧٠).

وابن ماجه في المقدمة، باب ١١، حديث ٩٧، ولفظه: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا بالذين من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر. (سنن ابن ماجه ١: ٣٧) وصححه الشيخ ناصر الدين. (صحيح ابن ماجه ١: ٢٣).

والإمام أحمد في المسند ٥: ٣٨٢، و ٣٨٥، و ٣٩٩، و ٤٠٢.

(2) سقطت في (ب).

(3) سقطت من (ج).

(4) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ١٦، حديث ٥٦٦٦ (فتح الباري ١٠: ١٢٣)، وفي كتاب الأحكام، باب ٥١، حديث ٧٢١٧ (فتح الباري ١٣: ٢٠٥) بنحوه مع قصة في أوله.

ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ١، حديث ٢٣٨٧، بمثله. (صحيح مسلم ٤: ١٨٥٧).

(5) انظر حديث رقم ٦٦٤ في فتح الباري (٢: ١٥١).

(6) في (ب): لكان عمر بن الخطاب. وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب ٤٨، حديث ٣٦٨٧، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان». (سنن الترمذي ٩: ٢٨٢).

والإمام أحمد في المسند ٤: ١٥٤، والحاكم وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. (المستدرك ٣: ٨٥).

وذكره العجلوني بنحوه وقال: «ويشهد له ما رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر بلفظ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» وسنده ضعيف». (كشف الخفاء ٢: ٢١٩).

ومدار الحديث على مشرح بن هاعان، وثقه بعضهم وقال ابن حبان: يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به. انظر تهذيب التهذيب ١٠: ١٥٥، وقال في التقريب: مقبول. (تقريب التهذيب ٢: ٢٥٠).

(7) سقطت في (أ) و (ب).

الخلافة إليه، ولاتفاق الأمة بعده على إمامته. وفضائله أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر.

(ثم لعثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ) لما أن[1] **عمر جعل الأمر شورى بين ستة نفر: عثمان، وعلي، والزبير**[2]**، وطلحة**[3]**، وسعد**[4]**، وعبد الرحمن**[5]**، وقد كان كل منهم مشهوداً بالجنة، فاتفقت آراؤهم على**

---

(١) في (أ): لمان، وفي (ب): لأن.

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، أبو عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ـ ﷺ ـ، ابن أخي خديجة بنت خويلد، زوج النبي ـ ﷺ ـ أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها، حتى قال عن نفسه: ما مني عضو إلا قد جرح مع رسول الله ـ ﷺ ـ وكان من الفرسان المشهورين، جعله عمر ـ رضي الله عنه ـ في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: «هم الذين توفي رسول الله ـ ﷺ ـ وهو عنهم راض». وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. قتل غدراً بعد أن انصرف يوم الجمل سنة ٣٦ هـ.
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣: ١٠٠ ـ ١١٣؛ أسد الغابة ٢: ٩٧ ـ ١٠٠؛ الإصابة ١: ٥٤٥ ـ ٥٤٦؛ الاستيعاب ١: ٥٨٠ ـ ٥٨٥.

(٣) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وشهد يوم الجمل محارباً بالعلي، ثم رجع عن القتال على نحو ما صنع الزبير، واعتزل في بعض الصفوف، فرمي بسهم مات منه سنة ٣٦ هـ. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣: ٢١٤ ـ ٢٢٥؛ أسد الغابة ٢: ٤٦٧ ـ ٤٧١؛ الإصابة ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠؛ الاستيعاب ٢: ٢١٩ ـ ٢٢٥.

(٤) هو سعد بن أبي وقاص (واسم أبي وقاص مالك) بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق. كان سابع سبعة في إسلامه بعد ستة، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى. وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، وكان أن النبي ـ ﷺ ـ قال فيه: «اللهم سدد سهمه وأجب دعوته». وكان أحد الفرسان الأربعة الذين قال فيهم أبو إسحاق: أنهم أشد أصحاب رسول الله (عمر وعلي والزبير وسعد)، فتح العراق وولي الكوفة لعمر، وقد اعتزل الفتنة كذلك. اختلف في سنة وفاته، فقيل سنة ٥٥ هـ، وقيل ٥١، وقيل ٥٤، وقيل غير ذلك.
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣: ١٣٧ ـ ١٤٩؛ أسد الغابة ٢: ٢١٤ ـ ٢١٨؛ الإصابة ٢: ٣٣ ـ ٣٤؛ الاستيعاب ٢: ١٨ ـ ٢٧.

(٥) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث القرشي الزهري، أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة ـ أصحاب الشورى ـ الذين توفي=

عثمان، واتفقت الصحابة على[1] متابعته.

(ثم لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ) لاتفاق الصحابة على متابعته [٤٤ ـ أ] بعد عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقد قال رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[2]. وذلك قد تم بخلافة علي ـ رضي الله عنه ـ لأن خلافة أبي بكر الصديق كانت سنتين[3] وثلاثة أشهر، وخلافة عمر الفاروق عشر[4] سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي[5] عشرة سنة، وخلافة علي المرتضى أربع سنين وتسعة أشهر.

ثم أول ملوك المسلمين معاوية[6] ـ رضي الله عنه ـ وهو خير

= رسول الله ـ ﷺ ـ وهو عنهم راض، وأسند رفقتُه أمرهم إليه حتى بايعوا عثمان. أسلم قبل أن يدخل رسول الله ـ ﷺ ـ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان تاجراً مشهوراً ينفق أمواله في سبيل الله، وله في ذلك مواقف مشهورة. توفي سنة ٣٢ هـ. بالمدينة ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان.

انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣: ١٢٤ ـ ١٣٧؛ أسد الغابة ٣: ٢٧٦ ـ ٢٨١؛ الإصابة ٢: ٤١٦ ـ ٤١٧؛ الاستيعاب ٢: ٣٩٣ ـ ٣٩٨.

(١) سقطت في (ج).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب ٩، حديث ٤٦٤٦، و ٤٦٤٧، ولفظه: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه لمن يشاء». (سنن أبي داود ٥: ٣٦ ـ ٣٧).

والترمذي في كتاب الفتن، باب ٤٨، حديث ٢٢٢٧، وقال: «هذا حديث حسن... لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان». (سنن الترمذي ٧: ٥).

وأحمد في المسند ٥: ٢٢١. وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي: (المستدرك: ٧١ و ١٤٥).

وابن أبي عاصم في السنة ٢: ٥٦٢. وقال الشيخ ناصر الدين: «حديث صحيح وإسناده حسن».

(٣) في (أ) و (ب): كانت مات سنتين.

(٤) سقطت من (ص) و (أ) و (ب).

(٥) في (ج): اثني عشرة.

(٦) هو معاوية بن (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأموي. مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد الدهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً حليماً وقوراً، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ـ ﷺ ـ في كتابه. ولاه عمر ـ رضي الله عنه ـ دمشق، ثم جمع له عثمان ـ رضي الله عنه ـ الديار الشامية كلها، وجعل ولاة أمصارها تابعين له. وقتل عثمان، فولي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فوجه لفوره يعزل معاوية، وعلم معاوية بالأمر=

الملوك، لأنه كان إماماً حقاً بتفويض الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ الإمامة إليه، لأن الحسن بايعه أهل العراق بعد موت أبيه بستة[1] أشهر، ثم فوض الأمر باختياره إلى معاوية ـ رضي الله عنهما. **(وهم)** أي الأئمة الأربعة **(الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون)**[2] لقوله ـ عليه السلام ـ: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش[3] منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[4]. وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر من المزية ما ليس لغيرهما.

(وأن العشرة) المبشرة **(الذين سماهم)** أي عينهم بأسمائهم **(رسول الله، وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة)** اتباعاً واقتداء واعتقاداً لرسول الله **(على ما شهد لهم رسول الله، وقوله الحق)** لما ثبت ذلك بالنقل المتواتر، فيكون كالمسموع منه مشافهة، وذلك يوجب العلم قطعاً. والشهادة عبارة عن علم العيان[5].

= قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان واتهم علياً بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام، وإمامة علي في العراق، ثم تنازل له الحسن سنة ٤١ هـ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة. وهذا أحد العظماء الفاتحين في الإسلام، وهو أول من ركب بحر الروم للغزو، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨ هـ، وضربت في أيامه الدنانير. مات في دمشق سنة ٦٠ هـ.
انظر ترجمته في: طبقات خليفة ترجمة رقم ٥١، و ٢٨٠٩؛ أسد الغابة ٤: ٤٣٣ ـ ٤٣٦؛ سير أعلام النبلاء ٣: ١١٩ ـ ١٦٢؛ الإصابة ٣: ٤٣٣.

(١) في (أ) و (ب) و (ص): ستة.
(٢) في (ج): المهتدون.
(٣) في (أ) و (ب) و (ج): يعيش.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب ٦، حديث ٤٦٠٧. (سنن أبي داود ٤: ١٣ ـ ١٥).
والترمذي في كتاب العلم، باب ١٦، حديث ٢٦٧٨، وقال: «هذا حديث صحيح». (سنن الترمذي ٧: ٣١٩ ـ ٣٢٠).
وابن ماجه في المقدمة، باب ٦، حديث ٤٢. (سنن ابن ماجه ١: ١٥ ـ ١٦) وصححه الشيخ ناصر الدين. (صحيح سنن ابن ماجه ١: ١٣).
والإمام أحمد في المسند ٤: ١٢٦ ـ ١٢٧.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرك ١: ٩٥ ـ ٩٧).
(٥) في (ج): العلم البيان.

(وهم: **أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد**[(١)]، **وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح**[(٢)]، **وهم أمناء هذه الأمة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين**) وصفهم بالأمانة لشهادة الرسول لهم بالجنة بالوحي [السماوي][(٣)]، لعظم أمانتهم وشرف مناقبهم، ولجهادهم في حراسة الأمة ونصرة الملة.

فيه رد[(٤)] على الرافضة حيث فضلوا واختاروا علياً ـ رضي الله عنه ـ وتبرأوا عن التسعة، وتوالوا[(٥)] بدل العشرة المبشرة المذكورة اثني عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب، يدعون أنه وصي النبي ـ عليه السلام ـ دعوة مجردة عن الدليل[(٦)]. ثم الحسن[(٧)]، ثم

---

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، هو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، يكنى أبا الأعور، وكان من المهاجرين الأولين، أسلم قبل عمر، وكان إسلام عمر في بيته، شهد المشاهد كلها سوى البدر، حيث كان هو وطلحة في الشام، ورجعا يوم بدر. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي بالمدينة سنة ٥٥ هـ. وقيل ٥١. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣: ٣٧٩؛ أسد الغابة ٢: ٢٣٥؛ الإصابة ٢: ٤٦؛ الاستيعاب ٢: ٢.

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، أبو عبيدة، الأمير القائد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، هو من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها، وفتح البلاد الشامية. توفي بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣: ٤٠٩؛ أسد الغابة ٣: ٢٤؛ الإصابة ٢: ٢٥٢؛ الاستيعاب ٣: ٢.

(٣) في (أ) و (ب) و (ص): السماعي.

(٤) سقطت في (ب).

(٥) في (أ) و (ب): وترالوا، وفي (ج): وتزادوا.

(٦) انظر منهاج السنة ٧: ٣٥٣ ـ ٣٥٨.

(٧) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم. ولد بالمدينة المنورة، وأمه فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً، من أحسن الناس منطقاً وبديهة، حج عشرين حجة ماشياً. وقد تنازل عن الخلافة لمعاوية حفاظاً على دماء المسلمين، وحرصاً منه رضي الله عنه ـ على وحدتهم، وذلك عام ٤١ هـ، وسُمي ذلك العام ـ عام الجماعة ـ لاجتماع كلمة المسلمين فيه. توفي بالمدينة سنة ٥١ هـ.

الحسين[1]، ثم علي بن الحسين زين العابدين[2]، ثم محمد الباقر[3]، ثم جعفر بن محمد الصادق[4]، ثم موسى بن جعفر الكاظم[5]، ثم علي بن

---

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله، ابن فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ ولد بالمدينة ونشأ في بيت النبوة. تخلف عن مبايعة يزيد بن معاوية، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، ثم دعاه أتباعه من أهل الكوفة على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيىء للوثوب على الأمويين. فأجابهم وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذراريه، ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بأمره فأرسل إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق، قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف قتل فيه الحسين ـ رضي الله عنه ـ وذلك يوم الجمعة عاشر المحرم سنة ٦١ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات خليفة ترجمة رقم ٩ و ١٩٦٩؛ تاريخ بغداد ١: ١٤١؛ سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٠؛ أسد الغابة ١: ٤٩٦.

(2) علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، زين العابدين، الهاشمي العلوي المدني، أبو الحسن. كان يضرب به المثل في الحلم والورع، مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد ما كان يقوتهم سراً فكانوا نحو مئة بيت. قال ابن إسحاق: «كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم». وفاته سنة ٩٤ هـ.

انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥: ٢١١؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٦؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٣٦٨؛ تذكرة الحفاظ ١: ٧٤.

(3) محمد بن زين العابدين بن الحسين الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الباقر، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة ودفن بها سنة ١١٤ هـ.

ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠١؛ تذكرة الحفاظ ١: ١٢٤؛ شذرات الذهب ١: ١٤٩.

(4) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. (ولكن الشيعة يكذبون عليه كثيراً، كما في روايات الكافي للكليني وغيره من كتب الشيعة) له أخبار مع الخلفاء من بني العباس، وكان جريئاً عليهم، صداعاً بالحق، ولد بالمدينة وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ١: ٣٢٧؛ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٥؛ تذكرة الحفاظ ١: ١٦٦؛ شذرات الذهب ١: ٢٢؛ نور الأبصار ١٦٠.

(5) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، الملقب بالكاظم، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد. ولد في الأبواء (قرب المدينة) وسكن بالمدينة. وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم=

موسى[1]، ثم محمد بن علي[2] الجواد[3]، ثم علي بن محمد الهادي[4]، ثم الحسن بن علي العسكري[5]، ثم محمد بن الحسن[6]، ويتجاوزون الحد في محبتهم.

= بالمدينة فأحضره إلى البصرة وحبسه فيها سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيها سجيناً سنة ١٨٣ هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥: ٣٠٨؛ تاريخ بغداد ١٣ ـ ١٧؛ سير أعلام النبلاء ٦: ٢٧٠؛ شذرات الذهب ١: ٣٠٤.

(١) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت، وفضلائهم. ولد بالمدينة، وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، لكنه مات في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد سنة ٢٠٣ هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٩: ٢٤؛ سير أعلام النبلاء ٩: ٧٨٣؛ تهذيب التهذيب ٧: ٣٨٧؛ شذرات الذهب ٢: ٦؛ نور الأبصار ص: ١٦٨.

(٢) سقطت من (أ) و (ب).

(٣) محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الملقب بالجواد. تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان رفيع القدر كأسلافه، ذكياً، طلق اللسان، قوي البديهة. ولد بالمدينة، وانتقل مع أبيه إلى بغداد، ثم بعد وفاة أبيه قدم إلى المدينة، ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٢٢٠ هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٣: ٥٤؛ وفيات الأعيان ٤: ١٧٥؛ شذرات الذهب ٢: ٤٨؛ نور الأبصار ص: ١٧٧.

(٤) علي بن محمد الجواد بن علي الرضى، الملقب بالهادي، عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء، ولد بالمدينة، ووشي به إلى المتوكل العباسي، فاستقدمه إلى بغداد، وأنزله في سامراء، ولم يجد المتوكل عنده شيئاً فعفا عنه، وقضى عنه دينه، وأكرمه. توفي في سامراء سنة ٢٥٤ هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢: ٥٦؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٧٢؛ شذرات الذهب ٢: ١٢٨؛ نور الأبصار ص: ١٨١.

(٥) في (ج): العسكر. وهو الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الهاشمي القرشي، أبو محمد، الإمام الحادي عشر عند الإمامية. ولد في المدينة وانتقل مع أبيه إلى سامراء، وكان اسمها «مدينة العسكر» فقيل له العسكري ـ كابنه ـ نسبة إليها، وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه. وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكاً وعبادة. توفي بسامراء سنة ٢٦٠ هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٢: ١١٢؛ وفيات الأعيان ٢: ٩٤؛ شذرات الذهب ٢: ١٤١؛ نور الأبصار ص ١٨٣.

(٦) محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، =

وقد أتى[1] ذكر الأئمة الاثني عشر على صفة ترد قولهم، وتبطل دعواهم، وهو ما خرجاه في الصحيحين عن جابر بن سمرة[2] ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت مع أبي على رسول الله، فسمعته يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولاهم اثنا عشر رجلاً». ثم تكلم النبي ـ عليه السلام ـ بكلمة خفيت[3] عني، فسألت أبي ماذا قال النبي ـ عليه السلام ـ؟ قال: «كلهم من قريش». وفي لفظ: «لا يزال الإسلام[4] عزيزاً إلى اثني عشر خليفة». وفي لفظ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»[5].

وكان الأمر كما قال[6] ـ عليه السلام ـ فإن الإسلام لم يزل عزيزاً في ازدياد في أيام الخلفاء الراشدين الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد[7]،

= وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر، والحجة، وصاحب السرداب، ولد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين، ولما بلغ التاسعة (أو العاشرة أو التاسعة عشرة) دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء سنة ٢١٥ هـ، ولم يخرج منه، والشيعة ينتظرون ظهوره في آخر الزمان.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢: ٣٣٦؛ وفيات الأعيان ٤: ١٧٦؛ شذرات الذهب ٢: ١٥٠؛ نور الأبصار ص: ١٨٥.

(١) سقطت من (أ) و (ب).

(٢) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير العامري ثم السوائي، وقيل: جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب. أمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، وله ولابنه صحبة، روى عن النبي ـ ﷺ ـ أحاديث كثيرة. نزل الكوفة ومات بها سنة ٧٤ هـ.

ترجمته في: أسد الغابة ١: ٣٠٤؛ الإصابة ١: ٢١٢؛ الاستيعاب ١: ٢٢٤؛ تهذيب التهذيب ٢: ٣٩.

(٣) في (أ) و (ب): خفيفة.

(٤) في (أ) و (ب): هذا الأمر.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام، باب ٥١، حديث ٧٢٢٢، و ٧٢٢٣. (فتح الباري ١٣: ٢١١).

ومسلم في كتاب الإمارة، باب ١، حديث ١٨٢١. (صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢ ـ ١٤٥٤).

(٦) في (أ) و (ب): كما قال النبي، وفي (ج): النبي عليه الصلاة والسلام.

(٧) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ. وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير، والحسين بن علي خلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣ هـ. فأباحها ثلاثة أيام، وقتل بأمره كثير من الصحابة والتابعين فيها. فتح في زمنه المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم. توفي سنة ٦٤ هـ. =

وعبد الملك بن مروان[1]، وأولاده الأربعة[2]، وعمر بن عبد العزيز[3]، وهم الأئمة الاثنا عشر، ثم أخذ الأمر في الانحلال[4].

وعند الرافضة في زعمهم الفاسد[5]، وقولهم الباطل أن أمر الأمة[6] في أيام هؤلاء لم يزل فاسداً.

(ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله [ﷺ][7]، وأزواجه

= انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٨: ٢٢٦؛ الكامل في التاريخ ٤: ١٢٥؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٣٥؛ شذرات الذهب ١: ٧١.

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من كبار الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، وكان فقيهاً، واسع العلم، متعبداً، ناسكاً. انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥ هـ. فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ـ ابني الزبير ـ في حربهما مع الحجاج. نقلت في أيامه الدواوين إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام. توفي بدمشق سنة ٨٦ هـ.

انظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٦: ٤١٨؛ تاريخ بغداد ١: ٣٨٨؛ سير أعلام النبلاء ٥: ١١٤؛ فوات الوفيات ٤: ٢٤٦.

(٢) هم الوليد، توفي سنة ٩٦ هـ. وترجمته في: السير ٤: ٣٤٧.

سليمان، توفي سنة ٩٩ هـ. ترجمته في: السير ٥: ١١١.

يزيد، توفي سنة ١٠٥ هـ. ترجمته في: السير ٥: ١٥٠.

هشام، توفي سنة ١٢٥ هـ. ترجمته في السير: ٥: ٣٥١.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، وقيل له خامس الخلفاء الراشدين، تشبيهاً له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم صار وزيراً لسليمان سنة ٩٩ هـ. وسكن الناس في أيامه، ومنع سب علي ـ رضي الله عنه ـ وأخباره في عدالته وحسن سياسته كثيرة. لكن مدة خلافته لم تطل، قيل دُسّ له السم فتوفي منه سنة ١٠١ هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري ٦: ٥٦٥، و ٥٧٣؛ سير أعلام النبلاء ٥: ١١٤؛ فوات الوفيات ٣: ١٣٣؛ شذرات الذهب ١: ١١٩.

(٤) في (ج): انحلال.

وانظر فتح الباري ١٣: ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٥) في (ج): الفساد.

(٦) في (ج): أن الأمر الأمة، وهو خطأ.

(٧) سقطت من جميع النسخ، وأثبتها من المطبوع.

الطاهرات من كل دنس [٤٥ ـ أ]، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد بريء من النفاق)[١] إنما قال هذا لأن أصل[٢] الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصد إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول، كما فعله بولص[٣] بدين النصارى. وذلك المنافق عبد الله بن سبأ[٤]، أراد أن يفسد دين الإسلام، ويلقي الفتنة بين المسلمين، فأظهر الإسلام والتنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله. ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو في علي ليتمكن بذلك من اعتراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله، فهرب. وخبره معروف في التواريخ أخزاه الله تعالى.

(وعلماء السلف من[٥] السابقين والتابعين، ومن بعدهم من أهل الأثر والخبر، وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بجميل) لأن الله تعالى ندبنا إلى الدعاء والاستغفار لهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[٦] ولأن تعظيمهم وتوقيرهم من تعظيم الدين، لأنهم خلفاء

---

(١) في هذا المقطع من متن الطحاوي بعض الكلمات لم يكن فوقها الخط الذي يدل على أنها من المتن، تبين ذلك من المقارنة بالمطبوع.

(٢) سقطت في: (أ) و (ب).

(٣) هو قس يهودي اسمه الأصلي شاؤول، ولد في طرسوس، ونشأ في أورشليم، كان في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية، وأبلغهم كيداً لها، ثم تظاهر بالمسيحية ودخلها بقصد التحريف، واستطاع أن يحصل على المرتبة الكبيرة عندهم حتى صار من الرسل الملهمين الذين ينطقون بالوحي، الأمر الذي سهل له إدخال المعتقدات الباطلة في المسيحية، مثل التثليث، وألوهية المسيح، وغير ذلك مما نشهده اليوم من الخرافات المسيحية.

انظر محاضرات في النصرانية ص: ٨١؛ المسيحية لأحمد شلبي ص: ٩٠.

(٤) عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية، من غلاة الزنادقة، ضال مضل. كان أصله من اليمن، وكان يهودياً فأظهر الإسلام وطاف ببلاد المسلمين ليفتنهم. دخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه القول بألوهية علي ـ رضي الله عنه ـ، ورجعة النبي ـ ﷺ ـ. توفي سنة ٤٠ هـ. انظر ترجمته في: تاريخ ابن عساكر (تهذيب بدران) ٧: ٣٤١؛ البدء والتاريخ ٥: ١٢٩؛ لسان الميزان ٣: ٢٨٩؛ ـ عبد الله بن سبأ ـ لمرتضى العسكري.

(٥) سقطت من (أ) و (ب).

(٦) الحشر: ١٠.

الرسول وورثته في تبليغ الشريعة إلى الناس، فهم بمنزلة النجوم يُهدى بهم[1] في ظلمات البر والبحر، إذ كل أمة [قبل][2] مبعث محمد علماؤها شرارها إلا علماء المسلمين من أمة محمد ـ ﷺ ـ فإن علماءهم خيارهم، لأنهم محيون سنته، وبهم قام الكتاب والسنة. فهذا هو سبيل المؤمنين.

(ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) إذ سبيل المؤمنين أن يوالي بعضهم بعضاً لحق الإيمان الذي جمعهم، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[3] فذكرهم بسوء عدول عن سبل الموالاة[4] وذلك من علامات النفاق.

(ولا نفضل أحداً من الأولياء) الولي[5] هو العارف بالله وصفاته، حسب ما أمكن[6]، المواظب على الطاعات، المتجنب عن المعاصي والانهماك في اللذات والشهوات.

(على أحد من الأنبياء عليهم الصلاة[7] والسلام) النبي إنسان[8] بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه، بعد[9] التحلي والاتصاف بكمالات الولاية والكرامة، سواء كان له كتاب أو لا، فهو أعم من الرسول[10]. والنبوة لا تثبت إلا بإظهار المعجزة، وهي ظهور أمر خارق للعادة، قصداً بلا معارضة مع التحدي، تصديقاً له[11].

---

(١) سقطت في: (أ) و (ب).

(٢) في (أ) و (أ) و (ب): بعد، وهو خطأ.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) في (ج): عن سبيل المؤمنين، أي الموالاة.

(٥) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: ٥ و ١٣٩.

(٦) في (ج): مكن.

(٧) سقطت في (ج).

(٨) سقطت في: (أ) و (ب).

(٩) تكررت في (ب).

(١٠) يقول الألوسي: «فلا بد لتحقيق المقابلة أن يراد بالرسول من بُعث بشرع جديد، وبالنبي من بعث لتقرير شرع من قبله...». تفسير الألوسي ١٧: ١٧٢. وانظر هذه المسألة في: بصائر ذوي التمييز ٥: ١٤؛ لوامع الأنوار البهية ١: ٤٩ و ٢: ٢٦٥.

(١١) انظر التعريف بالمعجزة في لوامع الأنوار البهية ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، والفتاوى ١١: ٣١١.

والكرامة[1] ظهوره من الولي مطلقاً، من غير الدعوى والتحدي.

والنبوة عطية من الله تعالى، وليست بمكتسبة[2]، بل جعلها فيمن[3] شاء من عباده، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[4]، فلا يبلغ ولي درجة الأنبياء، لأنهم ـ عليهم السلام ـ معصومون مأمونون عن[5] خوف الخاتمة، وسقوط الدرجة، مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك، مأمورون بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام، بعد الاتصاف بكمالات الأولياء، كما مر.

ولأن الولي إنما يستحق الولاية والكرامة باتباعه نبيه واقتدائه به في طاعة الله تعالى على شريعته، فيستحيل أن يكون مثله، فضلاً عن أن يكون[6] أفضل. فيه رد على بعض المتصوفة[7]، وإبطال قولهم أن من بلغ أقصى درجة أهل[8] الولاية والمعرفة كان أفضل خلق الله[9].

وعلى الكرامية[10] في زعمهم أن الولي أفضل من النبي، وهذا كفر وضلال.

---

(1) انظر لوامع الأنوار البهية ٢: ٣٩٣، والفتاوى ٣: ١٥٦.

(2) انظر لوامع الأنوار البهية ٢: ٢٦٧.

(3) في (أ) و (ب): فيك شاء، وهو خطأ.

(4) الأنعام: ١٢٤.

(5) في (ج): من.

(6) تكررت كلمات (مثله، فضلاً عن أن يكون) في (ب).

(7) المتصوفة هم المنتسبون إلى التصوف، وهو في الأصل طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل، لتزكو النفس وتسمو الروح. وأصله الزهد، وهو مطلوب في الإسلام وقد رأينا كثيراً من الزهاد في القرون الإسلامية المفضلة، إلا أن التصوف اتخذ نهجاً معيناً، وصارت له مدارس مختلفة وطرق متباينة، خرج الكثير منها عن منهج الإسلام الحق، فرد عليهم علماء الأمة في كل عصر ومصر.
انظر التعريفات ص: ٨٣، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ٩٢٣.

(8) سقطت من (ج).

(9) انظر جامع الرسائل ص: ٢٠٥؛ مجموع الفتاوى ٢: ٢١٩ ـ ٢٤٧، و ١١: ٢٢٥ ـ ٢٢٩؛ درء تعارض العقل والنقل ٥: ٤.

(10) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام، كان من سجستان ثم خرج إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبد الله. وكان من كبار المجسمة ومن البدع التي كان يدعو إليها أتباعه أنه كان يسمي معبوده جسماً، وكان يقول: له حد واحد من الجانب الذي ينتهي=

(ونقول نبي واحد خير[1] **من جميع الأولياء)** لما عرفت من أن مرتبة النبوة فوق مرتبة الولاية. فيه رد على الاتحادية والمتصوفة الضالة[2]، كمن ادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وأن الأنبياء مستفيدون من الولاية [٤٦ ـ أ]، وقال: مقام النبوة في برزخ فوق الرسول دون الولي[3]. وفي هذا القول قلب الشريعة، وقد تحقق أن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[4].

والنبوة أخص من الولاية، كما أن الرسالة أخص من النبوة.

(ونؤمن بما جاء) في الكتاب[5] والسنة **(من كراماتهم)** كأصحاب الكهف، من نحو لبثهم ثلاثمائة سنين من غير أكل وشرب، ولم تبل ثيابهم، ولم تفن شبابهم[6]. وككرامة واصف بن بريخا[7] صاحب سليمان ـ عليه السلام ـ وكولاية مريم، من[8] هزها [الجذع][9] اليابس

= إلى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر، ويقول في الإيمان: أنه قول مجرد، إلى غير ذلك.

انظر التصير في الدين ص: ٦٥، الملل والنحل ص: ١٠٨.

(١) في (ب): أفضل.

(٢) انظر «موقف العقل والعلم...» لشيخ الإسلام مصطفى صبري ٣: ١٨٧ ـ ٢٠٢ و ٢٦٢ ـ ٢٧٤.

(٣) جاء في حاشية الأصل: رد لمحي الدين بن عربي فيما قاله في نصوصه.

وصاحب هذه الأقوال هو ابن عربي، ورواية البيت في الفتوحات المكية (٢٥٢٢) بلفظ: «بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يُجهل». وفي لطائف الأسرار لابن عربي (ص: ٤٩) بلفظ: «سماء النبوة في برزخ دون الولي وفوق الرسول». والبيت بلفظ الشارح موجود في درء تعارض العقل والنقل ١٠: ٢٠٤، و جامع الرسائل ١: ٢٠٩.

(٤) يونس: ٦٢ ـ ٦٣، وسقطت كلمة (ألا) من بداية الآية في (أ) و (ب).

(٥) في (ج): الكتب.

(٦) في (أ) و (ب): ثيابهم وسقطت من (ج).

(٧) في (أ) و (ب) و (ج): اصف من بريخا. وهو صاحب سليمان ـ عليه السلام ـ الذي أتى له بعرش ملكة بلقيس من اليمن في لحظة واحدة. انظر تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٤.

(٨) تكررت في (ج).

(٩) جاء في جميع النسخ: الجزع، وهو خطأ. ويشير المؤلف إلى قوله تعالى لمريم: **﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾** [مريم: ٢٥]. وانظر تفسير ابن كثير ٣: ١١٧.

حتى تساقط منها رطباً جنياً، وكل منهم لم يكن نبياً، بل[1] من[2] عباد الله الصالحين ونحوها.

(وصح عن الثقات من رواياتهم) كسماع سارية بن زنيم[3] وجيشه نداء عمر بن الخطاب وهم بنهاوند[4]، وهو على المنبر بالمدينة[5] يوم الجمعة، فنادى بأعلى صوته على مسيرة قريب من خمس مائة فرسخ[6].

وكما رُوي في الصحاح أن رجلين من الصحابة خرجا من عند النبي ـ عليه السلام[7] ـ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئه، فلما افترقا أضاءت للآخر[8]، فمضى كل واحد منهما إلى بيته[9].

---

(١) سقطت من (أ) و (ب).
(٢) سقطت من (ج).
(٣) سارية بن زُنيم بن عبد الله بن جابر الدئلي، له صحبة. قيل أنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه، جعله عمر ـ رضي الله عنه ـ أميراً على جيش أرسله إلى فارس، وهو الذي ناداه عمر من منبر المدينة: «يا سارية الجبل، الجبل!» فسمعوا صوته وهم في بلاد فارس، فرجعوا إلى الجبل وغلبوا على عدوهم بعد أن كادت الهزيمة أن تقع بهم.
انظر ترجمته في: أسد الغابة ٢: ١٥٤؛ الإصابة ٢: ٢؛ تجريد أسماء الصحابة ١: ٢٠٣.
(٤) نهاوند ـ بفتح النون الأولى وتكسر ـ مدينة عظيمة جنوب همذان، وهي أعتق مدينة في العراق، قيل بناها نوح ـ عليه السلام ـ وأصل اسمها: نوح أوند فخففت. فتحت سنة ٢١ هـ. أيام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.
انظر معجم البلدان ٥: ٣١٣؛ الروض المعطار ص: ٥٧٩.
(٥) في (أ) و (ب) و (ج): بمدينة.
(٦) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص: ٢١٠ ـ ٢١١، وهو حديث حسن. قال السيوطي: «أخرجه البيهقي وأبو نعيم كلاهما في دلائل النبوة بسند حسن من طريق ابن عمر». (تخريج أحاديث شرح العقائد ص: ٤١).
(٧) في (ج): عند رسول الله ـ ﷺ ـ.
(٨) في (ج): الآخر.
(٩) في (ج): منها إلى بيته. وأخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ١٣، حديث ٣٨٠٥. (فتح الباري ٧: ١٢٤).
والإمام أحمد في المسند ٣: ١٣٨ و ١٩٠ و ٢٧٢.
وأورده التبريزي في كتاب الفضائل والشمائل، باب ٨، حديث ٥٩٥٤. (مشكاة المصابيح ٣: ١٩٧).

وكان رسول الله آخا بين أبي الدرداء[1] وسلمان الفارسي[2]، ثم إنهما جلسا على قصعة يأكلان منها فسبحت القصعة، فجعلا يأكلان منها وهما [يسمعان][3] تسبيحها[4]. والأخبار في كرامات الأولياء أكثر من أن تحصى، وإنما أنكرت المعتزلة كرامات الأولياء لفساد عقائدهم من إثبات قدرة التخليف لغير الله، وتعطيلهم عن[5] الله تعالى صفات الذات والفعل. وزعمهم أن إثباتها [٤٦ ـ ب] للولي يوجب الالتباس بين النبي والولي زعم فاسد، بل ظهور الكرامة للولي يؤكد معجزة لنبيه الذي ينتمي إليه[6]. ولأنهم لم يفهموا الفرق بين النبي والولي. فإن النبي من يدعي المعجزة والكرامة، ويتحدى[7] بها الخلق، فيقول إن آية نبوتي ورسالتي كذا وكذا، ولا بدل له من علمه وحكمه بأنه نبي، وقصده إلى إظهار المعجزة. والولي بخلافه، فإنه لا يدعي الكرامة، وإنما تظهر على يده من غير تحدي[8]، ودعوى، ومتى ادعاها سقط من رتبة الولاية، وصار

---

(١) هو عويمر أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، اختلف في اسم أبيه، أسلم يوم بدر وشهد أحداً وما بعدها. جمع القرآن على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ. مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢: ٣٥٥؛ أسد الغابة ٤: ١٨؛ الإصابة ٣: ٤٥.

(٢) في (ب): سليمان، وسقطت كلمة (الفارسي) في (أ) و (ب). وسلمان هو أبو عبد الله الفارسي، أصله من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي ـ ﷺ ـ سيبعث، فخرج في طلب ذلك، وقصة طلبه مشهورة، شهد خندق والمشاهد بعدها، وفتوح العراق، وولي المدائن. توفي سنة ٣٣ هـ.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤: ٧٥؛ أسد الغابة ٢: ٢٦٥؛ الإصابة ٢: ٦٢؛ الاستيعاب ٢: ٥٦.

(٣) في جميع النسخ: يسمعون.

(٤) نقل هذه القصة لأبي الدرداء وسلمان ـ رضي الله عنهما ـ الحافظ ابن حجر في الفتح (٦: ٥٩٢) عن البيهقي في الدلائل بلفظ: «كان أبو الدرداء وسلمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له بآية الصحفة، وذلك أنهما بينما هما يأكلان في صحفة إذ سبحت وما فيها».

(٥) في (أ) و (ب): من الله.

(٦) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٥: ٢٤١.

(٧) في (ج): يتحرى به.

(٨) في (ج): على يد من غير تحري.

فاسقاً. كذا ذكره علماء الأصول، منهم سيف الحق أبو المعين النسفي[١] رحمه الله[٢].

(ونؤمن بأشراط الساعة) أي [علاماتها][٣] المنصوصة بها **(من خروج الدجال)** لأنها[٤] ثبتت[٥] بالأخبار السمعية، وتواتر نقلها فيوجب العلم بها لاتصاله بنا عن صاحب الوحي، فيجب الاعتقاد بوجودها[٦] في المستقبل. والدجال شخص أعور العين، جفال الشعر[٧]، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار، يركب[٨] على حمار بين منكبيه وأذنيه أربعون ذراعاً، يقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور مكتوب بين عينيه كافر، يسيح[٩] الأرض في أربعين يوماً إلا مكة والمدينة، ويكون أكثر أتباعه اليهود.

(ونزول عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ من السماء) فيكون على شريعة نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدجال، ويمكث مدة ما شاء الله ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه[١٠].

وفي أيامه يخرج يأجوج ومأجوج، بعد[١١] قتله الدجال، فيهلكهم

---

(١) هو ميمون بن محمد بن محمد بن معيد بن مكحول، أبو المعين النسفي، الحنفي، عالم بالأصول والكلام. كان بسمرقند وسكن بخارى. من كتبه «بحر الكلام» و «تبصرة الأدلة» في الكلام، و «التمهيد لقواعد التوحيد» و «العمدة في أصول الدين» و «العالم والمتعلم» و «شرح الجامع الكبير للشيباني» في فروع الحنفية. توفي سنة ٥٠٨ هـ.

ترجمته في: كشف الظنون ٢: ٤٨٧؛ الجواهر المضيئة ٣: ٥٢٧؛ الفوائد البهية ص: ٢١٦.

(٢) في (ج): رحمة الله عليه.

(٣) في (ص): علماته، وفي (أ) و (ب) و (ج): علمات.

(٤) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٥) في (ج): تثبت.

(٦) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٧) في حاشية (ج): أي كثير الشعر.

(٨) سقطت في: (ج).

(٩) في (ج): يمشي.

(١٠) في (أ) و (ب) و (ج): ويدفنون.

(١١) في (ج): بعده قتله، وهو خطأ.

الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم، وكل ذلك أمور مألوفة، لأنهم[1] بشر ومشاهدة مثلهم مألوفة. وهما قبيلتان من أولاد يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ وهم تسعة أعشار[2] بني آدم، يقاتلون الناس ويفسدون في الأرض، كقوله[3] تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4].

ولما كان طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض[5] على شكل غريب، غير مألوف أعاد الشيخ قوله: **(ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها)** لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[6] روى البخاري ـ عند تفسير الآية ـ عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[7].

(وخروج دابة الأرض من موضعها) لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ[8] أَخْرَجْنَا لَهُمْ[9] دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ[10] أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[11] ولقوله ـ عليه السلام: «إن [أول][12] الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة[13] على الناس ضحى، فأيتهما[14] كانت قبل

(١) تكررت في: (أ).
(٢) في (أ) و (ب): أشعار، وفي (ج): عشار.
(٣) في (أ) و (ب): لقوله.
(٤) الكهف: ٩٤. انظر «البداية» ١: ١١٨.
(٥) انظر «البداية» ١: ١١٨. وسقطت الجملة «ولما كان... الأرض» من (أ) و (ب).
(٦) الأنعام: ١٥٨.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ١٠، حديث ٤٦٣٥، و ٤٦٣٦. (فتح الباري ٨: ٢٩٧) وفي كتاب الرقاق، باب ٤٠، حديث ٦٥٠٦. (الفتح ١١: ٣٥٢).
ومسلم في كتاب الإيمان، باب ٧٢، حديث ٢٤٨. (صحيح مسلم ١: ١٣٧).
(٨) في (ج): عليهما.
(٩) سقطت في جميع النسخ.
(١٠) في (أ) و (ب) و (ج): تكلم الناس، وهو خطأ.
(١١) النمل: ٨٢.
(١٢) في (ص): أن أولى، والتصحيح من رواية مسلم والنسخ الباقية.
(١٣) في (ب): دابة الأرض.
(١٤) في (أ) و (ب) و (ج): فإنهما.

صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً[1]، يعني أول الآيات السماوية التي[2] ليست مألوفة، وكذا خروج الدابة أول[3] الآيات الأرضية التي ليست مألوفة، فإنها شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو[4] الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وعند هاتين العلامتين يُغلق باب التوبة، فلا تقبل توبة فاسق، ولا إسلام كافر.

وفي أشراط الساعة مصنفات مشهورة[5]، وإنما ذكر ههنا كبارها.

(ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً) لقوله ـ عليه السلام ـ: «من أتى عرافاً أو كاهناً[6] فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[7]، ولقوله ـ عليه السلام ـ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة[8] أربعين ليلة»[9]، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سأل رسولَ الله ناسٌ عن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ٢٣، حديث ٢٩٤١. (صحيح مسلم ٤: ٢٢٦٠) وانظر «البداية» ١: ١٩٠، و «روح المعاني» ٢٠: ٢٤ ـ ٢٥.
(٢) سقطت في: (أ) و (ب).
(٣) سقطت من (ج).
(٤) في (ج): والكفر.
(٥) في (ج): علامات كثيرة وسقطت «مشهورة» في: (ب).
(٦) سقطت كلمتا (أو كاهناً) في (ج).
(٧) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطب، باب ٢١، حديث ٣٩٠٤ بنحوه. (سنن أبي داود ٤: ٢٢٥).
والترمذي في كتاب الطهارة، باب ١٠٢، حديث ١٣٥، ولفظه: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد». وقال الترمذي: «لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة». (سنن الترمذي ١: ١٦٤).
وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب ١٢٢، حديث ٦٣٩، بنحوه. (سنن ابن ماجه ١: ٢٠٩).
والإمام أحمد في المسند ٢: ٤٠٨ و ٤٢٩ و ٤٧٦.
والحاكم في المستدرك (١: ٨) بلفظه، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه». ثم ذكر أن البخاري حدث بهذا السند في صحيحه قصة موسى أنه آدر، ووافقه الذهبي. وسند الحاكم غير سند الترمذي الذي فيه حكيم الأثرم المتكلم فيه.
وقد صحح الحديث الشيخ ناصر الدين. انظر إرواء الغليل ٧: ٦٩.
(٨) في (ج): صلاته.
(٩) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب ٣٥، حديث ٢٢٣٠. (صحيح مسلم ٤: ١٧٥١).

الكهان، فقال: «ليسوا بشيء»[1] فقالوا يا رسول الله! إنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً[2]؟ فقال رسول الله: «تلك الكلمة يخطفها[3] الجني فيقرقرها في أذن[4] وليه فيخلطون معها مائة كذبة»[5].

فعند بعض العلماء المنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو في معناه[6]. وإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول؟ نعوذ بالله من مثل هذا السؤال.

(ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة) لأن ما يخالفها باطل، كادعاء الاطلاع على الغيب مثلاً[7]، فإن الاطلاع على الغيب مما يخالف الكتاب، غير ممكن إلا لمن ارتضاه الله[8] من أنبيائه ورسله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[9].

والذين يدعون ذلك طوائف مختلفة، منهم الكهان، والعرافون، وأصحاب الفالات[10]، وأصحاب الضرب بالرمل والحصى، ونحوها. وذلك كله[11] حرام، خارج عن الكتاب والسنة والإجماع، فيجب منعهم

---

(١) فقال: «ليسوا بشيء» سقطت من (أ) و (ب).
(٢) «فيكون حقاً» سقطت من (ج).
(٣) في (ج): يحفظها.
(٤) في (أ) و (ب): في ذات وليه.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ٦، حديث ٣٢١٠ بنحوه. (فتح الباري ٦: ٣٠٤) وفي كتاب الطب، باب ٤٦، حديث ٥٧٦٢، بلفظه. وفي كتاب الأدب، باب ١١٧، حديث ١٢١٣. (فتح الباري ١٠: ٢١٦ و ٥٩٥) وفي كتاب التوحيد، باب ٥٧، حديث ٧٥٦١، (فتح الباري ١٣: ٥٣٥) ومسلم في كتاب السلام، باب ٣٥، حديث ٢٢٢٨. (صحيح مسلم ٤: ١٧٥).
(٦) انظر مجموع الفتاوى ٣٥: ١٩٣ ـ ١٩٥. ومفتاح دار السعادة ٢: ١٣٢ ـ ٢٤٠.
(٧) سقطت في (ج).
(٨) سقطت في: (أ) و (ب) و (ج).
(٩) الجن: ٢٦ ـ ٢٧، وجاء في جميع النسخ: إلا من ارتضى من رسول فيوحي بإذن الله، وهو خطأ، وسقطت كلمة (رسول) في (ج).
(١٠) الفأل ضد الطيرة، ويستعمل فيما يكره. وهو قول أو فعل يُستبشر به. انظر لسان العرب ١١: ٥١٣؛ تاج العروس ٨: ٥٤؛ المعجم الوسيط ٢: ٦٧١.
(١١) سقطت في: (ب).

من[1] الجلوس في الحوانيت والطرق، وأن يدخلوا على الناس في منازلهم. فمن يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته مع قدرته على ذلك يكفيه قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2]، وقول[3] النبي ـ عليه السلام ـ برواية الصديق عنه أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[4].

ومنهم أهل تلبيس وكذب[5] وخداع الذين بعضهم يدعي طاعة الجن[6]، وبعضهم يدعي بعض المحالات بإظهار بعض الخوارق بالحيل والمكر والسحر، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم من الكذب والتلبيس والحيل.

ومنهم من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بإظهار الخوارق بالحيل، وكمن[7] يعمل بأنواع السحر، ويسعى في الأرض بالفساد، فإن جمهور العلماء يوجبون قتل[8] الساحر[9].

ثم اتفقوا على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة[10] أو غيرها،

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): عن.

(٢) المائدة: ٧٩. في (أ) و (ب) و (ج): يعملون، وهو خطأ.

(٣) في (ج): وقوله، وفي الأصل حاشية غير كاملة.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ١٧، حديث ٤٣٣٨. (سنن أبي داود ٤: ٥١٠).

والترمذي في كتاب الفتن، باب ٨، حديث ٢١٦٩ وقال: «ـ هذا حديث حسن صحيح»، (سنن الترمذي ٦: ٣٣٥) وفي كتاب تفسير القرآن ـ تفسير سورة المائدة، حديث ٣٠٩٥، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». (سنن الترمذي ٨: ٢٢١).

وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ٢٠، حديث ٤٠٠٥. (سنن ابن ماجه ٢: ١٣٢٧) وصححه الشيخ ناصر الدين صحيح ابن ماجه ٢: ٣٦٧).

(٥) جاء في حاشية الأصل: مطلب أهل تلبيس وكذب.

(٦) سقطت من (أ) و (ب)، وتكررت كلمات (بعضهم يدعي طاعة) في (أ) و (ب).

(٧) في (أ) و (ب): من.

(٨) في (ج): القتل.

(٩) انظر مجموع الفتاوى ٢٨: ٣٤٦ و ٢٩: ٣٨٤.

(١٠) جاء في حاشية الأصل: مطلب دعوة الكواكب.

أو خطابها والسجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور، ونحو ذلك، فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه وسده. وكذا أجمعوا على أن كل رقية وتعزيم وقسم فيه شرك بالله لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو[1] غيرهم، وكذا كل كلام فيه كفر[2]، وكذلك الكلام الذي لا يُعرف معناه لا يُتكلم به لاحتمال أن يكون فيه شرك لا يُعرف، ولذا قال عليه ـ السلام ـ: «لا بأس بالرقي ما لم يكن شركاً»[3].

ومنهم الذين لهم أحوال شيطانية[4]، وكشوفات، ومخاطبة رجال الغيب، ولهم خوارق[5] تقتضي أنهم أولياء الله، وقد يكون منهم من يعين المشركين على المسلمين ويقول أن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين[6] لكون المسلمين قد عصوا، فهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين وأتباع الشياطين.

وللناس في رجال الغيب[7] أقوال مختلفة، واعتقادات متفرقة، وقيل[8]: الحق أن رجال الغيب هم الجن، وإنما يسمون رجالاً لقوله تـعـالـى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[9] وإلا فالإنس يُشهدون ويُرون، وإنما يحتجب الإنس في بعض الأحيان ولا يكون محتجباً دائماً عن أبصار الناس، فمن ظن أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله، وسبب ضلالته عدم الفرق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

ولا يجوز الاستعانة بالجن لأنه تعالى ذم الكافرين على ذلك بقوله

---

(١) في (ج): و.
(٢) في (أ) و (ب) و (ج): شرك.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب ٢٢، حديث ٢٢٠٠، بلفظ: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك». (صحيح مسلم ٤: ١٧٢٧).
(٤) جاء في حاشية الأصل: مطلب من له أحوال شيطانية.
(٥) في (أ) و (ب): حواري، وهو خطأ.
(٦) «ويقول أن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين» سقطت من (ج).
(٧) جاء في حاشية الأصل: مطلب رجال الغيب.
(٨) في حاشية الأصل وبخط مماثل: «قاله ابن العز في شرحه على عقائد الطحاوي». انظر ص: ٧٦٧ من شرح ابن أبي العز المطبوع.
(٩) الجن: ٦.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾(١) وسبب ذلك أنه كان بعض الإنس إذا نزل بالوادي يقول(٢) أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه(٣)، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح. فيقول الجن في نفسه قد سدنا(٤) الإنس والجن، فيلحقه تعاظم في نفسه فيزداد كفراً بسبب معاملة الإنس بهذه(٥) المعاملة، فزادتهم رهقاً، أي إثماً وطغياناً، وجرأة وشراً. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾(٦).

ومنهم الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة(٧) ويخاطبوهم ببعض(٨) العزائم، وأنها تنزل عليهم، فهم ضالون كذابون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾(٩). فمن تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

وكذلك من اعتقد في بعض البُلْه(١٠) ـ مع تركه متابعة الرسول في أفعاله وأقواله وأحواله ـ أنه من أولياء الله، وفضّله على متبعي(١١) طريقة الرسول، فهو ضال مبتدع مخطىء في اعتقاده. وما قيل يمكن أن يكون(١٢) متبعاً في الباطن، وإن ترك الاتباع في الظاهر فهذا قول باطل، وخطأ، وضلالة، لأن الواجب متابعة الرسول ظاهراً وباطناً.

وأما ما يقوله بعض الناس(١٣) عن رسول الله أنه قال: «اطلعت على

---

(١) الجن: ٦.
(٢) في (ج): يقولون.
(٣) في (أ) و (ب): سفهائه.
(٤) في (ج): سيدنا.
(٥) في (ج): فبهذه، وهو خطأ.
(٦) سبأ: ٤٠ ـ ٤١ وسقطت بعض الكلمات في (أ) و (ب) و (ج).
(٧) جاء في حاشية الأصل: مطلب من يزعم دعوة الملائكة.
(٨) في (أ) و (ب) و (ج): لبعض.
(٩) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(١٠) جاء في حاشية الأصل: مطلب من اعتقد الولاية في البله.
(١١) في (أ) و (ب): على من يسعى، في (ج): على أجنه يسعى، وهو خطأ.
(١٢) في (ج): أن يكون موصلة متبعاً.
(١٣) سقطت من (ج).

الجنة فرأيت أكثر أهلها البله»[1] فغير صحيح عن رسول الله، لأن الجنة إنما خُلقت لأولي الألباب الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله تعالى. وقد ذكر الله تعالى أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، ولم يذكر في أوصافهم البله، وإنما قال ـ عليه السلام ـ: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثرها الفقراء»[2].

وأما الذين يتعبدون بالرياضات[3] والخلوات ويتركون الجمع والجماعات فهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قد طبع الله على قلوبهم كما ثبت في الصحيح عن النبي ـ عليه السلام ـ أنه قال: «من ترك ثلاث جمع متهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه»[4].

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٢١) بلفظ: «إن أكثر أهل الجنة البله» وفي سنده سلامة بن روح، قال فيه أبو حاتم: ليس بالقوي، محله عندي محل الغفلة. وقال عنه أبو زرعة: ضعيف منكر الحديث، يكتب حديثه للاعتبار. وقد عد هذا الحديث من منكراته. انظر الجرح والتعديل ٤: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

وقال الطحاوي: «فذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال لي: معناه صحيح»، و (البله) المرادون فيه هم البله عن محارم الله تعالى، لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبله. (مشكل الآثار ٤: ١٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ٨، حديث ٣٢٤١، وزاد فيه: «واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». (فتح الباري ٦: ٣١٨) وفي كتاب الرقاق، باب ١٦، حديث ٦٤٤٩، وفي باب ٥١، حديث ٦٥٤٦. (فتح الباري ١١: ٢٧٣ و ٤١٥) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ٢٦، حديث ٢٧٣٧، بلفظ البخاري. (صحيح مسلم ٤: ٢٠٩٦).

(٣) في (أ) و (ب): بالرضايات، وهو خطأ. وجاء في حاشية الأصل: مطلب من ترك الجماعة.

(٤) هذا الحديث صحيح ولكنه ليس في الصحيح» كما قال الشارح. أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ٢١٠، حديث ١٠٥٢، بلفظ: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه». (سنن أبي داود ١) ٦٣٨) والترمذي في كتاب الصلاة، باب ٣٥٩، حديث ٥٠٠، وقال: «حديث أبي الجعد (الحديث) حسن». (سنن الترمذي ٢: ٢٢٨).

والنسائي في كتاب الجمعة، باب التشديد في التخلف عن الجمعة. (سنن النسائي ٣: ٨٨).

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ٩٣، حديث ١١٢٥. (سنن ابن ماجه ١: ٣٥٧) وقال فيه الشيخ ناصر الدين حسن صحيح. (صحيح سنن ابن ماجه ١: ١٨٥).

ورواه أحمد في المسند ٣: ٤٢٤.

فكل[1] من عدل عن اتباع الرسول، إن كان عالماً فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال[2].

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة[3] مبتدعون ضالون، إذ ليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب[4] زوال عقله، ولم يكن في الصحابة من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا [٤٩ ـ ب] كما وصفهم الله في القرآن بقوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[5]، وقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ[6] أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ[7] تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[8].

وأما ما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام الطيبة من الهذيان[9] والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف، فذلك شيطان يتكلم على لسانه كما يتكلم[10] على لسان المصروع، فذلك كله من الأحوال الشيطانية.

وقول بعض الناس أنهم الفقراء يُسلم إليهم حالهم[11]، ويُتركون عليها، فكلام باطل وقول فاسد، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قُبل، وما خالفها رُد، لقوله ـ عليه

= وصححه ابن خزيمة (٣: ١٧٦)، والحاكم، ووافقه الذهبي. (المستدرك ١: ٢٨٠).
وله شاهد عند ابن ماجه (١١٢٦)، وأحمد ٣: ٣٢٣، والحاكم ١: ٢٩٢، وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) في (أ) و (ب): كل.
(٢) في (ج): فهو ضال كذاب.
(٣) جاء في حاشية الأصل: مطلب من يصعق عند سماع القرآن.
(٤) في (ج): بسبب.
(٥) الأنفال: ٢.
(٦) سقطت من (ج).
(٧) سقطت من (ج).
(٨) الزمر: ٢٣.
(٩) جاء في حاشية الأصل: مطلب من يتكلم بالهذيان عند سماع الأنغام الطيبة.
(١٠) سقطت كلمات «لسانه كما يتكلم» من (أ) و (ب).
(١١) جاء في حاشية الأصل: مطلب.

السلام ـ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]. وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2] الحديث.

فلا طريقة إلا طريقة الرسول، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته[3]، ولا يصل أحد إلى الله ورضوانه، وجنته وكرامته إلا بمتابعة الرسول ظاهراً وباطناً. فمن لم يكن مصدقاً فيما أخبر، وملتزماً لطاعته فيما أمر، في الأمور الباطنة التي[4] في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، فإنه من الأحوال[5] الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه.

وكيف يكون زوال العقل سبباً أو[6] شرطاً إلى ولاية الله؟ كما يظنه كثير من أهل الضلال، بسبب ما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة أو تصرف عجيب خارق للعادة، بسبب ما اقترن[7] به من الشياطين، كما يكون للكهان والسحرة، فيظن ذلك الضال أن كل من[8] كاشف أو خرق العادة كان ولياً لله[9]، ويقول[10] بعضهم الجنون[11] سر يسجد العقل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ٥، حديث ٢٦٩٧، بلفظ الرواية الثانية عند الشارح. (فتح الباري ٥: ٣٠١، وعلقه في موضعين: ٤: ٣٥٥ و ١٣: ٣١٧، بلفظ الرواية الأولى عند الشارح.
وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب ٨، حديث ١٧١٨، بالروايتين (صحيح مسلم ٣: ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤).

(٢) سقطت هذه الجملة من (ج).

(٣) أضيفت كلمة (عليه السلام) قبل كل فاصلة في هذه الجملة في (ص).

(٤) سقطت في: (ج).

(٥) في (ج): أحوال.

(٦) في (ج): و، وجاء في حاشية الأصل: مطلب الاعتقاد بالمجانين.

(٧) في (ج): اقترف.

(٨) في (ج): أن كل كشف.

(٩) في (ج): كان من الله كرامة لصاحبها.

(١٠) في (أ) و (ب) و (ج): قال.

(١١) في (ج): وقال بعضهم: المجنون...

على بابه. فمن اعتقد هذا فقد كفر، فإن من كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت به من كفره أو فسقه. وكذلك[1] من جن من المؤمنين المتقين، لمّا أن زوال العقل بجنون أو غيره لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوى، بل يبقى على ما[2] كان عليه من خير أو شر، لا أنه يزيده أو ينقصه[3]، إلا أن جنونه يمنعه الزيادة من الخير، كما يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله[4].

وأما الذين ذكرهم العلماء بالخير من مجانين العقلاء، فأولئك كان فيهم خير ثم زالت[5] عقولهم. ومن علامات هؤلاء أنه إذا حصل[6] في حياتهم نوع من الصحو[7] تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهذون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن[8] يتكلم إذا حصل له نوع إفاقة[9] بالكفر والشرك. وأما الأطفال والمجانين الذي رُفع عنهم القلم[10] فليس لهم من الإيمان بالله ظاهراً أو باطناً ما يكون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً [٥٠ ـ ب] لآبائهم[11]، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[12]. وإنما أطنبنا[13] الكلام في هذا المقام لأنه من مزالق الأقدام، للخواص والعوام.

(١) في (ج): ذلك.
(٢) في (أ) و (ب): من، وهو خطأ.
(٣) في (أ) و (ب): ينقصه.
(٤) في (أ) و (ب) و (ج): قبيله.
(٥) سقطت من (أ) و (ب).
(٦) سقطت من (أ) و (ب).
(٧) في (ج): نوع من ذلك.
(٨) في (أ) و (ب): من.
(٩) في (ج): آفة.
(١٠) في (ب): العلم. وجاء في حاشية الأصل: مطلب الطفال والمجانين.
(١١) في (أ): باباتهم، وفي (ب): بأبهم.
(١٢) الطور: ٢١ وورد الخطأ في الآية في: (ص) و (ج).
(١٣) النص من بداية الآية إلى هذا المكان ساقط في: (أ) و (ب).

(ونرى الجماعة) أي أهل السنة والجماعة **(حقاً وصواباً)** لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1] **(والفُرقة)** أي فرقة أهل الأهواء[2] **(زيغاً وعذاباً)** لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟[3] مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِنَّ[5] ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[6]، ولقوله ـ عليه السلام ـ: «ستفترق[7] أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا من هم يا رسول الله؟ قال هم الجماعة»[8]. فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة.

(ودين الله عزّ وجلّ في السماء والأرض واحد، وهو دين الإسلام)[9] وهو دين الله تعالى الذي تعبد به عباده من الأولين والآخرين، وارتضاه[10] الله ديناً لأهل السماوات والأرضين، وبعث للدعوة إليه الأنبياء والمرسلين، وأنزل للأمر به وإيجابه الكتب السماوية، وأقام لإلزامه البراهين العقلية والحجج النقلية، وهو في الحقيقة إسلام العبد نفسه مع[11] كلية الأشياء لله[12] رب العالمين، سالمة له تعالى لا إشراك لغيره في شيء منها، لا في ملك ولا إنشاء، ولا حكم ولا تقدير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[13]، وقال تعالى:

---

(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) في (أ) و (ب) و (ج): الهواء.
(٣) سقطت في جميع النسخ.
(٤) آل عمران: ١٠٥. وفي جميع النسخ «أليم» وهو خطأ.
(٥) سقطت في جميع النسخ.
(٦) البقرة: ١٧٦.
(٧) في (أ) و (ب): ستفرق.
(٨) تقدم تخريجه.
(٩) أثبت شرح هذا المقطع بكامله في حاشية الأصل.
(١٠) في (أ) و (ب): اتضاه.
(١١) في (أ) و (ب): مع كلية ثم الأشياء، وهو خطأ.
(١٢) سقطت من (ج).
(١٣) آل عمران: ١٩.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1] ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

(وهو بين الغلو) وهو مجاوزة الحد المجعول **(والتقصير)** وهو نزول عن الحد المجعول، وكل واحد منهما مذموم باطل، لخروجهما عن العدل والحق. فالحد المجعول[3] للدين الحق في وصفه تعالى[4] هو[5] وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[6]، وبما تعبد به عباده[7]، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[8] إلى آخره.

والغلو وصفه[9] بالجسمية والجوارح والتركيب، كما فعله اليهود، وتبعهم من هذه الأمة في ذلك المشبهة [٥١ ـ أ]. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ﴾[10]. والتقصير نفي قدرة تخليق الأفعال عن الله تعالى، ونحوه، كما فعله قدرية المعتزلة.

(وبين التشبيه) سواء كان تشبيه[11] الخالق بالمخلوق بإثبات الجسمية والجوارح، كما فعله المشبهة، وهذا الذي بالغ أهل الكلام في رده وإبطاله، أو تشبيه[12] المخلوق بالخالق، كعُباد[13] المسيح وعزير، والشمس والقمر، والأصنام والملائكة، والنار[14] والماء، والعجل

---

(١) المائدة: ٣، وسقطت كلمة (ديناً) في (أ) و (ب).
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) سقطت من (أ) و (ب).
(٤) في (أ) و (ب): وصفه الله تعالى.
(٥) في (ج): وهو.
(٦) الشورى: ١١ وجاء في جميع النسخ: «العليم».
(٧) سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
(٨) الإخلاص: ١.
(٩) في (أ) و (ب) و (ج): وصف.
(١٠) النساء: ٧١ـ.
(١١) في (ج): التشبيه.
(١٢) في (ج): أو أو تشبه.
(١٣) في (ج): كعبادة.
(١٤) سقطت كلمتا (والنار) في (ج)؟

ونحوها. وهؤلاء الذين أرسلت إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. فلا يقال سمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا، وبالعكس.

(و) بين[1] **(التعطيل)** أي لا يقال ليس له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا علم، ونحوها كما فعله المعتزلة. وهذا القول نظير قوله فيما تقدم: (ومن لم يتوق[2] النفي والتشبيه زل[3] ولم يُصب التنزيه).

(وبين الجبر) وهو إسقاط فعل الاكتساب عن العباد بالكلية[4]، وجعل أفعالهم من غير اختيار، كحركات[5] المرتعش، كما قاله الجبرية.

(والقدر) أي إثبات قدرة تخليق الأفعال للعباد[6]، كما قاله[7] الجهمية وقدرية المعتزلة.

(وبين الأمن والإياس) أي بين الخوف والرجاء، وهو حقيقة العبودية، لأن في الأمن ظن العجز[8] عن العقاب، وفي الإياس ظن العجز عن العفو، وكلاهما خلاف الإسلام كما مر.

(فهذا) إشارة إلى جميع ما ذكر من أصول الدين والتوحيد، وفصول العقائد **(ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً)** أي [٥١ ـ ب] في الظاهر والباطن، إذ المخالفة بينهما من أوصاف المنافقين، واتحادُهما في اعتقاد الحق دين الأنبياء والمرسلين.

(ونحن برآء) على وزن حنفاء **(إلى الله من كل من[9] خالف)** في الاعتقاد والإيمان بالتفصيل **(الذي ذكرناه وبيناه)** لأن ما ذكرناه من أصول التوحيد، وفصول العقائد، قامت على حقيتها[10] حجج الكتاب والسنة

---

(١) سقطت في (ج).
(٢) في (أ) و (ب) و (ج): يتعرف، وهو خطأ.
(٣) في (أ) و (ب) و (ج): ذل.
(٤) سبق شرح نظرية الكسب.
(٥) سقطت في (ب).
(٦) سقطت في (ب).
(٧) في (ج): قال.
(٨) سقطت في (ب).
(٩) سقطت في: (أ) و (ب).
(١٠) في (أ) و (ب): حقيقتها.

الواضحة، وإجماع الأمة الهادية، وهو دين الله الذي دان به الأنبياء والمرسلون[1]، وعباده المؤمنون[2]، فمخالفته ضلالة وكفر.

(ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة) كأهواء الفرق الضالة **(والآراء المتفرقة والمذاهب الردية، مثل المشبهة)** وهم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوق في صفاته.

(والمعتزلة) وهم عمرو بن عبيد[3] وواصل بن عطاء[4]، وأصحابهما، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة في كثير من الاعتقادات والأصول، بعد موت الحسن البصري في المائة[5] الثانية.

(والجهمية) وهم المنتسبون إلى جهم بن صفوان الترمذي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وقد أخذ ذلك من جعد بن درهم[6]

---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): والمرسلين، وهو خطأ.

(٢) في (ج): وعباده المؤمنين، وهو خطأ.

(٣) عمرو بن عبيد من باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين، اشتهر بعلمه وزهده، وأخباره مع المنصور العباسي وغيره. وفيه قال المنصور: «كلكم طالب صيد، غير عمرو بن عبيد. ورثاه المنصور بعد موته، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه. له رسائل وخطب وكتب، منها «التفسير» والرد على القدرية». توفي بمران (قرب مكة) سنة ١٤٤ هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣: ٤٦؛ تاريخ بغداد ١٢: ١٦٦؛ البداية والنهاية ١٠: ٧٨؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٢: ١٦٥.

(٤) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة، أو بني مخزوم، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء المتكلمين. سُمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة تنسب إليه تُسمى «الواصلية». وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق حيث بعث أصحابه إلى البلدان المختلفة ينشرون المذهب، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. له تصانيف، منها: «أصناف المرجئة» و «المنزلة بين المنزلتين» و «معاني القرآن». توفي سنة ١٣١ هـ.
ترجمته في: خطط المقريزي ٢: ٣٤٥؛ وفيات الأعيان ٦: ٧؛ مروج الذهب ٤: ٢٢؛ شذرات الذهب ١: ١٨٢؛ مفتاح السعادة ٣: ١٦٣.

(٥) في (أ) و (ب): الآية.

(٦) الجعد بن درهم، من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة الفراتية. قال الذهبي «عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة» وذلك =

الذي[1] ضحى به خالد بن عبد الله[2] الملك بواسط[3]، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: «أيها الناس! ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح على جعد بن درهم، لأنه زعم أنه الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء من علماء زمانه، وكانوا من كبار التابعين.

ثم قتل جهم بخراسان بعدما[4] فشت[5] مقالته، وتقلدها المعتزلة بعده، ولكن جهم كان أدخل في التعطيل من المعتزلة، لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء، بل الصفات.

(والجبرية) وهم الذين أسقطوا فعل الاكتساب من العباد، وجعلوا أفعالهم من غير اختيار، بمنزلة حركات المرتعش، وحركات الأشجار.

(والقدرية) وهم الذين[6] يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله، فنفوا عن الله تعالى صفات الذات والفعل جميعاً، وأثبتوا لأنفسهم ولكل فاعل مختار ـ مما دب ودرج ـ تخليق الأفعال.

(وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة) و[7] أهل السنة، وتفرقوا في

= سنة ١١٨ هـ. ترجمته في: الكامل في التاريخ ٥: ٢٦٣؛ ميزان الاعتدال ١: ٣٣٩؛ لسان الميزان ٢: ١٠٥.

(١) في (ج): أي الذي.

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أبو الهيثم، أمير العراق، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩ هـ. للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ. فأقام بالكوفة إلى أن عُزل وسُجن سنة ١٢٠ هـ. ثم قتل في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. وكان يُرمى بالزندقة.
ترجمته في: تاريخ ابن خلدون ٣: ١٠٥؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٦٦؛ وفيات الأعيان ٢: ٢٢٦؛ الكامل في التاريخ ٤: ٢٧٦.

(٣) مدينة مشهورة في العراق، سُميت بذلك لأنها تقع في وسط الطريق بين البصرة والكوفة، بناها الحجاج. (معجم البلدان ٥: ٣٤٧).

(٤) في (أ) و (ب): ثم ما فشا مقالته. وفي (ج): ثم فشا مقالته.

(٥) جاء في جميع النسخ: فشا مقالته.

(٦) سقطت من (أ) و (ب).

(٧) سقطت (و) من (أ) و (ب)، وفي (ج): أي.

العقائد، **(وحالفوا)**[1] أي لازموا **(الضلالة)** والبدعة، وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

(ونحن منهم برآء) على وزن سُعداء[2] **(وهم عندنا ضلال)** لكون كل من هؤلاء ضالاً عن طريق الحق[3]، **(وأرادياء)** على وزن أشقياء[4] وإنما تبرأوا[5] منهم لمخالفتهم بحجج الكتاب والسنة الواضحة، وإجماع الأمة الهادية. وسُموا ضلالاً وأرادياء لدخولهم تحت الوعيد الوارد[6] في الخبر المتواتر الذي هو دليل من دلائل النبوة، حيث أخبر[7] أن أمته ستفترق إلى[8] ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، كما مر.

(وبالله العصمة والتوفيق، نعم المولى ونعم الرفيق)[9].

نسأل الله[10] السلامة والعافية، من مثل هذه الأقوال والأوهام الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية. ونعوذ بالله من الزيغ والزلل في القول والعمل[11]، وبالله التوفيق والهداية، في[12] البداية والنهاية. والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين[13].



---

(١) في (أ) و (ب) و (ج): وخالفوا.
(٢) في (ب): سعدان.
(٣) «ضالاً عن طريق الحق» أثبتت في حاشية (ص).
(٤) «على وزن أشقياء» أثبتت في حاشية (ص)، وفي (أ) و (ب) و (ج): على أشقياء.
(٥) في (ج): نتبرأ.
(٦) سقطت في: (ج).
(٧) سقطت في (أ) و (ب).
(٨) في (أ) و (ب): ستفرق.
(٩) هذه الجملة أثبتت في حاشية الأصل.
(١٠) في (ج): نسأل الله تعالى.
(١١) «ونعوذ بالله من الزيغ والزلل في القول والعمل» أثبتت في حاشية الأصل.
(١٢) في (ج): والبداية.
(١٣) سقطت كلمات (والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين) في (ج).



الخاتمة

في نتائج البحث







الخاتمة

لقد توصلت من خلال دراستي لكتاب نور اليقين في أصول الدين إلى نتائج عديدة، ومن أهمها:

- عاش مؤلف الكتاب - رحمه الله - فترة بداية انحطاط الدولة العثمانية، وتُعتبر هذه الفترة من أشد المراحل خطورة على الأمة الإسلامية عموماً، وعلى جانبها الفكري والعلمي على وجه الخصوص. كان المؤلف من تلك القلة القليلة التي استطاعت أن تتحرر من العادات والقيود السائدة في ذلك العصر، وأدرك مواطن الضعف والنقص التي سببت للأمة الإسلامية هذه الحالة، فأسهم إسهاماً بارزاً في معالجة تلك الأخطاء لا سيما في مجال العقيدة التي هي أساس المجتمع وقاعدته الأولى، فرأى ضرورة عرض عقيدة أهل السنة والجماعة وجَعْل الحد الفاصل بينها وبين ما يضادها من العقائد والأفكار المخالفة. ونَشرِ ذلك بين الناس. فألف عدداً من الكتب في هذا المجال، منها هذا الكتاب الجليل.

ولم يكتف - رحمه الله - بهذا، بل شارك في ميادين أخرى مختلفة في سبيل إصلاح المجتمع، حتى جاهد في سبيل الله بنفسه وماله.

- لم يتمكن المؤلف - رحمه الله - من كل هذا لولا قوة شخصيته العلمية واستقلالُه في التفكير. فقد تبين لي من خلال دراسة شخصيته أنه كان على مستوى كبير جداً من العلم الشرعي بمختلف أنواعه، ومؤلفاته الكثيرة في الفنون المختلفة خير برهان على ذلك، لا سيما وقد طُبع عدد منها وما زال يُطبع ويُحقق ويُترجم إلى اللغات الأخرى عدد آخر إلى أيامنا هذه. وقد كان لمؤلفاته دور كبير في انتشار العقيدة الإسلامية الصحيحة ومحاربة المعتقدات والعادات المنحرفة، خاصة في بلادنا والبلدان المجاورة.

ـ إن المدرسة التي أسسها ـ رحمه الله ـ كانت مصدر نور وهداية للمنطقة كلها، حيث خرّجت أجيالاً من الدعاة والمدرسين والقضاة الذين كانوا على مستوى كبير من العلم الشرعي وخاصة أن المدرسة اتخذت طابعاً حديثياً حتى اشتهرت فيما بعد بمدرسة حسن كافي الحديثية، إلى أن أغلقت بمجيء الحكم الشيوعي.

ـ كما تبين لي من دراسة هذا الكتاب وتحقيقه أنه كتاب قيم يدل على مكانة صاحبه العلمية، حيث استطاع أن يقتصر فيه على المهم من المسائل ويرتبه ترتيباً جيداً تبدو فيه كل وحدة منها كأنها فصل مستقل، مع امتياز أسلوبه بالوضوح وسهولة العبارات التي قربت موضوعات الكتاب إلى الأذهان وجعلتها ميسورة مفهومة. ويمتاز إلى جانب ذلك نقده للفرق المخالفة بالموضوعية وقوة البرهان، حيث يستخدم إلى جانب الأدلة النقلية، الأدلة العقلية التي استدل بها الخصم، فينقضها بالبراهين العقلية نفسها.

ـ ووجدت الكتاب بعد مقارنته بشرح ابن أبي العز الحنفي معتمداً عليه اعتماداً كلياً، بل مختصراً له، واستطاع المؤلف ـ رحمه الله ـ أن يركز على أهم ما ورد فيه ويضيف بعض الإضافات من عنده فزادت من قيمة الكتاب، مع تميزه في وضوح العبارة وإيصال المراد بأيسر وأسهل طريق إلى ذهن القارىء.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى
أن يجعل في هذا الكتاب خيراً للإسلام والمسلمين،
وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم،
وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس



فهرس الآيات القرآنية

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة النبأ

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة الإنشقاق

سورة البروج

سورة الليل

سورة البينة

سورة الإخلاص



فهرس الأحاديث والآثار

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء



فهرس الأعلام

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم



فهرس الملل والنحل

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن

١ ـ البحر المحيط: محمد بن يوسف أبو حيان، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، ط. ثانية ١٩٨٣ م.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم: عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٨٨ هـ.

٣ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ط. ثانية ١٣٩٢ هـ.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، تصوير طبعة دار الكتب بالقاهرة ٣٨٧ هـ.

٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج ـ بيروت.

٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧ ـ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: شركة البابي الحلبي، ط. أخيرة ١٣٨١ هـ.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه

٨ ـ الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط.

القاهرة الثانية ١٣٧٩ هـ.

٩ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. أولى ١٣٩٩ هـ.

١٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، الناشر مكتبة المثنى ببغداد (على هامش الإصابة).

١١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير بن الحسن علي بن محمد الجزري، الناشر: دار الفكر ـ بيروت.

١٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.

١٣ ـ التاريخ الكبير: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحت مراقبة د. محمد عبد المعيد خان.

١٤ ـ تجريد أسماء الصحابة: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ط. هندية ١٩٦٩ م.

١٥ ـ تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط. ثانية ١٣٨٤ هـ.

١٦ ـ تخريج أحاديث شرح العقائد: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: السيد صبحي السامرائي، الناشر: دار الرشد.

١٧ ـ تدريب الراوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

١٨ ـ تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الناشر: دار إحيار التراث العربي ـ بيروت.

١٩ ـ تقريب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد

الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
٢٠ ـ تهذيب التهذيب: ابن حجر، الناشر: دار صادر ـ بيروت.
٢١ ـ الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠ هـ.
٢٢ ـ دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.
٢٣ ـ ذيل تذكرة الحفاظ: الحافظ أبو المحاسن الحسين الدمشقي، (معه لحظ الألحاظ وذيل طبقات الحفاظ).
٢٤ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباي، الناشر: المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ.
٢٥ ـ سنن أبي داود (ومعه معالم السنن): أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعّاس، الناشر: دار الحديث، ط. أولى ١٣٩١ هـ.
٢٦ ـ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧ ـ سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، ط. أولى ١٣٨٧ هـ.
٢٨ ـ السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: دار صادر ـ بيروت، مصورة من الطبعة الهندية الأولى ١٣٥٣ هـ.
٢٩ ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٣٠ ـ شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش: الناشر: المكتب السلامي، ط. أولى ١٣٩٠ هـ.
٣١ ـ شرح صحيح مسلم: محي الدين أبو زكريا يحيى أبو شرف

النووي، الناشر: المطبعة المصرية بالأزهر، ط. أولى ١٣٤٩ هـ.

٣٢ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، مع فتح الباري، الطبعة السلفية.

٣٣ ـ صحيح ابن حبان (الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان): محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط. أولى ١٤٠٧ هـ.

٣٤ ـ صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. أولى ١٣٠١ هـ.

٣٥ ـ صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر المكتب الإسلامي.

٣٦ ـ صحيح سنن ابن ماجه: الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. ثانية ١٤٠٨ هـ.

٣٧ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط. أولى ١٣٧٤ هـ.

٣٨ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي التيمي القرشي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، طبعة لاهور ـ باكستان.

٣٩ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بمساعدة شركة إدارة الطباعة المنيرية بدمشق.

٤٠ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط. ثانية ١٣٨٨ هـ.

٤١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني،

ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المكتبة السلفية بمصر.

٤٢ ـ الفقيه والمتفقه: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥ م.

٤٣ ـ فيض الباري على صحيح البخاري: محمد أنور الكشميري، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٤٤ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٤٥ ـ كتاب السنة: أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. ثانية ١٤٠٥ هـ.

٤٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب.

٤٧ ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، الناشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط. ثانية ١٣٩٠ هـ.

٤٨ ـ مجمع الزوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط. ثالثة ١٤٠٢ ه.

٤٩ ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

٥٠ ـ مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث.

٥١ ـ مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، الطبعة الهندية الأولى ١٣٢١ هـ.

٥٢ ـ مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، (بهامشه منتخب كنز العمال) الناشر: المكتب الإسلامي ودار صادر.

٥٣ ـ مشكاة المصابيح: ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب

الإسلامي، ط. أولى ١٣٨٠ هـ.
٥٤ ـ مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي، الناشر: دار صادر ـ بيروت، مصورة من الطبعة الهندية الأولى.
٥٥ ـ المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، ط. هندية أولى.
٥٦ ـ المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي.
٥٧ ـ المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: وزارة الأوقاف العراقية، ط. أولى ١٤٠٠ هـ.
٥٨ ـ المقاصد الحسنة: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد الصديق، الناشر: مكتبة الخانجي والمثنى ١٣٧٥ هـ.
٥٩ ـ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٦٠ ـ النهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: طه عمر الزيني، الناشر: دار الكتب الحديثة ـ القاهرة، ط. الأولى.
٦١ ـ هدي الساري: مقدمة فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية.

رابعاً: كتب العقيدة، والملل والنحل

٦٢ ـ الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.
٦٣ ـ أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية: د. ألبير نصري نادر، الناشر: المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.
٦٤ ـ الإيمان: شيخ الإسلام عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. ثانية ١٣٩٢ هـ.
٦٥ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ.

٦٦ ـ تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي الدمشقي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٣٩٩ هـ.

٦٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي ١٩٨٧ م.

٦٨ ـ التبصير في الدين: أبو المظفر الأسفرايني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ط. أولى ١٩٤٠ م.

٦٩ ـ جامع الرسائل: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة القاهرة الأولى ١٣٨٩ هـ.

٧٠ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧١ ـ حاشية الدسوقي على أم البراهين: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ط. أخيرة ١٣٥٨ م.

٧٢ ـ درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام، ط. أولى ١٤٠١ هـ.

٧٣ ـ الروح: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

٧٤ ـ الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية: الحسين بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبه، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتاب، ط. أولى ١٤٠٩ هـ.

٧٥ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن ابن المنصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة للنشر ـ الرياض.

٧٦ ـ شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، ط. أولى ١٣٨٤ هـ.

٧٧ـ شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٤٠٨ هـ.

٧٨ـ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان ـ دمشق، ط. أولى ١٤٠١ هـ.

٧٩ـ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، تخريج الأحاديث: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط. رابعة ١٣٩١ هـ.

٨٠ـ شرح العقيدة الطحاوية: عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، الناشر: دار الفكر ـ دمشق، ط. ثانية ١٤٠٢ هـ.

٨١ـ الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، طُبع على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز.

٨٢ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٨ هـ.

٨٣ـ عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، طبعة نجف الخامسة ١٣٩٢ هـ.

٨٤ـ العقيدة السلفية في كلام رب البرية: عبد الله بن يوسف الجُديع، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. طُبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت.

٨٥ـ الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٨٦ـ الفقه الأكبر: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، شرح ملا علي القاري، الطبعة المصرية الأولى ١٣٢٣ هـ.

٨٧ـ كتاب النبوات: شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

٨٨ ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القارمطة وكيفية مذهبهم وبيان عقائدهم: محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني، تحقيق: محمد عثمان الخشيت.

٨٩ ـ لوامع الأنوار البهية في سواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية: محمد بن أحمد السفاريني.

٩٠ ـ مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، الناشر: مكتبة المعارف ـ المغرب، طُبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين.

٩١ ـ محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة، ط. ثالثة.

٩٢ ـ مختصر الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

٩٣ ـ المسيحية: أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط. رابعة ١٩٧٣ م.

٩٤ ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، تحقيق: د. محمود الخضيري ومحمود محمد قاسم، الناشر: الدار المصرية ١٣٨٥ هـ.

٩٥ ـ مفتاح دار السعادة: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٦ ـ مقالات الإسلاميين: أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري، طبعة إستانبول ١٩٣٠ م.

٩٧ ـ المقالات والفرق: سعد بن عبد الله القمي، تحقيق: محمد جواد مشكور، طبعة طهران ١٣٨٣ هـ.

٩٨ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، الناشر: دار الفكر.

٩٩ ـ منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية: شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ.

١٠٠ ـ المنهاج في شعب الإيمان: أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمود، الناشر: دار الفكر، ط. أولى ١٣٩٩ هـ.

خامساً: كتب التاريخ والتراجم

١٠١ ـ أبو حنيفة، حياته وعصره وآراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر.

١٠٢ ـ الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: دار الجنان، ط. أولى ١٤٠٨ هـ.

١٠٣ ـ البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي، الناشر: مكتبة المثنى ـ بغداد.

١٠٤ ـ البداية والنهاية: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: مكتبة المعارف ـ بيروت ١٣٨٦ هـ.

١٠٥ ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية: زين الدين قاسم بن قطلوبغا، الناشر: مكتبة المثنى ـ بغداد ١٩٦٢ م.

١٠٦ ـ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار سويدان ـ بيروت.

١٠٧ ـ تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٠٨ ـ تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام.

١٠٩ ـ تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، الناشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٣٩١ هـ.

١١٠ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك، تحقيق: د. إحسان حقي، الناشر: دار النفائس ـ بيروت، ط. ثانية ١٤٠٣ هـ.

١١١ ـ ترتيب المدارك في تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق: د. أحمد بكير محمود، الناشر: دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٨٧ هـ.

١١٢ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير: علي بن الحسين بن عساكر، تهذيب: عبد القادر بدران، الناشر: دار المسيرة ـ بيروت، ط. ثانية ١٣٩٩ هـ.

١١٣ ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد بن محمد القرشي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨ هـ.

١١٤ ـ الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة: محمد بن محمد البوسنوي الخانجي، الناشر: مكتبة المعاهد العلمية ـ مصر، ط. أولى ١٣٤٩ هـ.

١١٥ ـ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): أحمد بن علي المقريزي، الناشر: مكتبة إحياء العلوم ـ بيروت ١٣٠٠.

١١٦ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد المحبي، الناشر: دار صادر ـ بيروت.

١١٧ ـ دول الإسلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الناشر: إدارة إحياء التراث الإسلامي ـ قطر.

١١٨ ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: عبد العزيز محمد الشناوي، الناشر: مكتبة أنجلو المصرية ـ القاهرة ١٤٠١ هـ.

١١٩ ـ ذكر أخبار أصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، طُبع في مدينة ليدن ١٩٣٤ م.

١٢٠ ـ الروض المعطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٧٥ م.

١٢١ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٤٠٤ هـ.

١٢٢ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، الناشر: المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٤٩ هـ.

١٢٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي، الناشر: دار الميسرة ـ بيروت.

١٢٤ ـ صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ط. ثانية ١٣٩٩ هـ.

١٢٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر: مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٢٦ ـ الطبقات: خليفة بن خياط العصفري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار طيبة ـ الرياض، ط. ثانية ١٤٠٢ هـ.

١٢٧ ـ طبقات الشافعية: جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، الناشر: دار العلوم ١٤٠١ هـ.

١٢٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط. أولى ١٣٨٣ هـ.

١٢٩ ـ طبقات النحويين: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل، الناشر: دار المعارف ـ مصر.

١٣٠ ـ عبد الله بن سبأ: مرتضى العسكري، طبعة النجف الأولى ١٣٧٥ هـ.

١٣١ ـ فذلكة التاريخ: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، طبعة إستانبول ١٢٨٦ هـ. (ترجمة عربية).

١٣٢ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية: محمد عبد الحي اللكنوي،

الطبعة المصرية الأولى ١٣٢٤ هـ.

١٣٣ ـ فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة ـ بيروت.

١٣٤ ـ في أصول التاريخ العثماني: أحمد عبد الرحيم مصطفى، الناشر: دار الشرق، ط. أولى ١٤٠٢ هـ.

١٣٥ ـ الكامل في التاريخ: علي بن الكرم محمد بن محمد بن الأثير الشيباني، الناشر: دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥ هـ.

١٣٦ ـ مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان: عبد الله بن مسعود اليافعي، الناشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط. ثانية ١٣٩٠ هـ.

١٣٧ ـ معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، الناشر: دار صادر ودار بيروت ١٣٧٦ هـ.

١٣٨ ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣٩ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة: أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، الناشر: دار الكتب الحديثة.

١٤٠ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي.

١٤١ ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الناشر: دار النشر فرانز شتاينر ـ ألمانيا، ط. ثانية ١٣٨١ هـ.

١٤٢ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة ـ بيروت.

سادساً: كتب الفقه وأصوله

١٤٣ ـ الإحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الأندلسي، الناشر: مكتبة الخاني، ط. أولى ١٣٤٥ هـ.

١٤٤ ـ الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والرأي والآثار: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي النجدي ناصف، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالعراق.

١٤٥ ـ أصول الحكم في نظام العالم: حسن كافي الأقحصاري، تحقيق: نوفان رجا الحمود، الناشر: الجامعة الأردنية ١٤٠٦ هـ.

١٤٦ ـ الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د. أحمد شاكر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ط. أولى ١٣٤٥ هـ.

سابعاً: كتب اللغة والشعر

١٤٧ ـ البيان والتبيين: أبو عثمان عمر بن الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط. رابعة.

١٤٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، الناشر: دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٤٩ ـ ترتيب القاموس المحيط: طاهر أحمد الزاوي، طبعة القاهرة الأولى ١٩٥٩ م.

١٥٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات: محي الدين النووي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥١ ـ ديوان الأخطل: أبو مالك غياث بن غوث التغلبي، الطبعة الخاصة على نفقة صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

١٥٢ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام المصري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، ط. حادية عشرة ١٣٨٨ هـ.

١٥٣ ـ لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، الناشر: دار صادر ـ بيروت.

١٥٤ ـ المعجم الوسيط: الناشر: إدارة إحياء التراث الإسلامي ـ

مصر، بعناية: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

ثامناً: كتب التصوف

١٥٥ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين: محمد مرتضى الزبيدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥٦ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٥٧ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الحديث ـ القاهرة.

تاسعاً: كتب فهارس المخطوطات والمؤلفات

١٥٨ ـ فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية: قاسم دبراجا، الناشر: مشيخة الطائفة الدينية الإسلامية في جمهورية بوسنة وهرسك ـ سرايفو ١٩٦٣ م.

١٥٩ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، الناشر: وكالة المعارف الحلبية ـ ١٣٦٢ هـ.

١٦٠ ـ هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، الناشر: وكالة المعارف الحلبية ـ إستانبول ١٩٥١ م.

١٦١ ـ إيضاح المكنون: إسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول ١٣٦٤ هـ.

عاشراً: كتب الثقافة العامة

١٦٢ ـ العالم والمتعلم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، تحقيق: محمد رواس قلعة جي وعبد الوهاب الهندي الندوي، الناشر: مكتبة الهدى ـ حلب، ط. أولى ١٣٩٢ هـ.

١٦٣ ـ كتاب التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني،

الناشر: مكتبة لبنان ـ بيروت، ط. جديدة ١٩٨٥ م.

١٦٤ ـ كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي التهانوي، الناشر: أحمد جودت ـ ١٣١٧ هـ. ـ وكذلك طبعة خياط ـ بيروت.

١٦٥ ـ المجتمع الإسلامي والغرب: د. ملتون جب وهارولد بون، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، الناشر: دار المعارف ـ مصر.

١٦٦ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: شيخ الإسلام مصطفى صبري، الناشر: المكتبة الإسلامية ١٣٦٩ هـ.



المصادر والمراجع الأجنبية

١ ـ آثار تاريخية في مدينة بروساتس (أقحصار): حسين كابالو، باليوغسلافية، الناشر: Nasa rijec - Zenica .g 1990

٢ ـ البوشناق في الأدب الإسلامي: د. صفوت بك باشا غيتش، باليوغسلافية، سرايفو ١٩٢١ م.

٣ ـ تاريخ التراث العربي: كارل بروكلمان، بالألمانية ـ برلين ١٩٠٢ م.

٤ ـ تراث مسلمي بوسنة الأدبي: محمد خانجيتش، باليوغسلافية، سرايفو ١٩٣٤ م.

٥ ـ تراث مسلمي بوسنة وهرسك الأدبي باللغات الشرقية: د. حازم شعبانوفيتش، باليوغسلافية، سرايفو ١٩٧٣ م.

٦ ـ حدائق الحقائق في تكملة الشقائق: نوعي زاده عطاء الله، بالتركية، إستانبول ١٢٦٨ هـ.

٧ ـ سياحة نامة: أوليا شلبي، الترجمة اليوغسلافية، سرايفو ١٩٦٧ م.

٨ ـ الشيخ حسن كافي الأقحصاري رائد العلوم العربية الإسلامية في بوسنة وهرسك، د. عمر ناكيتشويتش، سرايفو ـ ١٩٧٧ م.

٩ ـ الشيخ حسن كافي الأقحصاري مختارات من أعماله: عامر ليوبوفيتش وفهيم نامتاك، باليوغسلافية، سرايفو ١٩٨٣ م.

١٠ ـ المؤلفون العثمانيون: محمد طاهر برسلي، بالتركية، إستانبول ١٣٣٥ هـ.

١١ ـ الموسوعة اليوغسلافية الميسرة: زاغرب ١٩٧٣ م.

المخطوطات

١ ـ أزهار الروضات في شرح روضات الجنات: حسن كافي الأقحصاري. المخطوطة المسجلة تحت رقم ٩٠٢ غازي خسروبك بمدينة سراييفو.

٢ ـ أصول الحكم في نظام العالم، حسن كافي الأقحصاري، مكتبة غازي خسروبك رقم ٩٨.

٣ ـ تاريخ ديار بوسنة: صالح صدقي المُوَقّت، (بالتركية)، مكتبة معهد الدراسات الشرقية بسرايفو، رقم ١١٦٤.

٤ ـ حديقة الصلاة شرح مختصر الصلاة: حسن كافي الأقحصاري، مكتبة المعهد المذكور رقم ١٦٩٨.

٥ ـ رسالة في حاشية كتاب الدعاوى: حسن كافي الأقحصاري، مكتبة غازي خسروبك، رقم ٩٤٦.

٦ ـ روضات الجنات في أصول الاعتقادات: حسن كافي الأقحصاري، مكتبة غازي خسروبك، رقم ٤٣٣.

٧ ـ شرح سمت الوصول إلى علم الأصول: حسن كافي الأقحصاري، مكتبة المعهد المذكور رقم ٦٤٠.

٨ ـ الشيخ حسن كافي الأقحصاري رائد العلوم الإسلامية: د. عمر ناكيتشويتش، رسالة الماجيستير المقدمة إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

٩ ـ الفتح العثماني وانتشار الإسلام ونشأة المؤسسات الإسلامية في بوسنة وهرسك اليوغسلافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين: الأستاذ نياز شوكريتش، رسالة الماجستير المقدمة إلى جامعة بغداد سنة ١٩٧١ م.

فهرس الموضوعات